الهيئة العامة
لقصور الثقافة

حركة التأليف التاريخى
فى مصر الحديثة والمعاصرة

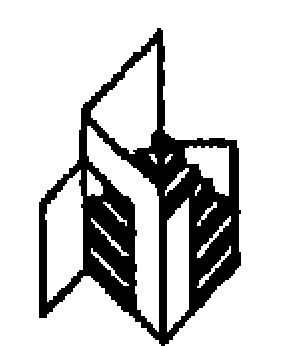
د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى

إصدارات
خاصة

حركة التأليف التاريخى
فى مصر الحديثة والمعاصرة

حركة التأليف التاريخى
فى مصر الحديثة والمعاصرة

د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

• حركة التأليف التاريخي
في مصر الحديثة والمعاصرة
• د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
أبريل ٢٠٠٦ م
٤٢٤ ص. ١٣٫٥ × ١٩٫٥سم
• تصميم الغلاف:
أحمد الجنايني
• لوحة الغلاف:
عبد الوهاب مرسي
• المراجعة اللغوية:
محمد أحمد عبد المطلب
• رقم الإيداع: ٧٩٦٠ / ٢٠٠٦
• الترقيم الدولي: 977-305-878-6
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: ١٦ أ شارع أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدي ١١٥٦١
ت: ٧٩٤٧٨٩١ (داخلي: ١٨٠)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: ٣٩٠٤٠٩٦

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول.

حركة التأليف التاريخى
فى مصر الحديثة والمعاصرة

المحتوى

المحتوى

المحتوى


مقدمة

ارتبطت حركة التأليف التاريخى فى مصر قبيل ظهور المدرسة التاريخية الحديثة، بالاهتمام بذكر سير العظماء وغرائب الحوادث وتاريخ الملوك والساسة والحكام والإفاضة فى التعرض لمولدهم، وذكر سيرتهم الذاتية من حيث بيان نشأتهم ووصف حفلات زفافهم، والإسهاب فى ذكر روحاتهم وغدواتهم، وإبراز محاسنهم وتبرير أخطائهم، حتى مظاهر الأبهة والفخامة التى كانوا يحاطون بها عقب وفاتهم لم يغفلوها، بل قاموا بطلائها بطلاء مذهب.. أما تاريخ الشعوب والأمم وتصوير مشاعر الناس على أسس من الحق وعدم الانحياز لإرضاء الحاكمين أو التملق لهم، فلم يحظ بمثل هذا الاهتمام ولم تسلط الأضواء على أحوال الناس وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية رغم أن الشعوب هى التى صنعت التاريخ وكانت الطاقة الحقيقية له حتى جعلته يتوهج أو يخبو. ولم يكن الملك أو الحاكم إلا واجهة تعبر عن ذلك، يضاف إلى هذا أن هؤلاء المؤرخين لم يسخروا طاقاتهم لخدمة مصالح وطنهم على أسس من الحق والحكم على الوقائع بطريقة موضوعية، واستمر الحال على هذا المنوال فترة حتى برزت النهضة التاريخية الحديثة، وأخذ المؤرخون فى توجيه جهودهم

إلى تاريخ حياة الشعوب وأحوالها بما فيها من مباهج ومآسى، وإلى اتجاهاتهم الفكرية وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومظاهر حياتهم المختلفة بخيرها وشرها ، حتى صار تاريخ الملوك والحكام لايذكر إلا من خلال الحديث عن شعوبهم ، وأصبح التاريخ علم دراسة حركة الزمن ورصد اتجاهات التطور، وأصبح من أدوات المجتمعات فى معركة الرقى والتقدم، كما أصبحت فلسفة التاريخ تسلم بأهمية الشعوب ، وتنسب إليها الأحداث المهمة خاصة وأنها هى التى صنعت التاريخ ولا تزال تصنعه.

ونتيجة لذلك أصبحت دراسة التاريخ أداة للنقد السياسى ، وحافزاً على الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى وباعثًا على التطور الحضارى.

الفصل الأول:
اتجاهات الكتابة التاريخية فى مصر
خلال القرن التاسع عشر

تبدأ حركة التأليف التاريخى لمصر الحديثة بعبد الرحمن الجبرتى الذى عاش عصر انتقال مصر من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، تلك الفترة التى اتسمت بالاضطراب الشديد والتغيير السريع، والتى شملت أواخر العصر العثمانى الأول وعصر الحملة الفرنسية ونحو عشرين سنة من حكم محمد على، وهذه الفترة من تاريخ مصر تعد الحد الفاصل بين عصر الركود والهدم والتخريب، وعصر النهضة والإنشاء والتجديد.

وكتابات الجبرتى فى مؤلفيه «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار[١]» و «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس[٢]» - أوزوال دولة الفرنسيس فى بعض النسخ - تعد بمثابة الركائز الأساسية فى كتابة تاريخ مصر الحديث، خاصة وأن صاحبها ذكر الحقائق التاريخية دون مواراة أو مجاملة لحاكم أو لغيره، وعالج مشاكل الحياة والمجتمع المصرى معالجة البصير بالأمور وحكم عليها حكما مقبولاً، مما جعل المؤرخ البريطانى «توينبى» يصفه بأن مثل ثوكيديدس اليونانى الذى وقع عليه عبء كتابة تاريخ حقبة شاذة من حياة الحضارة التى ترعرع فى ربوعها، وأن فى وسع مصر أن

تفاخر بالجبرتى وأن تباهى به سائر المتحدثين بالعربية[٣] .

وجعل «شفيق غربال» يصفه بأنه أخذ من كل شيء بطرف، وله في كل دراسة مقام محمود [٤] .

وجعل «عزت عبد الكريم» يصف ما كتبه بأنه كان على مستوى عال من الدقة والتحرى والإضافة من خلال ذلك المنعطف الذى كانت تجتازه مصر [٥] .

وجعل «محمد أنيس» يقول عنه أن أهم ما يميزه هو دقة المؤرخ واستقصاؤه للحوادث وموضوعيته، هذا فضلا عن أنه كتب عن عصور ثلاثة هى : مصر العثمانية والحملة الفرنسية وظهور محمد على[٦] .

يضاف إلى ذلك أن البعض وصف ما كتبه بأنه أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر الهجريين [٧] وأنه تاريخ ممتاز للحوادث التى وقعت فى مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين، وأنه من أعدل وأضبط المؤلفات التاريخية التى تصف أحداث زمانها بصدق [٨] ويمكن أن نرجع ذلك إلى ما يلى :

١ ـ يعد ما كتبه الجبرتى وثيقة تاريخية مهمة وفريدة فى تاريخ مصر السياسى والاجتماعى خاصة وأنه يحمل بين جنباته صورة مفصلة عن حياة المصريين الاجتماعية، ويتضمن التأثيرات

الموضوعية للحملة الفرنسية على مصر ، كما يتضمن فترة مهمة من حكم محمد على بما لها وما عليها ، فقد عاش الجبرتى عصر انتقال مصر من حال إلى حال ، وصور ما تحمله أهلها من مشقات ودون ما رأى وما سمع وما أحس ، دون أن ينحاز لحاكم أو لسلطة رغم تكوينه الدينى ، فقد كان رجل دين ودنيا ، أخذ من كل شيء بطرف ، فأشاد بالمظاهر الإيجابية لسياسة الفرنسيين فى مصر أحيانا ، وندد بأعمالهم المنافية للشرع والدين فى أحيان أخرى ، فامتدح رفضهم للسخرة ، وتشكيلهم الديوان ، واهتمامهم بتنظيم القضاء وعنايتهم بالنظافة ، ومنعهم دفن الموتى فى المقابر القريبة من المساكن ، وعدالتهم فى الأحكام خاصة ، من خلال محاكمتهم لسليمان الحلبى قاتل كليبر ، حيث لم يبادروا بقتله بل سألوه وحاكموه وناقشوه وناقشوا الشهود ، كما أبدى إعجابه بنشاطهم العلمى ورغبتهم فى البحث والمعرفة وتنظيمهم لقاعة المطالعة التى خصصوها للقراء(٩) وتطلعهم الزائد إلى العلوم ، فعندما شاهد التجارب العلمية التى أجراها أمامه بعض علماء الفرنسيين قال : إن لهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق ويدأبون فى ذلك الليل والنهار ، وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل ع يهم نقل ما يريدون

من أى لغة كانت إلى لغتهم فى أقرب وقت، وعندهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة، وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن، كما أعرب عن دهشته مما شاهده عندما زار المجمع العلمى الفرنسى بقوله «ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا» (١٠)

وتزداد قيمة ما كتبه الجبرتى من كونه عاصر معظم الأحداث التى كتبها وشارك فى بعضها أحيانا، وتابع بعضها فى أحيان أخرى، وساعده فى ذلك اتصاله بالجهات الرسمية يومئذ، وتعيينه عضوا فى الديوان العام الذى أنشأه الفرنسيون بالقاهرة للاستعانة به على ضبط النظام فجاء ما كتبه سجلا حافلاً التزم فيه جادة الحيدة والإنصاف، وقد عبر عن ذلك فى مقدمة كتابه بقوله «لم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير، ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق لميل نفسانى أو غرض جسمانى».

وحول موضوعية الجبرتى وعدم انحيازه لإرضاء الحاكمين وتغلب الموضوعية على الذاتية فى كتاباته نذكر:

١- رغم دفاع الجبرتى عن العثمانيين فى العديد من المواقف فقد أعرب عن خيبة أمله فى عودتهم إلى مصر عقب خروج الفرنسيين

منها لشعوره أن الحكم الفرنسى فى بعض الأحيان كان خيراً من الحكم العثمانى.

٢ـ رغم كراهية الجبرتى لمحمد على لمارآه من ضروب العنف والاستبداد والقسوة التى وقعت فى عهده، ووضعه لأدوات الإنتاج فى يده، وقيامه بإلغاء الالتزام الذى أضير منه شخصياً فقد كانت كتاباته عنه فى معظم الأحيان تتسم بالموضوعية فأشاد بمحمد على فى بعض المواقف وانتقده فى مواقف أخرى، وعن مواقف الإشادة بمحمد على نذكر أنه أشاد بفضله فى تعمير الاسكندرية ووصف ذلك العمل بأنه من محاسن الأفعال التى عجز السابقون عن القيام بها، كما أشاد به عندما قام بتشجيع أبناء مصر من النبهاء، فذكر أنه عندما ابتكر مصرياً يدعى «حسين شلبى عجوة» آلة لضرب الأرز وتبييضه تدور بطريقة سهلة توفر على الناس جهدهم وطاقاتهم وعمل لها مثالاً من الصفيح وقدمه لمحمد على أنعم عليه الباشا بالأموال وأمره أن يذهب إلى دمياط ليقيم فيها مصنعاً تستخدم فيه هذه الآلة التى اخترعها(١١).

أما عن مواقف انتقاده لمحمد على فرغم أنه كان يعلم جيداً أن ذلك سيسبب له المتاعب، وقد يعرض حياته وحياة أسرته للخطر، فإنه كان جريئاً وأميناً فى إتهامه له فذكر «أن من طبعه الحسد

والشـره والطـمع والتطلع لما فى أيدى الناس وأرزاقـهم [١٢] كـمـا تعرض لموقف محمد على من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية بالنقد، فأعرب عن تعاطفه مع رجالات الدعوة واقتناعه بآرائهم، وأبدى تبرمه من قيام محمد على بإثقال كاهل المصريين بالضرائب لتدبير تكاليف الحمله فقال: «وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز[١٣] . كما ذكر أن جنود محمد على كانوا يخطفون من الفلاحين السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك[١٤] ». بحجة سفرهم إلى الحجاز لدرجة أن قل اللحم والسمن والجبن خاصة بعد أن استولى محمد على على مواشى الفلاحين وأغنامهم [١٥].

وإلى جانب ذلك فإنه يمكن القول أن الجبرتى كان وسطا فى بعض الأحيان فى حكمه على محمد على ومن ذلك قوله: «له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان فلو وفقه الله لشىء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه» [١٦].

وهكذا يتضح أن الجبرتى لم يتجن على محمد على، بل كان منصفا فى عرضه لأعماله فذكر ماله وما عليه وهذه هى إحدى شيم المؤرخ الحقيقى الذى لا يحابى ولا ينحاز لأحد مهما عظم نفوذه، ولا

يغمط الحقيقة حقها مهما كانت العواقب، وربما لو عاش الجبرتى فترة أطول وشاهد الطور الأخير من حكم محمد على لتغير موقفه تجاهه خاصة وأن الجبرتى توقف فى كتابته عند عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م أى فى وقت كانت جهود محمد على العمرانية والحضارية لم تكن قد اتضحت بعد.

٣- يرجع الفضل للجبرتى فى تدوين تاريخ مصر وحوادثها وتراجم رجالها فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين ودون ما كتبه، كان المؤرخون يفتقدون العديد من حوادث تلك الحقبة، حقيقة هناك كتاب «ذكر تملك الفرنساوية للديار المصرية» للمعلم نقولا بن يوسف الترك اللبنانى[١٧] وهناك كتاب

«تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين» للشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر من خلال تلك الفترة[١٨] ولكن هذين المصدرين العربيين يشوبهما الكثير من عوامل النقص والقصور، فالأول مال نحو الجانب الفرنسى والجاليات الأجنبية فى مصر فمدح بونابرت ورثى كليبر وما كتبه لا يرقى إلى كتابات الجبرتى، وجل ما يحمد له أنه حفظ لنا بعض المنشورات التى أهملها الجبرتى، والثانى كان أول من استقبل الأتراك العثمانيين بعد خروج الحملة وألف كتيبا بناء على طلبهم، ولكن ما كتبه ليس فيه عن

الحملة الفرنسية سوى صفحات قليلةلا قيمة لها، بالنسبة للمؤرخ اللهم إلا من جهة صدورها من رجل كان شيخًا للأزهر.

٤ـ كتب الجبرتى تاريخًا بلا عاطفة، وكان رائدًا لصدق ما كتبه فهو يلم بالشوارد وبدون قيود ولكنه لا يلون بشعور ولا يضفى بإحساس [١٩] فعندما تحدث عن الثورات التى قام بها أهل القاهرة من الفرنسيين اتهم بعض زعمائها بأنهم من الأغرار الأفاقين، كما سمى القائمين بالثورة أحيانًا بالذعر وأحيانًا بالحشرات مما يؤكد طبيعته البعيدة عن العنف، وعندما تطرق إلى مساوىء الحكم الفرنسى لم يفته الإشادة بعدالتهم من خلال محاكمتهم سليمان الحلبى قاتل كليبر.

٥ـ بساطة الجبرتى وعدم انسياقه إلى التفاخر بنفسه أو بأعماله، فرغم اشتراكه فى الديوان الذى ألفه مينو لم يردد ذلك صراحه فى كتابه، وعندما تعرض لذكر الديوان لم يذكر اسمه صراحه وإنما قال كاتبه.

٦ـ كتب الجبرتى مؤلفه بطريقة الحوليات واليوميات فى إفاضة وتفاصيل ممتعه، وبشكل جعل تعيين الأماكن والمواقع ظاهرة واضحة فى روايته، فلا يورد حدثا من حوادث الحرب أو الثورات أو المواكب والحفلات العامة ولاسيما فى القاهرة إلا قرنه بتحديد الأماكن

والمواقع من شوارع وميادين ودروب ومنازل بحيث نستطيع من خلال روايته أن نصور معالم القاهرة في عصره واضحة جلية.

٧ـ إن كتابات الجبرتى أشبه بالتلال الأثرية لا تكاد تحفر فيها حتى تجد تحفه أثرية نادرة، وكلما ازددت فى الحفر عثرت على اللؤلؤ والجواهر ، ومع ذلك فإن هذا الحفر يحتاج إلى صبر ومثابرة وأناة حتى يمكن استخراج هذه النفائس من الأتربة العالقة بها(٢٠).

ومع كل ذلك فمما يلاحظ على كتابات الجبرتى أنه كتب عن القاهرة أكثر مماكتب عن مصر كلها، فالحوادث التى تعرض لها عن الوجهين القبلى والبحرى كانت على هامش كتاباته ، يضاف إلى ذلك أن من يقرأ الجبرتى يرهقه كثرة استعماله للعامية والتعبيرات الشعبية المصرية مثل كلمة «شطح» أى ارتفع ، وكلمة «قشلان» بمعنى مفلس، وكلمة و«ثارت كرشه »أى زحام وكلمة «النفخه» بمعنى الغرور، كما يرهقه كثرة الأغلاط وعدم الترتيب العلمى، وعدم تناسق الروايات والحوادث التى يتعرض لها وقد لا يعيب هذا الجبرتى بقدر ما يعبر عن طبيعة عصره ومعاييره، فقد تأثر الجبرتى بطابع عصره من ناحية انحطاط الأسلوب، وشيوع العجمة فى التراكيب والتردى فى الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية ، لذلك فالذين لا يأخذون الأمور بظواهرها ، والذين يتعمقون فى البحث

عن حوادث تلك الأيام وأحوالها وظروفها لا يسعهم سوى الإعجاب بما كتبه الجبرتي كأثر تاريخي مهم، ويوميات ذات قيمة كبيرة للمؤرخ[٢١] بذبها ما كتبه علماء زمانه أمثال «عبد الله الشرقاوى» و«إسماعيل الخشاب» ونقولا ترك وغيرهم لدرجة أن مقارنته بهؤلاء شبهها البعض بمقارنة القمح بالقشور[٢٢] وعلى أى حال فإن موقف الجبرتي من محمد على قد عرض حياته وحياة أسرته للخطر، وجلب عليه الضرر البليغ ففقد ابنه خليل الذى قتله جنود محمد على فى شبرا بعد صلاة الفجر بأوامر من «محمد بك الدفتردار» صهر محمد على ثم ربطوه برجل حماره، ولما أصبح الصباح عرفه الناس بما كان يحمله من دفاتر مكتوبة، وآلات لرصد النجوم والكواكب ، وأخذ الناس فى تناقل الخبر.

ونتيجة لحزن الجبرتي على ابنه فقد بصره، وترك الكتابة والتأليف، وظل فى داره منزويًا حتى مات ، يضاف إلى ذلك أن منزله بالصنادقية ومكتبته الحافلة بذخائر المخطوطات قد أحرقا خشية أن يكون فيهما أوراق أو كتابات معادية لمحمد على[٢٣] ونتيجة لذلك نفر المصريون من كتابة تاريخهم الحديث حتى لايقعوا تحت طائلة اضطهاد أسرة محمد على كما حدث للجبرتي، وكرهت أسرة محمد على أيضًا أن يشتغل المصريون بدراسة تاريخهم الحديث

وخاصة أنهم كانوا يريدون ألا يدون من تاريخهم سوى ما يروقهم ، وأن يكتب المؤرخ التاريخ على الصورة التى ترضيهم ولا تغضبهم، ومن هنا ابتعد المصريون عن كتابة تاريخ بلادهم السياسى وأخذ بعضهم ـ خصوصًا الذين درسوا فى أوروبا ـ فى تنمية ميوله وثقافته عن طريق ترجمة بعض الكتب التى تغطى تاريخ العالم منذ أقدم العصور أو التى تتطرق إلى الأمور الثقافية والتربوية والأدبية كما فعل رفاعة الطهطاوى وتلاميذه [٢٤] فقد ترجم رفاعة ـ الذى بدأ يفكر فى مستقبل الدراسات التاريخية فى مصر بعد عودته من فرنسا[٢٥] عدة مؤلفات معروفة ومشهورة[٢٦] كما حاول قدر الإمكان عدم التعرض لواقع مصر المعاصر له وخاصة أسرة محمد على، فتطرق للكتابة فى تاريخ مصر القديم، وفى السيرة النبوية فكتب فى التاريخ القديم، «أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل[٢٧] وفيه تعرض لعصور الفراعنة والرومان والبطالمة والبيزنطيين وختمه بالفتح العربى لمصر بطريقة جديدة ، نهج فيها منهجًا علميًا لم ينقص فيها من قدر أمجاد مصر القديمة أو يلعنها كما كان يفعل سابقوه، وإنما آمن بأمجاد هذا التاريخ ، ورغب فى أن تستعيد مصر أمجادها التى كانت عليها فى عهد الفراعنة، وكتب عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام كتابًا بعنوان «نهاية الإيجاز

فى سيرة ساكن الحجاز » تتبع فيه حياة الرسول منذ مولده إلى وفاته ، كما قدم دراسة مهمة عن المؤسسات السياسية والإدارية والاجتماعية والمالية فى الإسلام فى محاولة منه للخوض فى هذا الموضوع بطريقة علمية، ولرفاعة غير هذين الكتابين مؤلفات لها قيمتها التاريخية فحول رحلته إلى باريس كتب «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» أو «الديوان النفيس بإيوان باريز[٢٨]» وهو عنوان مسجع على نحو ما كان شائعا فى ذلك الوقت، وفيه عرض لرحلته فى فرنسا ولحركة الاستنارة الأوروبية التى غرستها فيه هذه الرحلة، فتحدث عن قيام الفرنسيين بخلع الملك شارل العاشر فى عام ١٨٣٠ وقيام ملكية يوليو الدستورية، وتعرض للمبادىء الدستورية التى غرستها الثورة الفرنسية فى نفوس الفرنسيين والتى نصت على مبدأ تكافؤ الفرص، وماللمواطن الفرنسي من حقوق وماعليه من واجبات ، كما نصت على حرية العقيدة والعبادة وعلى حرية الرأى فى حدود القانون والصالح العام.

ومع أن رفاعة حاول إدخال مبادىء الثورة الفرنسية فى النهضة المصرية الحديثة وفى تاريخ الفكر السياسى المصرى الحديث، فإنه كان متحفظًا فى ذلك إلى حد كبير وعلى سبيل المثال نذكر أنه حين أشار إلى مبدأ فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لدى

«مونتسكيو» نجده يتعرض للفكرة الإسلامية التى ترى بأن الشريعة فوق الجميع وأن على المحكومين طاعة الحاكم، وعلى الحاكم إرضاء المحكومين وإرساء العدالة بينهم وممارسة سلطاته بطريقة سليمة، فالحاكم لديه يتمتع بكامل السلطات بشرط احترام القانون(٢٩) .

وحول ما يخص آداب عصره كتب «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية(٣٠) ، وهو أول كتاب عربى ينزع إلى الناحية الوطنية (٣١)فيذكر معنى الوطن ومصر ومزاياها ويتعرض لفكرة التسامح الدينى والأخوة فى الوطن، كما يتعرض للمنافع العامة فيخصص لها أكثر أجزاء الكتاب ، فيذكر الآمال التى يأملها فى المنافع العامة فى كلمات تحفل بمعانى التكريم والولاء لمصر وشعبها، فمصر فى نظره أم الدنيا وروضتها ، وأنها دون غيرها من الممالك أعظم تمدينًا وتقدمًا، كما أن أهلها لديهم درجة عليا من الفنون والمنافع العمومية وهو ماتشهد به الآثار المصرية التى تعد من أكبر مصادر الفخر للمصريين بحكم احتوائها على المقومات الأساسية للحضارة من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وفى خاتمة الكتاب يتطرق رفاعة إلى مايجب على المصريين تجاه وطنهم بأسلوب جمع فيه بين ثقافته الإسلامية وثقافته الفرنسية.

وحول ما يخص تربية الناشئة كتب رفاعة «المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين» وهو كتاب أخلاق وتربية للمتعلمين والمتعلمات وقد صدر فى عام ١٨٧٢ .

وإلى جانب ذلك قام رفاعة بإصدار أول مجلة ثقافية علمية تصدر فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع على باشا مبارك وهى مجلة «روضة المدارس المصرية» التى صدر العدد الأول منها فى الخامس عشر من المحرم عام ١٢٨٧هـ الموافق إبريل ١٨٧٠ م وكانت روضة حقة تحفل بثمار جمهرة من الأقلام البارعة ، وقد طرحت هذه المجلة عدة تساؤلات أهمها :

على أى منهج يكون تحول مصر الحضارى ؟

هل نعود إلى الماضى وننعم بالعيش فى فردوسه المفقود ، ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز قفزا إلى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ؟

وكان الجواب حاضراً تجسده شخصية رفاعة الطهطاوى الذى كان ثمرة ناضجة من ثمار امتزاج الماضى بالحاضر ، وتكوين مركب جديد فيه أنضر ما فى الماضى من صفحات ، وأعذب ما فى الحاضر من منجزات (٣٢) .

ومع أن رفاعة لم يتخل فى كتاباته عن النظرة التقليدية لمفهوم

التاريخ فى بعض الأحيان ولم يستطيع أن يهجر السجع فى كثير من الأحيان فإنه قد أضاف إليه لمحات جديدة جديرة بالالتفات والتسجيل، منها تقسيمه للتاريخ إلى قديم وحديث وإلى عام وخاص كتاريخ جميع الأمم عامة أو تاريخ أمة واحدة كتاريخ المصريين مثلا، ومنها عاطفته الوطنية القومية وحبه الشديد لمصر الذى ملك عليه نفسه وجعله يشيد بمصر وفضلها على الحضارة العالمية، فهو يصفها بأم الدنيا والوطن، وأم الدنيا التى نازعت قدماء الأمم فى الأقدمية، فسلموا لها أنهم دونها مرتبة فى الأهمية وإن لم تسبقها أمة فى ميدان التمدينية، وأنها أيضا «رحيبة الدولة مهيبة الصولة» كما جعله يعتمد الفصول الطوال فى كتبه المتعددة للتغنى بالوطن والوطنية وأهمية التضحية فى سبيلهما.

ومع أن الطهطاوى كتب عن الوطنية، فإنه لم ينس أنه مسلم قبل كل شيء وأبرز الأدلة على ذلك ما ذكره فى شعره الذى تغنى فيه بمصر وباريس معا حيث يقول:

فكل منهما عندى عروس ولكن مصر ليست بنت كفر(٣٣)

وعلى أي حال فإنه يمكن القول أن التسجيل التاريخى أصبح بفضل جهود الطهطاوى ومدرسته تاريخا بالمعنى الحقيقى لكلمة التاريخ وذلك نتيجة للمنهج العلمى الذى اتبعه، والدقة والموضوعية

التى سار عليها ، فقدم لنا بذلك رؤية حضارية للإطار العام الذى سارت على النهضة المصرية ، كما فتح الأذهان على ما يدور فى العالم من أحداث مما يجعلنا نعده رائدا من رواد حركة التنوير ، كما نجعل مؤلفاته مصدراً رئيسياً من خلال كتابتنا للتاريخ ، وقد سبقنا فى هذا الرأى عبد الله النديم الذى طلب من خلال فترة اختفائه عن أعين السلطة بعد انكسار الثورة العرابية مجموعة من الكتب للاستفادة منها خلال وحدته كان من بينها مؤلفات الطهطاوى.

ورغم ذلك فلم يهنأ رفاعة بما قدمه لبلاده من خدمات فبعد أن تولى عباس الأول أريكة الحكم فى مصر أمر بنفيه إلى السودان نتيجة لوشاية نقلها البعض إليه ، واختلفت الآراء فى تعليلها ، فمنها من قال أن كتاب تخليص الابريز وما به من آراء ومبادىء لايرغب فيها الحاكم المستبد كان السبب فى نفيه[٣٤] ومنها من يقول أن رفاعة لقى معارضة من بعض المشايخ المتعصبين الذين ربما عدوه متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه فكادوا له عند الباشا[٣٥] وهناك رأى آخر يقول إن على مبارك الذى عاد من أوروبا مليئا بالأطماع الشخصية كان وراء نفى رفاعة إلى السودان [٣٦].

وعلى أى حال فقد انكب بعض المعاصرين للطهطاوى على دراسة تاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والتعليمى كما فعل على

مبارك [٣٧] في كتابه «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة [٣٨]والذى يعد من أهم المصادر فى دراسة تاريخ مصر الاجتماعى فى القرن التاسع عشر هذا إلى جانب أن إنشاء مجلة «روضة المدارس» كانت من وحى على مبارك وثمار تفكيره حين كان وزيراً للمعارف، وهو الذى عهد إلى «رفاعة الطهطاوى» بأن تكون تحت نظارته.

ومن المعروف أن هذه المجلة اهتمت بالتاريخ وحرصت على نشر الجداول التاريخية للوقائع العالمية الشهيرة والحوادث الكبيرة، كما تطرقت فى موضوعاتها إلى بيان سلاطين آل عثمان إلى عهد السلطان عبد المجيد خان.

يضاف إلى ذلك أن «على مبارك» ألف كتبًا عديدة فى العلوم والهندسة والثقافة منها «تقريب الهندسة»[٣٩] ورواية علم الدين[٤٠] وكتاب «حقائق الأخبار فى أوصاف البحار [٤١] وكتاب «تنوير الأفهام فى تغذى الأجسام [٤٢] وكتاب «نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر [٤٣] وغيره وإلى جانب ذلك فقد قام «على مبارك» بترجمة كتاب «تاريخ العرب» لسديو.

السؤال المطروح هل قام على مبارك بتأليف كل هذه الكتب العديدة وحده أم ساعده فى تأليفها آخرون، وماهى مصادره التى

استعان بها خلال تأليفه لهذه الكتب؟.

حقيقة أن على مبارك كان شغوفًا بالتاريخ، ولكن هذا لا يعنى أنه قام بتأليف كل ما كتبه فيه بل كان له معاونون خاصة من الذين عملوا تحت إدارته، وقد ألمح على مبارك إلى ذلك فذكر أن أعماله الرسمية الكثيرة جعلت من الصعب عليه أن يكمل مهمة التأليف وحده[٤٤].

أما عن مصادره فقد قرأ كثيراً من كتب الأوروبيين والمستشرقين خاصة الفرنسيين منهم نظراً لأنه كان يتقن الفرنسية، كما رجع إلى المصادر العربية القديمة وقد أشار على مبارك إلى ذلك بقوله إنه جمع من كتب العجم والعرب ما يفضى بتأمله إلى العجب، مراجعا كتب العرب والأفرنج الذين ساحوا تلك الديار ورسومهم التى بينوا فيهاحدود هذه الأقطار.

واستمرت حركة الدراسات التاريخية فى التقدم بفضل رجال مدرسة على مبارك ومعاصريه فعنى «محمد مختار» باشا مأمور الخاصة الخديوية بالأبحاث والدراسات التاريخية ومن أبرز مؤلفاته فى هذا المجال «التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية (من السنة الأولى للهجرة إلى سنة ١٥٠٠هـ[٤٥]) وكتب إسماعيل باشا سرهنك ناظر المدارس

الحربية «حقائق الأخبار عن دول البحار»[٤٦] .

ويرجع السبب فى تأليف هذا الكتاب إلى رغبة صاحبه فى إفادة أهل بلاده خاصة وأن المؤلفات التاريخية العصرية فى ذلك الوقت كانت قليلة خصوصا ما اختص منها بتاريخ الدول البحرية ذات الشأن ، واشتمل هذا الكتاب على عرض لتاريخ الانسان منذ الخليقة وتوقف عند عصر «عباس الثانى» وتعرض فيه سرهنك لبعض الدول البحرية القديمة والحديثة فتكلم عن موقعها الجغرافى وأرخ لثغورها الحربية والتجارية ثم تعرض لتأسيسها ومشاهير ملوكها، وما عاصرهم من الأحداث.

ولعل أهم أجزاء هذا الكتاب هو الجزء الثانى الذى انفرد تاريخ مصر بالقسط الأكبر منه، وترجع أهميته إلى أنه ملىء بالبيانات والاحصاءات والوثائق المهمة ، هذا إلى جانب تعرضه لتراجم عديدة لمشاهير البحرية والجيش المصرى فى القرن التاسع عشر، وقد ساعد «سرهنك» فى تأليف هذا الكتاب ثقافته العسكرية ودراسته البحرية لعلوم الفلك والجغرافيا والرياضيات وفن الملاحة، هذا إلى جانب استيعابه للعديد من اللغات ومنها العربية والتركية والإنجليزية والفرنسية.

وقد أهدى المؤلف هذا الكتاب إلى الخديو عباس الثانى بقوله فى

مقدمته للكتاب «وقد جعلته هدية إلى سدة مولانا محى الآمال الوطنية، ومعيد النشأة المصرية عزيز مصر وحامى حمى القطر خديوينا الأفخم وملاذنا الأعظم عباس حلمى الثانى»(٤٧) .

وعلى أى حال فقد سد سرهنك بعض الفجوات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ القوى البحرية، كما استخدم وثائق تاريخية أصلية مدركا أهميتها فى كتابة دراسته ومع ذلك فإن ما كتبه يمكن ضمه إلى التاريخ الحولى التقليدى مثله مثل على مبارك ومجموعته.

ورغم أن سرهنك حاول أن يكتب عن القوى البحرية فإن ما كتبه شمل العديد من المعلومات فى كل المجالات التى خطرت على باله فى أثناء كتابته (٤٨).

وإلحاقًا لهذه المجموعة من كتاب التاريخ الحولى كتب «فيليب جلاد» مندوب قلم قضايا نظارة الحقانية قاموس الإدارة والقضا(٤٩) فى سبعة أجزاء واشتمل على مجموعة مهمة من القوانين واللوائح والفرمانات والمعاهدات الرسمية فى القرن التاسع عشر رتبت وفقا للتسلسل الزمنى مع بعض التعليقات وهذا القاموس يعد مرجعا مفيداً لمؤرخ التاريخ الاقتصادى المصرى فى نهاية القرن التاسع عشر وكتب «يعقوب أرتين» وكيل نظارة المعارف العمومية «القول التام فى التعليم العام»(٥٠) باللغة الفرنسية وقام على بهجت المترجم الأول

بنظارة المعارف بترجمته إلى العربية وفى هذا الكتاب عرض المؤلف لتطور التعليم فى مصر فأوضح أن عامة المصريين كانوا يهملون تربية أولادهم ويعارضونها فى بداية الأمر ثم ما لبثوا أن قدروا التربية حق قدرها بحيث أصبحت الطلبات ترد إلى نظارة المعارف من جميع أنحاء القطر تطالب بإنشاء مدارس لتربية أولادهم (٥١)، كما تعرض لتطور ميزانية نظارة المعارف والبرامج والخطط التى اتخذتها النظارة لتحديث التعليم.

وإلى جانب ذلك كتب «يعقوب أرتين» الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية باللغة الفرنسية أيضا وقام «سعيد عمون» بترجمته(٥٢) خاصة وأن مؤلفه كان غارقًا حتى أذنيه فى الثقافة الفرنسية إلى حد أنه لم يستطع أن يكتب لغة عربية سليمة.

وأرتين كان يفضل فى كتاباته أن تروى الجداول والإحصائيات والوثائق ما يريد أن يقوله مما جعل البعض يعد ما كتبه بأنه دراسة مؤسسة على محتويات الأرشيف الحكومى.

ومن هنا لا يمكن اعتبار جلاد أو أرتين مؤرخين فقد كان على الأصح مصنفان للعلوم الاحصائية دون إضافة أى جديد إليها(٥٣).

واستمرت الكتابة التاريخية فى طريقها تساير طريقة الحوليات وإن كانت نغمة الاعتماد على المحسنات البديعية فى الكتابة قد

خفت حدتها بشكل غير كبير فكتب سليم النقاش[٥٤] «البيروتى» «مصر للمصريين» أرخ فيه لتاريخ مصر منذ محمد على حتى حوادث الثورة العرابية فى تسعة مجلدات، الثلاثة الأولى منها فى تاريخ أسرة محمد على حتى خروج إسماعيل من مصر[٥٥] والثلاثة الثانية من ولاية توفيق باشا إلى انقضاء حوادث الثورة العرابية أما الثلاثة الأخيرة فشملت محاكمات العرابين وصور محاضرهم الرسمية.

قد أفاد النقاش تماماً من المادة الوثائقية التى توفرت له رؤيتها فبعد أن وافقت دار المحفوظات له على الاطلاع على الوثائق المحفوظة لديها تمكن من رصد الفرمانات العثمانية، والدكريتات الخديوية وتنظيمات الجيش وأوراق عن الأوضاع المالية، وترتيبات تسوية الديون، وأوراق العرابيين، والمحاكمات التى تمت لهم بعد الهزيمة والعديد من الوثائق الدبلوماسية الأخرى.

وترجع أهمية ما كتبه «سليم النقاش» إلى أنه كان شاهد عيان للعديد من الأحداث، يضاف إلى ذلك أنه لم يهمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى كتاباته فتعرض لبعثة اللورد دفرين Dufferin وتجارة الرقيق، والقبائل البدوية وقيام بعض المصريين بشراء أسلحة وملابس من الإنجليز مقابل بيع مشروبات روحية

لهم.. إلخ.

ومع أننا لا يمكن أن نصف النقاش بالحياد تجاه العرابيين، خاصة وأنهم أحرقوا له جريدته ، كما أنه يصعب علينا ألا ننتقد أسلوبه في الكتابة الذى لم يستطع فيه التخلص من السجع والزخارف اللفظية، فإن ما كتبه يظل مفيدا للمؤرخ الذى يتعرض للثورة العرابية خاصة.

وكتب ميخائيل شاروبيم(٥٦) «الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث»(٥٧) وفى هذا الكتاب تعرض المؤلف لتاريخ مصر من بداياته وحتى تولية عباس الثانى أريكة الخديوية بشكل يجمع فى أسلوبه بين طريقة السلف فى الكتابة التاريخية ومحاولة مواكبة الأسلوب الحديث البعيد عن السجع والتكلف وقد استخدم فى كتابته طريقة الحوليات، واستطاع أن يرصد بها قدراً كبيراً من الحوادث والمعلومات التاريخية بشكل أراد به أن يثبت وحدة تاريخ مصر واتصاله بشكل لا ينقطع.

ومع أن أسلوب هذا الكتاب وطريقته ينتميان إلى كتابات مؤرخى العصور الوسطى من حيث أن صاحبه لم يهتم بذكر قوائم مراجعه أو المصادر التى استقى منها كتاباته، فإن رصده للوقائع لم يخلو من التحليل والتعليق فى بعض الأحيان، كما أن تخلصه من

الأنماط الأسلوبية القديمة إلى حد كبير وابتعاده عن السجع وتقييمه للحوادث يجعله يفترق عن مؤرخى العصور الوسطى.

وعلى أى حال فإنه نتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مرت بها مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب وما أعقبه من تدخل أجنبى فى شئون مصر، ثم حضور جمال الدين الأفغانى، وظهور الصحف السياسية، وقيام الثورة العرابية وانكسارها والاحتلال الإنجليزى لمصر وانبعاث الحركة الوطنية على يد مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من رجالات مصر أكبر الأثر فى ازدهار الحركة التاريخية خاصة بعد أن بدأ المصريون يكتبون عما يجيش فى صدورهم من موضوعات سياسية ووطنية، وعما يعانيه وطنهم من آلام وما يجيش فى صدورهم من آمال بهدف حفز الهمم وإيقاظ العقول وتقوية الوعى الوطنى لدى أفراد الشعب المصرى.

حقيقة أن ما كتبه معظم أفراد هذه المدرسة لم يهدف إلى خدمة الدراسات التاريخية، أو لإقرار واقع تاريخى بقدر ما كان شغلاً لأوقات فراغهم أو إبرازا لمواقف معينة وقد أسهمت الصحافة فى ذلك بجهد كبير فساعدت على تكوين الرأى العام، وشجعت المصريين على التحدث عن شئون بلادهم بصراحة، كما دفعتهم إلى

التعبير عن آمالهم وأهدافهم.

ومن المعروف أن الصحف المصرية فى ذلك الوقت تجاذبتها تيارات مختلفة، فكان هناك التيار الوطنى الثائر الذى تمثل فى كتابات «جمال الدين الأفغانى» وتلاميذه والتى تمثلت فى العديد من الصحف أمثال «مصر» و«التجارة» و«الطائف» و«الزمان» و«المفيد» و«أبو نظارة» وهناك الصحف المناوئة للحركة الوطنية والتى تدافع عن الانجليز وتتغنى بمحامدهم وتشيد بنعمة الاحتلال مثل «المقطم» و«المقتطف» و«الاهرام» ، كما كان هناك الصحف الموالية للتيار العثمانى الذى يستمد قوته من الأصول المتعددة التى تربط مصر بالدولة العثمانية ويتخذ من تيار الجامعة الإسلامية مظهراً له مدفوعا بالولاء الدينى وقد مثلت صحف «مصطفى كامل» هذا التيار أبلغ تمثيل ورغم ذلك ورغم أن الصحافة قد لا يتسم أسلوبها فى بعض الأحيان بالموضوعية فإنها كانت عاملاً من عوامل النهضة التاريخية الحديثة.

يضاف إلى ذلك أن ما كتبه قادة الثورة العرابية من مذكرات فى أواخر القرن التاسع عشر كان مفيداً إلى حد كبير فى تغذية الروح القومية لدى المصريين ، وتفهم وقائع الأحداث، وإنعاش الحركة التاريخية بوجه عام وأبرز الأمثلة على ذلك ما كتبه محمود فهمى

المهندس وعبد الله النديم والشيخ محمد عبده وأحمد عرابى من مذكرات من خلال فترة النفى أو الاختفاء فكتب محمود فهمى المهندس [٥٨] البحر الزاخر فى تاريخ العالم و«أخبار الأوائل والأواخر» [٥٩] ذلك الكتاب الذى ساير طريقة الحوليات الذى تطرق إلى تاريخ العالم منذ أقدم العصور وامتد إلى أواخر القرن التاسع عشر، وأهم ما فى هذا الكتاب وما كتبه المؤلف عن الثورة العرابية ووجهة نظره تجاهها، وترجع أهمية ما كتبه إلى أنه كان أحد شهود العيان الذين شاركوا فى هذه الثورة، وكان من رجالها البارزين، ومع ذلك يتضح من كتاباته تحامله على عرابى حتى وصل به الأمر إلى التجنى على الحقائق التاريخية وقد يرجع ذلك إلى خصومة حدثت بينهما فى المنفى[٦٠].

وإلى جانب ذلك فلمحمود فهمى مذكرات عن الثورة العرابية موجودة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة تحت عنوان «أوراق الحضرة الخديوية والثورة العرابية» وهى عبارة عن مذكراته الخاصة حول ما شاهده فى أثناء ضرب الإسكندرية والأعمال التى قام بها، ومذكرة عن تسليم نفسه للإنجليز ومذكرة للخديو يتنصل فيها من التبعات التى أخذت عليه وتلغراف منه إلى عرابى يخبره فيه بالحالة الحربية، وما وصلت إليه من سوء.

ورغم خروج «محمود فهمى» على الموضوعية فى بعض الأحيان فإن ما كتبه يعد من المصادر المهمة فى دراسة تاريخ الثورة العرابية وأحداثها.

وكتب عبد الله النديم مذكراته السياسية تحت عنوان «كان ويكون»[٦١] فى أثناء فترة اختفائه عن أعين الإنجليز والحكومة من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩١ وتتضمن هذه المذكرات موضوعات دينية وأدبية وتاريخية وسياسية ومقارنات بين الأمم والأجناس الشرقية والغربية فى أحوالهم وأطوارهم واختلاف طرقهم ومناهجهم كما حكى النديم فيها عن أحواله فى الفترة التى كان مختفيا فيها، ومذكراته عن الثورة العرابية، ورسائله إلى عرابى، وإلى جانب ذلك فللنديم مؤلفات عديدة تعرض معظمها للضياع وما تبقى منها مثل كتاب «المسامير»[٦٢] الذى كتبه فى هجاء «أبو الهدى الصيادى» وماتم جمعه تحت عنون «سلافة النديم» يثبت أن أفكار النديم السياسية والاجتماعية كانت سابقة لأفكار أبناء وطنه، وكانت جديدة عليهم لم يسمعوا عنها من قبل حيث نبه أفكارهم إلى موضوعات جديدة أيقظ بها الرأى العام المصرى بعد فترة رقاد.

وكتب الشيخ محمد عبده «تاريخ أسباب الثورة العرابية»[٦٣]بين فيه أسباب هذه الثورة وحوادثها ، وتوقف عند مظاهرة عابدين،

وقد بدأ الشيخ محمد عبده كتابه بوصف أحوال مصر عندما نزل الخديو اسماعيل عن العرش، وظروف تولية الخديو توفيق.

كما أوضح أن النهضة الوطنية التي ظهرت في مصر من خلال هذه الفترة ترجع إلى «جمال الدين الأفغاني» وما له من أثر على ازدهار الصحافة العربية وترقية أفكارها.

وقد أوضح الشيخ «محمد عبده» أنه لم يكن راضيًا عن حركة العسكريين في بداية الأمر لأنه كان يرى ضرورة الاهتمام بتربية وتعليم الأمة، ويتوقف الكتاب كما ذكرنا عند حادثة عابدين وعزل رياض باشا وتولية شريف مكانه، ولم يتم الشيخ محمد عبده باقي أحداث الثورة نظرا للخلاف الذى حدث بينه وبين الخديو عباس الثاني بسبب ماذكره عن إسراف جده إسماعيل، وسوء إدارته للبلاد، وعن نقده للخديو توفيق لعدم تمكنه من وقف التدهور الذى حاق بمصر.

ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في دراسة أسباب الثورة العرابية وأحداثها، ووجهة نظر الشيخ محمد عبده في بعض رجالها، وتبرز أهميته أيضا في أن الشيخ محمد عبده عبر عن وجهة نظره كأحد تلاميذ الأفغاني الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا في أثناء مناداتهم بالإصلاح، وفي أنه أحد شهود العيان الذين شاهدوا

الأحداث، وشاركوا فى اتخاذ بعض القرارات المهمة التى اتخذها العرابيون للدفاع عن مصر.

وكتب أحمد عرابى «كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية»[٦٤] وهذه المذكرات تضىء للمؤرخين بعض النواحى، وتذلل لهم سبل البحث ، وتزيح الريب والشكوك عن الثورة وزعيمها وقد تعرض عرابى فى هذه المذكرات لنشأته ونسبه والأحداث التى تعرضت لها مصر أيامه، وأبرز ما يمكن أن تستخلصه مما كتبه عرابى أنه استعمل لفظ «المصريين» و«الأمة المصرية» بمعناه الحديث واعتبر غير المصريين أجانب، سواء كانوا من الأتراك أو الأرمن أو غيرهم، سواء كانوا من المسلمين أو النصارى كما أنه فى حديثه عن الحملة الحبشية اتهم أركان الحرب الأجانب العاملين فى الجيش المصرى بالخيانة وبأنهم كانوا السبب فى المآسى التى تعرض لها الآلاف من الجنود المصريين وانتهت بإبادتهم ، يضاف إلي ذلك اتهامه للخديو إسماعيل بعد خروجه من مصر بأنه سرق من الخزانة ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات.

وعن الأحكام التى صدرت على زعماء الثورة ، ذكر عرابى أنه حكم عليه بالإعدام ومعه ستة من زملائه، ولكن استبدل ذلك الحكم بالنفى المؤبد من مصر وملحقاتها ، كما صدرت الأوامر بمصادرة

أملاك العرابيين ونفيهم إلى سيلان حتى أمر الخديو بالعفو عنهم فى عام ١٩٠١ بعد غياب دام تسعة عشر عاما وأربعة أشهر.

والجدير بالذكر أن عرابى فرغ من مذكراته فى السادس والعشرين من يوليو ١٩١٠.

ورغم الأهمية الكبرى لهذه المذكرات من الناحية التاريخية خاصة وأن قائد الثورة العرابية هو كاتبها، فإن ما بها من معلومات يحتاج من الباحثين إلى تمحيص وتدقيق للكثير مما ورد فيها.

وجملة القول أن كتابات ومذكرات قادة الثورة العرابية كان لها أبرز الأثر فى تفهم العديد من الأحداث وإيضاح الكثير من الحوادث التى لم يتطرق الآخرون إليها.

وهكذا يتضح أن ما كتبه زعماء الثورة العرابية فى مؤلفاتهم أو مذكراتهم انحصر إلى حد كبير فى تعليل أسباب قيامهم بالثورة وشرح وقائعها والتنصل من تبعاتها وأسباب فشلها ولعل السبب الذى دفعهم إلى هذه الكتابات هو شغل أوقات فراغهم سواء من خلال فترة النفى أو الاختفاء لذلك تأثروا جميعهم بأحوالهم غير المرضية فى أثناء الكتابة وانصب ذلك على قيام بعضهم بالخروج على الموضوعية فى بعض الأحيان.

ومهما يكن من أمر فإن ما كتبوه يعد لونا جديدا من ألوان

الكتابة التاريخية عرفته مصر في أواخر القرن التاسع عشر، ولم تكن لها معرفة به من قبل(٦٥).

وعلى أي حال فبعد فشل الثورة العرابية لم تتوقف حركة النضال الفكرى، فاشترك الأفغاني مع محمد عبده في إصدار جريدة «العروة الوثقى» في باريس لمهاجمة الاستعمار والدعوة إلى التضامن الإسلامي.

ولم يتوقف الأمر على النواحي السياسية فحسب، فقد ظهرت في مصر بعض الأفكار الاجتماعية المتأثرة بالتيار الليبرالي الأوربي فدعا قاسم أمين إلى تحرير المرأة في كتابيه «تحرير المرأة»(٦٦) و «المرأة الجديدة» (٦٧) وأرجع الاضمحلال الذي تعاني منه مصر إلى وضع المرأة المصرية وتخلفها ورأى أن العلاج الناجع لذلك هو التعليم.

وفي نهاية هذا الفصل يمكن القول أن تطور حركة التأليف التاريخي في القرن التاسع عشر ذلك القرن الذي أخذ فيه الشرق يصحو من ثباته، وينفض عن نفسه غبار الخمول والتخلف كان لها أثرها الواضح في ازدهار الحركة التاريخية في مصر في القرن العشرين.

حقيقة أن هذه الحركة لم تقم على أكتاف مؤرخين متخصصين وإنما قامت على أكتاف الهواة وعشاق التاريخ الذين قدموا دراسات

رائدة، وإن كان معظمهم قد اهتم بالجمع والتنسيق والمنمقات البديعية أكثر من التدقيق والتحقيق، والذى برز منهم العديد من كتاب التاريخ الثقاة أمثال عبد الرحمن الجبرتى ذلك الشيخ الأزهرى الذى دون الحوادث والوقائع كما رآها بعينه أو سمعها بأذنه من معاصريه، والذى يعد ما كتبه امتدادا لنظام الحوليات، ورفاعة الطهطاوى الأزهرى المتفرغ الذى تمثل كتاباته نقطة تحول بارزة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى وإن كانت معظم كتاباته لا تخلو من السجع الأجوف، وعلى مبارك الذى كان مصنفا وجامعا وكانت اهتماماته بالتاريخ واضحة رغم أنه كان مهندسا، ومحمد عبده الذى اشتهر بمحاولاته فى التوفيق بين الدين والعلم الحديث، وعبد الله النديم الذى هاجم عيوب مجتمعه بأسلوب يمتزج فيه التبكيت مع التنكيت وغيره.

وحقيقة أن هذه الكتابات فى مجملها لم يلتزم فيها أصحابها بقواعد الكتابة الحديثة، خاصة وأنهم عبروا عما كتبوه بطريقة عصرهم ولم تكن الكتابة التاريخية وظيفة أساسية فى حياتهم ومع ذلك فيحمد لهم ما كتبوه خاصة وأنهم أضاءوا الطريق لمؤرخى القرن العشرين الذى برزوا بدراساتهم الأكاديمية خاصة بعد افتتاح الجامعة المصرية.

هوامش:

١ـ طبع عدة طبعات بعد أن ظل محجوبا لفترة ليست بالقليلة، وبعد أن أذن الخديوى توفيق بطبعه طبع لأول مرة فى عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩ بالمطبعة الأميرية ببولاق ثم تكرر طبعه فطبع بالمطبعة الشرفية فى عام ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م فى أربعة أجزاء وقامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه تحت إشراف الأستاذ محمد شفيق غربال فى عام ١٩٥٨ كما ترجم إلى الفرنسية فى تسعة أجزاء.

٢ـ يؤرخ هذا الكتاب للحملة الفرنسية على مصر، وكان الجبرتى قد أهداه إلى يوسف باشا القائد العثمانى الذى دخل القاهرة فى أعقاب خروج الفرنسيين منها، وقد قامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه فى عام ١٩٦١ والجدير بالذكر أن الجبرتى قد أفاد فى تاريخه من جهود بعض المعاصرين له أمثال اسماعيل الخشاب وحسن العطار كما أفاد أيضا من جهود من سبقه من المؤرخين.

٣ـ أرنولد توينبى. عبد الرحمن الجبرتى وعصره ـ ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث ص ١٥.

٤ـ محمد شفيق غربال عبد الرحمن الجبرتى ـ ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث ص ٩ ـ ١١.

٥ـ من تقديم عزت عبد الكريم للدراسات والبحوث التى قدمت من خلال ندوة الجبرتى التى أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ابريل ١٩٧٤.

٦ـ محمد أنيس : الجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى، دراسة ضمن بحوث الندوة.

٧-راجع ما كتبه ماكدونالد Macdonald في ترجمته للجبرتي في دائرة المعارف الإسلامية مادة «جبرتي» وما كتبه وليم لين في كتابه الأحوال والعادات في مصر الحديثة.

The , Manners , customs of the modern Egyptian, London , 1836

٨-أسدرستم: المحفوظات الملكية المصرية، المجلد الأول ١٨١٠ - ١٨٣٢ تحت عنوان «ما لا يستغنى عنه الباحث».

٩-من المفيد الإشارة إلى أن ماكتبه الجبرتي في «مظهر التقديس » يختلف عما كتبه في «عجائب الآثار» ففي مظهر التقديس يخرج الجبرتي عن الموضوعية أحيانا، وينظر إلى الحوادث بعاطفته الدينية والوطنية فيرى كل ما هو فرنسي كريه، ويكفي أن يكون الحكم غير إسلامي لينتقده، ولكنه في عجائب الاثار تخلى عن هاتين العاطفتين.

للتفاصيل انظر د. محمد أنيس: الجبرتي بين مطهر التقديس وعجائب الآثار، مجلة كلية الآداب المجلد الثامن عشر جـ١ مايو ١٩٥٦ ص ٥٩ - ٧٠.

١٠-الجبرتي · عجائب الآثار جـ٣، القاهرة ، المطبعة الأميرية صفحات ٢٦ ، ٣٤، ٣٥.

١١-الجبرتي: عجائب الآثار جـ٤ ص ٢٧٢.

١٢-عجائب الآثار جـ٣ ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

١٣-نفسه جـ٣ ص ٣١٣.

١٤-نفسه جـ٣ ص ٣٦٩.

١٥-نفسه جـ ٤ ص ٩٠ وللتفاصيل انظر د. عبد المنعم الجميعي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابات المورخ المصرى عبد الرحمن الجبرتي: الرياض ، العدد الأول من مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

والـلافت للنطر أنه رعم أن الجبرتى كان قاهريا، والريف كان على هامش حياته إلا أنه كـان على علم بحـيـاة الفلاحين خـاصـة وأنه كـان يمتلك أرضـا بقـرية «إبيار» بالقرب من كـفر الزيات لتـفاصيل ذلك انظر دراسة للدكتور رءوف عـبـاس تحت عنـوان «تصـوير الجبـرتى للمـجتـمع الريفى ندوة الجبـرتى ص ٤١٣.

١٦ـ عجائب الآثار جـ٣ ص ٥٢٨.

١٧ـ عـمل فى خدمـة الأمـيـر بشـيـر الـشـهـابى، وحـضـر إلى مـصـر قـبل الحملة الفرنسية بزمن قصير، والكتاب طبع فى باريس مع ترجمة فرنسية له.

١٨ـ كـان رئيـسـا للديوان أيام الـفـرنسـيين وقـد ترجم له الجبـرتـى فى وفـيـات ١٢٢٧هـ ومن المعروف أن الشـيخ الشـرقـاوى تعاون مع الفرنسيين وانبهر بتفوقهم لذلك كـان اختيـاره كرئيس للديوان الأول اختيـارا مقـصـودا من جانب بونابرت.

١٩ـ محـمود الشـرقـاوى: دراسات فى تاريخ الجبرتى ـ مصـر فى القرن الثامن عشر جـ١، القاهرة الإنجلو المصرية ١٩٥٥ ص ٢٩.

٢٠ـ أحمد حافظ عوض فتح مصر الحديث ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦.

٢١ـ الجدير بالذكر أنه لا صحة لما يذاع حول أن هناك جزءا خامسا من كتاب عجائب الآثار لم يصرح بطبعه لما فيه من الطعن على محمد على لأنه توجد نسخة خطية من تاريخ الجبرتى فى مكتبة وزارة الحربية الفرنسيـة بباريس، ولو كـان فـيـهـا شىء لم ينشـر فى الطبـعـة العـربيـة لما خـفى أمره على المستشرقين والباحثين الأوروبيين.

انظر عوض، المرجع السابق ص ٤٣٨.

٢٢ـ جاك كرابس: كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر ـ ترجمة عبد الوهاب بكر ـ القاهرة، الألف كتاب الثانى (١١٨) ١٩٩٣ ص ٨٢.

٢٣ـ يذكر البعض أن جزء من تاريخ الجبرتي احترق، وكان يتضمن حوادث ما بعد سنة ١٢٣٦هـ. انظر الشرقاوى: المرجع السابق ص ١٦.

ومن المعلوم أن محمد على أوعز إلى بعض الموالين إليه بنقد كتاب الجبرتي وتجريحه فكتب الشيخ خليل الرجبي كتابا بعنوان «تاريخ الوزير محمد على باشا» عرض فيه لمآثر محمد على وأشاد بأعماله ، ورد على ما جاء في كتابات الجبرتي بشأن محمد على.

٢٤ـ للتفاصيل انظر جمال الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٥١ ص ١٥١ ـ ١٥٤ وأيضا التاريخ والمؤرخون فى مصر في القرن التاسع عشر ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

٢٥ـ كان ثمرة تفكيره مشروعين علميين الأول ترجمة بعض المؤلفات التاريخية إلى اللغة العربية حتى يضع بين يدى المصريين تاريخا متكاملا يغطى العصور التاريخية المختلفة، والثانى إنشاء مدرسة للتاريخ والجغرافيا، ويبدو أن هذه المدرسة لم تعش طويلا.

٢٦ـ من هده المؤلفات ـ نظم اللآلىء فى السلوك فيمن حكم فرنسا من الملوك وهوتاريخ فرنسا ويشتمل على مقابلة رمنية بالتاريخ الإسلامى.

ـ مطالع شموس السير فى وقائع كرلوس الثانى عشر وهو تاريخ لشارل الثانى ملك السويد .

ـ اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوروبا .

ـ تاريخ بطرس الأكبر .

٢٧ـ طبع عام ١٨٦٨ .

٢٨ـ نشر لأول مرة فى عام ١٨٣٤، ثم طبع بعد ذلك ثلاث طبعات، وترجم فيما بعد إلى التركية ولقى قبولا واسعا بين أوساط المثقفين فى استانبول.

٢٩ـ الجدير بالذكر أن محمد على قرأ هذا الكتاب بعد أن ترجم له إلى

التركية، وطبع بعد ذلك عدة طبعات من أشهرها الطبعة التى أشرفت وزارة الثقافة والإرشاد القومى على إخراجها وكلفت الدكتور مهدى علام وبعض الاساتذة بالتعليق عليها والتقديم لها وكان ذلك فى عام ١٩٥٨م.

٣٠ـ نشر لأول مرة فى عام ١٨٦٩.

٣١ـ نشر حسين المرصفى من خلال هذه الفترة وبالتحديد فى عام ١٨٦٩ كتابه «الكلم الثمان» وفيه تعرض لدراسة الكلمات الجديدة التى وفدت على الفكر السياسى المصرى مثل الوطن ، والحرية، والأمة، والعدالة، والعلم، والسياسة، والحكومة، والتربية.

٣٢ـ محمد عبد الغنى وعمد العزيز الدسوقى· روضة المدارس، نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ١٢.

٣٣ـ رفاعة الطهطاوى : تخليص الأبريز فى تلخيص باريز، تحقيق مهدى علام وآخرين، القاهرة البابى الحلبى ١٩٥٨ ص ١٠٥.

٣٤ـ الرافعى: عصر محمد على ص ٤٨٩.

٣٥ـ أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر ـ عصر عباس وسعيد القاهرة ١٩٤٥ ص ٥٨.

٣٦ـ أحمد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك، القاهرة، لجنة البيان العربى ١٩٥٠ ص ٤٧.

٣٧ـ عن سيرة حياته انظر الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ٣٧ ـ ٦١.

٣٨ـ تشتمل الخطط التوفيقية على عشرين جزء فى خمسة مجلدات كبيرة، وقد أراد على مبارك أن يكمل بها ما كتبه القريزى فى خططه، وهى عبارة عن موسوعة مهمة تضم العديد من التراجم والأعلام، كما تتناول معلومات مهمة عن القرى والمدن المصرية بما فيها من مؤسسات دينية وثقافية من

خلال القرن التاسع عشر وقد سماها بالخطط التوفيقية نسبة إلى الخديو توفيق، وقد جاءت هذه الخطط فى بعض الوجوه أتم وأوفى من خطط المقريزى خاصة وأن صاحبها تتبع تاريخ الخطط فى ظلمات العصر العثمانى، وحقق المعالم والمواقع الأثرية القديمة على ضوء الأطلال الدارسة والمنشئات المحدثة التى تفصلها عن الماضى قرون طويلة.

٣٩ـ طبع بمطبعة وادى النيل فى عام ١٢٧٩هـ بهدف تعليم الضباط والعساكر أيام سعيد باشا طرق الحساب والهندسة والاستكشافات العسكرية.

٤٠ـ قصة فى أربعة مجلدات قسمت إلى مسامرات بلغت ١٢٥ مسامرة وتدور حول رجل أزهرى تتلمذ عليه مستشرق انجليزى تعلم منه العربية وعلمه الإنجليزية وسافر معه إلى انجلترا ، ومن خلال ذلك يرصد على مبارك أهمية الاحتكاك الحضارى بين الشعوب.

٤١ـ طبع بمطبعة وادى النيل ١٢٨٧هـ ويبلغ عدد صفحاته ٨١ صفحة.

٤٢ـ طبع بمطبعة المدارس فى عام ١٢٨٩هـ.

٤٣ـ وهذا الكتاب يرسم سياسة مستقبلية لمصر تعتمد أولا وقبل كل شىء على الزراعة المصرية وعلى ما يقوم عليها من تصنيع ثم يقدم بعض النتائج المستخلصة من المقارنات.

انظر محمد أحمد خلف الله: على مبارك وآثاره ، القاهرة، الإنجلو المصرية ١٩٥٧ ص ٢٠٨ ـ ٢١٤

٤٤ـ انظر الخطط التوفيقية، الجزء الأول ص ٢ .

٤٥ـ طبع بمطبعة بولاق بالقاهرة فى عام ١٣١١هـ.

٤٦ـ طبع فى ثلاثة أجزاء بمطبعة بولاق.

ويعتبر البعض إسماعيل سرهنك من كتاب القرن العشرين لأنه توفى فى عام ١٩٢٤ ولكننا آثرنا إلحاقه بمؤرخى القرن التاسع عشر خاصة وأنه ألف

الجزءين الأول والتانى من كتابه فى أواخره وتم طبعها فى عام ١٨٩٦ وعام ١٨٩٨.

ومن المعروف أن سرهنك ولد فى عام ١٨٦٧ والتحق بالمدرسة الحربية بعد أن أتم دراسته الابتدائية رتخرج ضابطا منها، وتولى قيادة كثير من سفن الأسطول المصرى، وشارك فى العديد من العمليات الحربية والبحرية.

٤٧ـحقائق الأخبار ص ٣.

والجدير بالذكر أن الجزء الثالث من هذا الكتاب طبع فى عام ١٩٢٣ أى بعد صدور كتاب على مبارك حقائق الأخبار فى أوصاف البحار بربع قرن تقريبا.

٤٨ـناقش كرابس ذلك فى كتابه سابق الذكر ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

٤٩ـطبع الجزء الأول بمطبعة بنى لاغوداكى بالاسكندرية فى عام ١٨٩٩.

٥٠ـطبع بمطبعة بولاق فى عام ١٨٩٤.

٥١ـالقول التام ص ٦.

٥٢ـنشر بالقاهرة عام ١٣٠٦هـ.

٥٣ـكرابس: مرجع سابق ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

٥٤ـهاجر إلى مصر فى عهد اسماعيل وعمل بالتمثيل والصحافة ولما قامت الثورة العرابية شايع عرابى فترة ثم انقلب عليها وأصبح واحدا من أقوى المعارضين له وظل على ذلك الحال حتى توفى فى عام ١٨٨٤.

٥٥ـهذه المجلدات الثلاثة أوقفت الحكومة طبعها لأنها وجدت فى ترجمة محمد على والخديوى إسماعيل ما يتحتم حدفه انظر جرجى زيدان· تارخي آداب اللغة العربية جـ٤ القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩١٤ ص ٢٨٧.

٥٦ـقبطى مصرى ولد فى حى السقايين بالقاهرة فى عام ١٨٦١ وتقلب فى مناصب عديدة.

٥٧ـصدر فى أربعة أجزاء بين عام ١٨٩٨، ١٩٠٠ ويتكون من ١٧٣٨ صفحة

من القطع الكبير.

٥٨- توفى فى السابع عشر من يونيو ١٨٩٤ فى منفاه بسيلان، ومما كتبه عنه طبيبه أنه كان نشيطا ويهوى المكتبة ويقوم بترجمة كتب التاريخ من الإنجليزية إلى العربية.

انظر لطيفة سالم: عرابى ورفاقه فى حنة آدم ١٨٨٣ - ١٩٠١ القاهرة، الإنجلو المصرية ١٩٨٦ ص ٨٤.

٥٩- طبع هذا الكتاب فى عام ١٣١٢هـ فى مطبعة بولاق بالقاهرة أى بعد وفاته بحوالى عام.

٦٠- انظر البحر الزاخر جـ١ ٢١٠-٢٣٧.

٦١- قمنا بنشر هذا الكتاب مع عمل مقدمة تحليلية له بالهيئة المصرية العامة للكتاب عن طريق مركز تاريخ مصر المعاصر.

٦٢- قمنا بنشر هذا الكتاب مع عمل مقدمة تحليلية له عن طريق مركز تاريخ مصر المعاصر.

٦٣- نشر محمد رشيد رضا هذا الكتاب ضمن كتابه تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده جـ١ ص ١٥٩ وما بعدها.

٦٤- مخطوط تحت رقم ١٥٤٢ علما بأنه يوجد بدار الكتب نسخة مصورة عن الأصل المخطوط تحت رقم (ح ٢٤٩٥٥) وتم نشر أجزاء منها.

٦٥- الشيال: التاريخ والمؤرخون ص ١٧٤.

٦٦- نشر لأول مرة فى عام ١٨٩٩.

٦٧- نشر لأول مرة فى عام ١٩٠٠.

الفصل الثانى:
المؤرخون [1] الهواة وانتعاش الحركة التاريخية فى مصر خلال القرن العشرين

يمكننا تقسيم الاتجاهات التى ساعدت على إنعاش الحركة التاريخية فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر، وعلى امتداد القرن العشرين إلى إتجاهين.

الأول : اتجاه الهواة من المؤرخين والثانى : الاتجاه الأكاديمى لكتابة التاريخ .

وبالنسبة للمدرسة الأولى فيمكننا تقسيمها إلى عدة مجموعات :

١ـ المجموعة الأوروبية وتنقسم إلى قسمين:

(أ) ـ مجموعة الموظفين والسياسيين والإداريين الإنجليز الذين شاركوا فى حكم مصر وإدارتها بعد الاحتلال .

(ب) ـ المجموعة ذات الإتجاهات المناصرة للحركة الوطنية .

٢ـ مجموعة القصر ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

(أ) ـ مجموعة الأمراء وكبار الموظفين بالقصر .

(ب) ـ المجموعة الأجنبية التى دعاها الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرته .

٣ـ مجموعة الحركة الوطنية ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

(أ) ـ المجموعة التى تناولت تاريخ مصر بشكل مباشر.

(ب) ـ مجموعة الأدباء والشعراء الذين تطرقوا لتاريخ مصر.

(ج) ـ المجموعة الصحفية.

٤ـ مجموعة الكتاب الشوام التى وفدت إلى مصر وشاركت فى إثراء التاريخ أمثال سليم النقاش ، وجرجى زيدان، وعبد الرحمن الكواكبى:

٥ـ مجموعة الكتاب العسكريين الذين تناولوا تاريخ مصر الحديث ومن هؤلاء أحمد حمروش وجمال حماد.

وبالنسبج لاتجاهات المدرسة الأكاديمية التى تحملت على عاتقها حركة تمصير التاريخ المصرى بداية بشفيق غربال وصبرى السربونى وحسن عثمان وفؤاد شكرى وعزت عبد الكريم ومحمد أنيس وعبد العزيز الشناوى وتلاميذهم فإنه يمكن تقسيمها إلى ما يلى اتجاه مدرسة الفرد (البطل فى التاريخ) واتجاه مدرسة رانكة الألمانية، واتجاه مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادى، واتجاه المدرسة التفسيرية والاتجاه الإسلامى وتيار دراسة التاريخ الأوروبى وسنقصر هذا الفصل على المؤرخين الهواة Amateur historiam .

١ـ المجموعة الأوروبية.

أ ـ وتشمل مجموعة الإداريين والسياسيين والموظفين الإنجليز الذين شاركوا فى تطورات الأحداث بمصر وكانت لهم اليد الطولى فى إدارة شئونها ومراقبة أحوالها ومن أبرز هؤلاء اللورد «كرومر» فى كتابيه Abbas II, Modern Egypt ، وملنر Milner فى كتابه England in Egypt واللورد لويد Lioyd lord فى كتابه Egypt Since Cromer .

وقد اعتنق أفراد هذه المجموعة فكرة أن الفوضى كانت سائدة فى مصر قبيل وصول الأوروبيين إليها وأن الإنجليز قاموا ببذر بذور الحضارة الحديثة فيها، وأن مقدرة الوزراء المصريين ومساعديهم على الحكم لم تتحسن إلا فى ظل الإدارة الأوروبية، وأن الحزب الوطنى فى مصر لا يعبر عن آراء المصريين ومصالحهم الحقيقية، وأن الروابط التى كانت تربط مصر بالدولة العثمانية ساعدت على انتشار الفساد والرشوة والحكم الاستبدادى، وأن الإنجليز يرغبون فى إزالة ذلك الحجاب الكثيف من التعصب الدينى لدى المصريين الذين يتمسكون برابطة الجامعة الإسلامية فقد هاجم كرومر الفكرة الإسلامية فى كتابيه وصور المسلمين فى صورة الهمج المتخلفين(٢) وهاجم الإسلام واتهمه بأنه دين رجعى لا يصلح لقيام نظام اجتماعى حديث وزعم أن الإنجليز ما جاءوا إلى مصر إلا لرفع الظلم

وإحياء العدل، وإليهم يرجع الفضل في انقاذ مصر من الإفلاس والخراب وإقامة اقتصادها على أساس متين، وإليهم وحدهم يرجع الفضل في رفع الاستعباد عن الفلاح المصرى المسلوبة ارادته والمستعبد من جانب الأتراك الشراكسة، وإليهم أيضا يرجع الفضل في عدم التفرقة بين الناس على أساس الجنسية أوالدين [٣] وأنه يجب على الخديو أن يدين بالولاء لانجلترا التى حافظت على مركزه في مصر [٤] يضاف إلى ذلك أن بعض أفراد هذه المجموعة شجعوا على فكرة القومية المصرية المنفصلة عن الدولة العثمانية والفكرة الإسلامية، وتكوين رأى عام يناصر هذا الاتجاه[٥] ويمنع أى تدخل فعلى من جانب الدولة العثمانية في شئون مصر[٦] كما دعوا إلى إصلاح أحوال مصر عن طريق الاهتمام بالانتاج الزراعى حتى تتمكن من تنمية مواردها والوفاء بالتزاماتها الدولية وبذلك يتوطد مركز انجلترا في مصر وتستطيع منع تدخل الدول الأخرى فيها [٧] وإلى جانب ذلك دعا «ملنر» إلى نجلزة المسئولين المصريين من الناحية المعنوية حتى يؤدوا مهامهم بنفس الروح التى يؤديها بها الإنجليز [٨] وإلى إصلاح النظام الإدارى من أصله إلى فروعه وتعليم جهاز من رجال الإدارة للقيام بأعباء الحكم[٩] كما دعا كرومر إلى إلغاء التعليم المجانى وأن من يريد أن يتعلم عليه أن يثبت ذلك بدفع

نفقات تعليمه [١٠].

ب ـ أما عن المجموعة الثانية ذات الاتجاهات المناصرة للحركة الوطنية فقد عرفت مصر مؤرخين أجانب أبدوا تعاطفهم مع الحركة الوطنية المصرية نذكر منهم John Ninet «جون نينيه» السويسرى صاحب كتاب Arabi Pacha والذى كان صديقا مقربا لعرابى وملازما له منذ قيام ثورته، والذى دافع عن الفلاح المصرى دفاعا واضحا وأشاد بدوره فى إمداد عرابى بكل ما يملك من النفس والنفيس [١١].

ورغم أن المسيو نينيه دافع عن عرابى وقضى معه الشهر الأول من الحرب فى كفر الدوار إلا أنه اعترف بالأخطاء التى وقع فيها العرابيون فقد ذكر أن بساطة عرابى جعلته يرتكب أخطاء كبيرة ظهرت آثارها فيما بعد، فبقدر ما بذل من جهود فى الدفاع عن الإسكندرية وتحصين خطوط الدفاع فى كفر الدوار بحيث تعذر على الإنجليز دخولها فقد أظهر غفلة بالغة عندما استمع إلى نصائح المسيو دلسبس حين ذكر له أنه لا يمكن للإنجليز اقتحام القناة، وصدق عرابى ذلك ولم يهتم مطلقا بإغلاق القناة فى وقت مناسب.

ونتيجة لموضوعية كتابات المسيو «جون نينيه» فإن كتابه عن عرابى يعد كتابا بالغ الأهمية لدارسى الثورة العرابية خاصة وأن

صاحبه كان شاهد عيان للأحداث فكتب عنها كما رآها لا كما سمع عنها وهذا ما يعطى لأقواله قدرا كبيرا من الأصالة خصوصا وأنه يمثل وجهة نظر محايدة للثورة العرابية، وأن لشهادته قيمة تاريخية خاصة.

وهناك بلنت [١٢] Bulnt صاحب كتاب «التاريخ السرى للاحتلال البريطاني في مصر Secret History of the English occupation of Egypt ذلك الإنجليزى الذى وقف بجانب الثورة ورجالاتها والذى يعد كتابه مصدرا رئيسيا للحركة الوطنية من خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر خاصة وأن صاحبه كان شاهد عيان لأحوال مصر خلال هذه الفترة وعلى صلة مباشرة برجالاتها، كما أنه كان على صلة واضحة أيضا بالخارجية البريطانية خاصة المتعلق منها بشئون مصر.

ومن المحتمل أنه قام بدور مزدوج من خلال علاقاته بالطرفين وكتابه يعد من المراجع الأساسية والمهمة لدراسة أحداث الثورة العرابية وتطوراتها.

وهناك «برودلى» محامى العرابيين وصاحب كتاب «كيف دافعنا عن عرابى ورفاقه» ،

How we defended Arabi and his friends a story of

Egypt and the Egyptians(13) .

وصاحب الدور الأساسى فى الدفاع عن قادة الثورة العرابية بعد انكسارهم فبعد أن بدأت محاكمة العرابيين عقب الهزيمة طلبت المحكمة من عرابى الاستعداد للدفاع عن نفسه أو تعيين محام عنه فاختار عرابى المحامى المصرى «عبد الكريم ناجى» للدفاع عنه لكن هذا المحامى رفض الدفاع عن عرابى خشية بطش الخديو به، وقد حدا ذلك بالمستر بلنت Bluntأحد أصدقاء العرابيين إلى الاتفاق مع المحامى الإنجليزى برودلى للدفاع عن عرابى، وقد وافق عرابى على توكيل برودلى فى الدفاع عنه، وقدم له مستندات القضية. كما كشف له عن بعض الوثائق التى كان يخفيها وقد أوضح برودلى فى كتابه قصة دفاعه عن عرابى وفى ثنايا الكتاب ذكر برودلى أن عرابى تعرض فى السجن للقسوة والاستجوابات العنيفة، كما أنه منع من الاتصال بأصدقائه وتعرض لصعوبات جمة فى محاولاته الاتصال بمحاميه.

وأشاد برودلى بمواقف عرابى، كما أشاد بالشيخ محمد عبده ووصفه بالرجل الموهوب، والجدير بالذكر أن علاقة العرابيين ببرودلى لم تتوقف على الدفاع عنهم فحسب، بل استمرت قائمة من خلال تواجدهم بالمنفى[١٤].

وفى تقديرنا أنه من المفيد أن يقوم الباحثون فى أحداث الثورة العرابية بالرجوع إلى ذلك الكتاب الذى يعد شاهد عيان على أحداثها(١٥) .

وهناك الروسى «تيودور روز شتين»(١٦) صاحب كتاب خراب مصر Egypt's Ruin والذى ترجم إلى العربية تحت عنوان «المسألة المصرية» بواسطة الأستاذين عبد الحميد العبادى المدرس بمدرسة القضاء الشرعى، ومحمد بدران المدرس بالمدرسة الثانوية الملكية، وتم نشره فى عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م والكتاب فى مجمله يتضمن الإشادة بفضل الخديو إسماعيل وأعماله، كما يحمل بين جنباته دفاع المؤلف عن القضية المصرية مشفوعا بوثائق رسمية ومستندات فضح بها الاستعمار البريطانى كما لم يفضح استعمار من قبل.

وهناك «البرت فارمان» القنصل العام للولايات المتحدة بالإسكندرية مؤلف كتاب مصر وكيف غدر بها(١٧).

Egypt and its betryal

والذى يتناول فترة حكم الخديو إسماعيل ويبرز بشكل واضح المؤامرات الاستعمارية لتقويض استقلال مصر ويفضح النوايا الحقيقية والأهداف الصحيحة للاستعمار.

والجدير بالذكر أن هذه المجموعة من الأجانب لا تنتمى إلى

الكتابة التاريخية بصفة المهنة أو التخصص وإنما كتبت مانشرته بدافع من ضميرها ، وإبرازا لوقائع شاهدتها وربما شاركت فيها أو تعاطفت معها مما يعنى أن من يتناول كتابات هؤلاء بموضوعية يرى أنه ليس من المحتم أن يكون كل أجنبى كتب فى تاريخ مصر تناوله من وجهة نظر استعمارية.

٢ـ مجموعة القصر

أ ـ مجموعة الأمراء وكبار الموظفين وهذه المجموعة وجدت من فراغها وإمكاناتها المادية ما يسمح لها بالكتابة فى التاريخ ومن هؤلاء الأمير «عمر طوسون» [١٨] و«أحمد شفيق»[١٩] و«جرجس حنين»[٢٠] و«أمين سامى»[٢١].

أما الأمير عمر طوسون فقد كان له ولع شديد بالاطلاع على تاريخ مصر والسودان وجغرافيتهما ، كما كان بحاثة منقبًا فى بطون الكتب التاريخية وساعده على ذلك إجادته للتركية والعربية والفرنسية والإنجليزية[٢٢] ، ونتيجة لذلك قام بتصنيف العديد من المؤلفات التاريخية بالفرنسية والعربية التى تبلغ نحو ٤٠ كتابًا ويبدو أنه استعان على تأليفها ببعض الموظفين العاملين بقصوره وغيرهم[٢٣] وفى هذه الكتب أبرز إنجازات أسرة محمد على، والدور الذى قامت به لتطوير مصر فى شتى المناحى، والمفاخر التى

تحققت على يديها فحول الجيش المصرى وتطوره وانتصاراته فى عصر هذه الأسرة كتب «صفحة من تاريخ مصر البرى والبحرى فى عهد محمد على باشا» و«الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على» و «أعمال الجيش المصرى فى المكسيك»، و«فتح دار فور»، و«مديرية خط الاستواء من فتحها إلى ضياعها» وعن النهوض بالتعليم وتطوره كتب «البعثات العلمية فى عهد محمد على وفى عهد عباس وسعيد»، وعن ازدهار أحوال مصر المالية والاقتصادية كتب «مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن» وعن تطور حركة الرى والزراعة كتب «تاريخ خليج الإسكندرية وترعة المحمودية» وعن التوسع المصرى فى السودان كتب «مصر والسودان» و«المسألة السودانية»[٢٤].

وعما حدث لمصر من نكبات من جراء التدخل الأجنبى فى شئونها كتب «يوم ١١ من يوليو ١٨٨٢».

ورغم أن هذه الكتابات قد طغى عليها جانب السرد وطريقة القص واللصق فإنه مما يحمد للأمير عمر طوسون أنه لم يتقيد بتقاليد أسرته فتحدث عن الحركة الوطنية فى بعض هذه الكتابات ، يضاف إلى ذلك أنه آزر هذه الحركة ليس بقلمه فحسب ولكن بماله أيضا وكانت له أنشطة علمية متعددة ، منها عضوية الجمعية

الجغرافية والمجمع العلمى بدمشق.

وبالنسبة لأحمد شفيق فقد كتب أيضا عدة مؤلفات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، أبرزها :

«مذكراتى فى نصف قرن» و«حوليات مصر السياسية» و«أعمالى بعد مذكراتى».

وحول مذكرات شفيق نذكر أنها تناولت الفترة الواقعة بين ١٨٧٣ - ١٩٢٣ وهى فى ثلاثة أجزاء ، تناول الأول منها نهاية عصر إسماعيل إلى انتهاء حكم توفيق، وتناول الثانى فترة حكم الخديو عباس الثانى حتى عزله ، أما الجزء الثالث فقد امتد إلى عام ١٩٢٣ ، ولقد تميزت هذه المذكرات بالصراحة والوضوح أحيانًا ، وبمساندة موقف الخديو والأسرة الحاكمة أحيانًا ، وبمساندة موقف الخديو والأسرة الحاكمة أحيانا أخرى، فلم يستطع أحمد شفيق التخلص من ولائه لأسرة محمد على فعندما تحدث عن الثورة العرابية اتهم زعيمها بالغرور وبأنه كان السبب فى ضياع مصر ، وسقوطها فى يد الإنجليز ، وعلى أى حال فوجهة النظر هذه تبناها البعض فى ذلك الوقت ، يضاف إلى ذلك أنه كان يرى فى «الخديوى عباس الثانى» الحاكم الوطنى الذى تحالف مع الشعب المصرى ضد الإنجليز من أجل تحقيق سيادة مصر ورد اعتبارها .

والمذكرات كتبت في معظمها على طريقة الحوليات ، وتميزت بالعديد من ألوان النشاط الاجتماعي والأدبى والسياسى وأبرزت الجانب الوطنى بين أفراد الشعب، وإلى جانب ذلك فقد دون شفيق مذكراته عن المشاهدات والحوادث التى وقعت تحت سمعه وبصره، ومدى مشاركته في هذه الأمور بحكم عمله في القصر الخديوى، كما كشف للمؤرخين الكثير من الغوامض التى كانت غير معروفة من قبل ومن هنا جاءت مذكراته ذات فائدة مهمة لتاريخنا الحديث والمعاصر.

وعن حوليات مصر السياسية فهى تتكون من عشرة أجزاء جمع فيا المؤلف العديد من الوثائق والتقارير والخطب السياسية مع نبذة قصيرة لتاريخ مصر منذ عصر محمد على حتى قيام الحرب العالمية الأولى، ثم أخذ في سرد الحوادث بعد ذلك من الحرب الأولى إلى عام ١٩٢٣.

وقد قسم شفيق كل حولية في حولياته إلى اثنى عشر بابا كعدد الشهور، تضمن كل باب حوادث شهر من الشهور.

وتفتقر حوليات شفيق إلى المنهج العلمى بشكل لاتصلح به أن تكون تاريخًا للفترة التى تعرضت لها وإن كانت تصلح كمادة خام موثوق بها، كما أنه يمكن أن يطلق عليها جريدة الجرائد المعاصرة

فهى ليست دراسة ولكنها تسجيل للحوادث الجارية تستهدف تيسير الرجوع إليها(٢٥).

أما عن كتابه «أعمالى بعد مذكراتى» فقد جاء متمماً لمذكراته فتضمن العديد من الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد بدأت بالحديث عن المفاوضات المصرية البريطانية فتناول مفاوضات «سعد زغلول ـ ملنر» وتبعه بالحديث عن مفاوضات «عدلى ـ كيرزن» وتصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ وانتقل إلى محادثات «سعد ماكدونالد» ١٩٢٤ وفشلها، ومشروع «محمد محمود هندرسون» ومعارضة الوفد له كما انتقل إلى معاهدة ١٩٣٦ وأعلن عن ابتهاجه لتحقيقها ويمضى شفيق فى الحديث عن الجوانب الاجتماعية فى القصر الملكى فتحدث عن الأفراح التى أقيمت بمناسبة زواج الملك فاروق والمصاهرة التى تمت بين الأسرتين الملكيتين فى مصر وإيران، وانتقل بعد ذلك للحديث عن شئون التعليم فى مصر والبلدان العربية فيعرض رأيه بوضوح وصراحة ، وأخيراً تطرق إلى النظام الحزبى فى مصر موضحا عيوبه والطرق الكفيلة بعلاجه.

والكتاب فى مجمله أضاف إلى تاريخ مصر المعاصر إضافات مفيدة خصوصاً وأن صاحبه تجرد فى الكثير من الأحيان من الانفعال الشخصى وإن كانت الذاتية قد طغت فى بعض الأحيان على

صاحبه.

وعلى كل حال فإن كتابات أحمد شفيق تعد مهمة بصفة عامة خاصة وأن صاحبها يعتبر شاهد عيان للكثير من حوادثها ، ومع ذلك فإن حكمه على بعض الأحداث قد ارتبط بموقعه كمسئول داخل القصر مما أبعده عن الموضوعية في بعض الأحيان ، فما كتبه عن العرابيين يعوزه الكثير من إعادة النظر ، وما كتبه عن موقف عباس الثاني من الحركة الوطنية يعوزه الكثير من الوضوح ، وحديثه عن الحياة النيابية المصرية جاء مبتوراً.

وعن «جرجس حنين» ـ أحد مديرى الأموال المقررة بنظارة المالية فقد كتب «الضرائب والأطيان في القطر المصرى»(٢٦) ويشمل الأوامر واللوائح القديمة المختصة بمسائل الأطيان وقواعد الملكية والتمويل وذلك بغرض الدفاع عن مصالح الحكومة في بعض القضايا التي رفعت ضدها من الأفراد كما يشمل إيضاحًا وافيًا عن أصول المعاملات بين الحكومة والأهالي في هذه المسائل.

وقد ابتدأ الكتاب بتفصيل أنواع إيرادات الحكومة وقيمة ما يجبى من كل نوع منها بحسب تقدير ميزانية ١٩٠٤ وتاريخ وحدة النقود ، وبيان التاريخ الرسمي في حسابات الحكومة، وبيان الضرائب والأموال والرسوم التي تجاوزت عنها الحكومة نوعا

وقيمة، وضرائب الأطيان وطريقة تعيين مقادير الأراضى، وتاريخ المقاييس وأقسام أراضى كل بلد، وتاريخ مساحة فك الزمام وأشكال الدفاتر والمطبوعات المستعملة فى ذلك الوقت.

وكتب «أمين سامى» كتابيه «تاريخ التعليم فى مصر» بين سنتى ١٩١٤ و١٩١٥[٢٧] «وتقويم النيل»[٢٨] واهتم فيهما بنشر الوثائق على أساس أنهما من أهم المصادر فى الدراسة التاريخية.

وبالنسبة للكتاب الأول فقد بين فيه المؤلف مراتب التعليم فى القرون الأولى حتى وصل إلى سنتى ١٩١٤ و١٩١٥ وعزز كتاباته بإحصاءات عن التعليم فى مصر، كما أن به العديد من الملاحق التى تشمل عدد تلاميذ المدارس الحكومية جملة وتفصيلا من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٩١٥ م، وتطور خطط التعليم بالمدارس ابتداء من عام ١٨٣٧ حتى عام ١٩١٦ ، وبه أيضا ملخص للوائح الشهادات الدراسية مثل الابتدائية والكفاءة والثانوية من عهد إنشائها حتى تاريخ تأليف الكتاب، كما أرفق به الخطط والرسوم المعدة لإنشاء بعض المدارس ، وأسماء المدرسين ونظار المدارس الحكومية وتواريخ تعيينهم وانتهاء خدمتهم منذ عصر محمد على وحتى عام ١٩١٦.

أما عن كتاب تقويم النيل فهو يتكون من مقدمه وثلاثة أجزاء[٢٩] وملحق استغرق أمين سامى فى كتابتها خمسة وعشرين عامًا، وفيه

تطرق من خلال عرض تاريخى إلى علاقة مصر بالنيل. وعلاقة الفيضان بازدهار أحوال مصر أو تأخرها وأثر ذلك على حياة الشعب المصرى من الناحية الاقتصادية ، كما تعرض للأحداث المهمة التى طرأت على مصر ، وتطور تعداد السكان من خلال الحملة الفرنسية وعصر محمد على، وعمليات مسح الأرض والتعليم وتطور موارد مصر، كما تابع الصفوة الحاكمة من خلال عرضه لموظفى الإدارة، وإحلال المصريين في بعض المناصب الإدارية ابتداء من عصر سعيد، وتطور القوة العسكرية المصرية.

وحول تقسيم أجزاء الكتاب يمكن القول أن المؤلف تعرض فى الجزء الأول إلى : تاريخ مصر منذ الفتح العربى لها وحتى الفتح العثمانى.

وفى الجزء الثانى: تناول المؤلف تاريخ مصر من الفتح العثمانى حتى عصر محمد على.

أما الجزء الثالث بمجلداته الثلاثة فقد اشتمل على فترات حكم عباس وسعيد واسماعيل.

وبالنسبة لمصادر الكتاب فقد اعتمد المؤلف على المصادر الإسلامية المعروفة ورجع إلى الوثائق المحفوظة بالدفتر خانة المصرية وإن كان قد أهمل الإشارة فى الهوامش إلى العديد من أرقام المحافظ

والدفاتر التى أخذ عنها يضاف إلى ذلك أنه اعتمد على بعض المصادر الأوروبية والتركية وقارنها بمثيلتها العربية.

ولأمين سامى دراسة أخرى عن النيل تعرف باسم «مصر والنيل» وهى عبارة عن ملخص لما كتبه من قبل وفى النهاية يمكن القول أن أمين سامى كان من الكتاب الموسوعيين - مثله كمثل على مبارك - الذين وإن كانوا قد اتخذوا من الهندسة مهنة فإنهم اتخذوا من دراسة التاريخ وكتابته هواية ، وكانت كتاباتهم شكلاً من أشكال الكتابة التسجيلية فى التاريخ ويكفى أمين سامى فخراً وصف شفيق غربال له بأنه «شيخ المعلمين وقدوتهم فى الدأب على العلم النافع»[٣٠] كما يكفيه فخراً أنه كان باحثًامنهجيًا أكثر ممن سبقوه.

ب - مجموعة القصر الأوروبية التى دعاها الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرته.

بعد أن وصل الأمير أحمد فؤاد إلى الحكم[٣١] شجع على بزوغ حركة النهضة التاريخية، وعمل على إماطة اللثام عما احتوته دور المحفوظات والوثائق من المستندات والوثائق والدبلوماسية.

ولا ندرى ما الذى دفع الملك فؤاد إلى القيام بهذه التجربة مع أن ثقافته لم تكن تتيح له التفكير فى هذه الخطوة المهمة واللافتة للنظر، ويبدو أن الملك فؤاد رأى أن تاريخ أسرة محمد على بدأ

يحترق برمته أمام الشعب المصرى بعد ما سببه والده إسماعيل من ديون لمصر تسببت فى الأطماع الأجنبية لها، وما سببه أخوه توفيق - بعد استنجاده بالإنجليز لحمايته - فى الاحتلال لمصر، ومن هنا رأى ضرورة إحياء تاريخ أسرته عن طريق الإشادة بجديه إبراهيم ومحمد علي، ووالده إسماعيل، وإبراز دورهم فى تأسيس مصر الحديثة فأمر بتشكيل لجنة فى عام ١٩٢٥م برئاسة «حسن باشا نشأت» لجمع ما فى القصر الملكى، ودارالمحفوظات العمومية بالقلعة والدور الحكومية من وثائق تتعلق بتاريخ أسرته [٣٢]واستقدم المستشرق الفرنسى «دينى» Deny فى عام ١٩٢٦ لفحص الوثائق التركية وخاصة التى تتعلق بحروب الشام والفرمانات السلطانية الخاصة بأسرة محمد على وترجمتها إلى العربية ، واستغل علاقته الشخصية مع رؤوساء الحكومات فى أوروبا ، واستنسخ تقارير قناصلهم فى مصر فى القرن التاسع عشر[٣٤] كما أمر بنقل الوثائق الخاصة بالفترة ما بين حكم محمد على وبداية الحرب العالمية الأولى من دار المحفوظات العمومية بالقلعة إلى قصر عابدين فى مبنى أطلق عليه «دار الوثائق السرية والمحفوظات التاريخية الملكية» بهدف إتاحة الفرصة لعدد من المؤرخين ليكتبوا تاريخ أسرته وفقا لتوجيهاته ورغباته[٣٥] بغرض إخفاء أخطاء والده إسماعيل، ونسبة أمجاد مزيفة إليه، ولما كان

الملك فؤاد لا يثق بقدرة المؤرخين المصريين على القيام بهذا العمل[٣٦] فقد استأجر بعض المتطفلين على موائد التاريخ من الأوروبيين والأمريكيين والعرب[٣٧] ووعدهم بالمكافآت السخية إذا كتبوا تاريخ أسرته بالطريقة التي يرتضيها وقد استجاب لطلبه كل من دوان Douin الفرنسي وانجلو ساماركو A, Sammarco الإيطالي ، ودودول Dodwell الإنجليزي[٣٨] والقاضي الأمريكي كرابيتس Crbites وشارل رو Charles Roux سفير فرنسا لدى الكرسي البابوي وعضو المجمع الفرنسي وجبرائيل هانوت[٣٩] Hamotau وغيرهم من الأوروبيين أما من استجاب له من المتطفلين والمرتزقة العرب فكان أبرزهم إلياس الأيوبي.

وعن المؤلفات التي كتبها هؤلاء نذكر كتاب Douin المعنون Histoire Du Régne Du Khedive Ismail والذي نشرته الجمعية الجغرافية الملكية في مصر في أربعة أجزاء في الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٣٩ ومن أبرز ما فيه ما كتبه حول جهود الخديو إسماعيل في إصلاح القضاء La Reforme Judiciaire والصراع الذي خاضه نوبار باشا في العواصم الغربية ، وفي الآستانة حتى تحقق له الموافقة على إنشاء المحاكم المختلطة[٤٠].

وحول أنجلو ساماركو الإيطالي وكتاباته نذكر أن الملك فؤاد

وابنه فاروق أغدقا عليه الكثير من مظاهر الرعاية فبعد أن قدمه أحد الموظفين الإيطاليين بقصر عابدين إلى الملك فؤاد على أنه مؤرخ كبير يمكن الاستفادة منه فيما يريد الملك كتابته أمر الملك فؤاد بضمه إلى مجموعة كبار الأساتذة الأجانب الذين عكفوا على كتابة « موسوعة تاريخ مصر» عبر العصور «وعرفت باسم ملخص تاريخ مصر Precis de L'Histoire d'Egypte كما كلفه بالإسهام فى جمع الوثائق التاريخية فقام بأعداد سبعة مجلدات من الوثائق المستخرجة من دور المحفوظات الإيطالية والنمساوية والخاصة بتاريخ مصر الحديثة، وأهم هذه الوثائق ما كان منها خاصا بالحملة المصرية على بلاد الشام، وقد كتب أنجلو ساماركو الجزء الرابع من ملخص تاريخ مصر وتناول فيه تاريخ عباس وسعيد واسماعيل من الفترة من ١٨٤٨ إلى ١٨٧٩[(٤١)] كما كتب مبادىء فى تاريخ مصر وقد وضعه خصيصا للمدارس الإيطالية.

ونتيجة لرضا الملك فؤاد عن «ساماركو» كلفه بوضع تاريخ شامل للنهضة المصرية فى عدة أجزاء فاعتزم وضع مجموعة ينفرد بتأليفها تتناول تاريخ مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٨٠١ حتى بداية الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ولم يظهر من هذه المجموعة سوى الجزء الثالث الذى يسجل فى معظمه سنوات

حكم الخديو إسماعيل من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٨٧٥ وهذا الجزء ليس إلا نسخة مكررة مما ورد فى الجزء الرابع الذى كتبه فى الموسوعة سابقة الذكر مع اختلاف يسير فى الصياغة اللفظية[٤٢] يضاف إلى ذلك أن الأستاذ «ساماركو» كتب بحثا بالإيطالية تحت عنوان «الحقيقة فى مسألة قناة السويس»

La Verita Sulla Questione Del Canal Di Sues

تكلم فيه عن تاريخ قناة السويس ودور مصر فى إتمام هذا المشروع وما اضطلعت به من الأعباء وما تحملته من التضحيات فى سبيله.

والمتصفح لما كتبه ساماركو يجده يركز على اتجاهين هما:

١ـ الإشادة بدور أسرة محمد على فى بناء مصر الحديثة.

٢ـ إبراز دور إيطاليا فى تحديث مصر.

والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها:

١ـ تمتعه بثقة الملك لدفاعه عن أعمال جدية محمد على وإبراهيم ووالده إسماعيل.

٢ـ محاولاته إثبات أن البنادقة كانوا أول من فكر فى شق قناة السويس لكى يصل أحد البحرين بالآخر[٤٣].

والجدير بالذكر أنه بعد انضمام إيطاليا إلى دول المحور من خلال

الحـرب العـالمـيـة الثـانيـة أصـدرت الحكومـة المصـرية قـرارا بإبعـاد «ساماركو» عن مصر في عام ١٩٤٠.

أما عن القاضى الأمريكى «بيير كرابيتس» فكان يعمل قاضيا بالمحاكم المختلطة فى مصر، وقد كلفه الملك فؤاد بالدفاع عن والده إسماعيل، وتفنيد المزاعم التى ذهب إليها «ملنر» و«كرومر» وزيتلند»، و«كولفن» وغيرهم من أنه كان مبذراً ولصاً وأن حكمه كان فى مجمله مجموعة شرور ومفاسد ومساوىء، وأن سلطانه غير المحدود كان على موارد محدودة.

وحتى يتيسر لكرابيتس ذلك، أذن له الملك فؤاد بالاطلاع على الوثائق الدبلوماسية والمستندات المحفوظة فى الخزائن الملكية وغيرها، وقد قام كرابيتس بهذه المهمة خير قيام وأخرج كتابه إسماعيل المفترى عليه(٤٤).

Ismail the Maligned Khedive

الذى دافع فيه عن أعمال الخديو إسماعيل، ووصفها بأنها ساعدت على ترقية مصر وخلقها من جديد، كما وضع الخديو إسماعيل فى مصاف كبار المصلحين الذين قلما يجود الزمان بمثلهم، فقال كان إسماعيل سابقًا لأوانه بعدة أجيال، والعالم يسامح الرواد.. وأن حضارة الأمس كحضارة اليوم تصفق للذكاء المتألق،

لكنها تتمسك بالعقول العادية المتوسطة ، لذلك لم يكن فيها للخديو الذى كان كبشًا للتضحية على هيكل الأنظمة الاقتصادية أى محل لأنه كان أكبر من محيط(٤٥).

وبالنسبة لما كتبه Charles Roux ذلك الفرنسى الذى عاصر العديد من الحوادث التى جرت فى مصر بعد الاحتلال الانجليزى لها نذكر دراسته المعنونة:

L'Egypte de l'occupation Anglaise al'Independance Egyptienne.

وفى هذه الدراسة كتب «شارل رو» فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر من ١٨٨٢ وحتى معاهدة ١٩٣٦ تلك الفترة المليئة بالتطورات المتلاحقة والأحداث الجسام.

وقد مهد المؤلف لدراسته بالتطرق إلى السنتين السابقتين لعام ١٨٨٢ كما قارن بين حملة «ولسلى» فى سنة١٨٨٢ وحملة «هتشنسون» التى شاركت فى إخراج الفرنسيين من مصر ١٨٠١ ومدى استفادة انجلترا من هذه التجربة بإعلانها أنها لن تخرج من مصر قبل أن تطمئن إلى أحوالها وإلى عدم عودة احتلال أجنبى آخر لها.

وقد بين المؤلف النتائج التى ترتبت على الاحتلال البريطانى

لمصر، وأشار إلى موقف كل من فرنسا والدولة العثمانية من المسألة المصرية ، وعرج إلى بعثة اللورد «دفرين » ومحاولة تنظيم شئون مصر، وإلى مسألة قناة السويس ، ومن الطبيعى أن يساند موقف فرنسا من المسألة فى أثناء تعرضه للعلاقات الإنجليزية الفرنسية فيما يختص بمصر. وينتقل «شارل رو» بعد ذلك إلى سياسة اللورد كرومر ومشكلة السودان والثورة المهدية، ويشرح موقف الحكومة الإنجليزية إزاء هذه الثورة ثم يتعرض للنواحى الدولية إزاء الأزمة المالية وإلى بعثة السير «هنرى درمند ولف» وإلى نمو النفوذ الإنجليزى فى الإدارة المصرية.

وتنتهى الفصول السبعة الأولى من هذه الدراسة بموت الخديوى توفيق ويبدأ الفصل الثامن بتولية عباس الثانى والنزاع بينه وبين اللورد كرومر وكيف حاولت فرنسا استغلال ذلك النزاع لصالحها، ثم يفرد المؤلف فصلاً خاصًا لاسترداد السودان واتفاقية ١٨٩٩ ويخصص بعد ذلك فصلا لمصطفى كامل ونمو الحركة الوطنية والاتفاق الودى وعزل كرومر ثم ينتقل إلى السير الدون جورست وكتشنر.

وفى الفصل العاشر يتعرض المؤلف لأحوال مصر إبان الحرب العالمية الأولى وتعقد الموقف السياسى نتيجة لانضمام الدولة

العثمانية إلى جانب ألمانيا والدور الذى قامت به مصر من خلال الحرب ، ويستمر «شارل رو» فى التعرض لأحوال مصر فى عهد السلطان فؤاد ويتحدث عن نمو الحركة الوطنية وثورة ١٩١٩ وبعثة ملنر ثم إلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر مع وضع التحفظات الأربعة ، كما يتحدث عن الحوادث العنيفة التى حدثت فى مصر مثل مقتل السردار «السر لى ستاك» وغيرها ويصل فى نهاية المطاف إلى معاهدة ١٩٣٦ .

ومع أن هذه الدراسة فى مجملها موجزة ، فإنها مهمة وإن كانت تعرض لوجهة النظر الفرنسية بشكل واضح ، كما أن صاحبها لم يرجع إلى الوثائق الإنجليزية ولم يتعمق فى موقف الدول الكبرى إزاء المسألة المصرية أو فى شرح تطور الحركة القومية فى مصر ، ومع ذلك فقد حاول صاحبها توضيح الحوادث التى مرت بها مصر بشكل أفضل ممن سبقوه من الكتاب .

هذا عن المؤرخين الأوروبيين الذين استجابوا لرغبة الملك فؤاد فى إعادة كتابة تاريخ أسرته ، أما عن المؤرخين المتطفلين على موائد التاريخ من العرب فكان أبرزهم إلياس الأيوبى صاحب كتاب «تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩» والذى يتألف من مجلدين مجموع صفحاتهما ١٠٨٤

صفحة وينقسم إلى سبعة أجزاء تشتمل على اثنين وثلاثين فصلا .

وقد قدم المؤلف هذا الكتاب إلى الملك فؤاد بمقدمة تتسم بالتزلف والنفاق فقد صور صاحبها الخديو إسماعيل بأنه أعاد لمصر مكانتها المفقودة فى الخارج، وأن عهده امتاز بالتطور الاجتماعى السريع الذى نهض بعقلية القطر المصرى وكاد يرفعها إلى مصاف بلاد الغرب، وأن من حقه أن يفخر بما فعل قائلاً «انفصلت بلادى عن أفريقيا لأننا أصبحنا جزء من أوروبا وإلى جانب ذلك خاطب الملك فؤاد بقوله «فلم يك والدك الجليل نوراً ساطعا فحسب، بل كان شمسًا متألقة فى سماء مصر، ولا غرو إذا اتجهت رغبتك يامولاى وأنت أبر أبناء هذا المصلح العظيم الذى تمت على يديه جميع هذه المدهشات إلى أن يفصل التاريخ وقائعها... فلتتفضل جلالتكم وتأذن برفعه إلى سدتكم الملكية مقدمًا بين يدى من صادق إخلاصى وعظيم طاعتى وعبوديتى لكم خير شفيع[٤٦] ونتيجة لأن ما كتبه «إلياس الأيوبى» قد حقق للملك فؤاد مبتغاه فقد أمر بتوزيعه على مدرسى التاريخ بالمدارس المصرية مجانًا[٤٧] .

وعلى أى حال ورغم استجابة المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين والعرب لرغبة الملك فؤاد فى تمجيد تاريخ أسرته وتبرير أخطائها، وتصرفات حكامها ، وافتقادهم إلى الموضوعية أحيانا وإلى الروح

الأكاديمية أحيانا أخرى لا يستطيع أحد أن ينكر أنه بفضل ما كتبه هؤلاء ظهرت مجموعة نفيسة ومجلدات متعددة ـ ملأت العديد من رفوف المكتبات ـ كشفت عن العديد من الصفحات المجهولة فى تاريخ مصر ، واستطاعت التأثير على المفاهيم التاريخية فى دراسة تاريخ مصر الحديثة والتى تنحصر فى أن الفضل فى تطور مصر السياسى والاقتصادى والاجتماعى يرجع إلى جهود محمد على وأسرته ، ولكن هل هذا يعنى أن كل من كتب عن مصر من الأجانب من خلال هذه الفترة كان على شاكلة هؤلاء؟ الواقع أن مصر عرفت بعض الأجانب الذين كتبوا الحقائق التى شاهدوها بأنفسهم بدافع من ضمائرهم.

٣ـ مجموعة الحركة الوطنية

أـ المجموعة التى تناولت تاريخ مصر والتى تكونت من طبقة المصريين البارزين فى مجال الزعامة والسياسة والفكر واتخذت من التاريخ هواية ومن أبرز أفراد هذه المجموعة «مصطفى كامل» و«محمد فريد» و«عبد الرحمن الرافعى».

وهذه المجموعة كان لها أكبر الأثر فى تنمية الوعى التاريخى لدى الشعب المصرى خاصة وأنه فى أعقاب الاحتلال الانجليزى لمصر تخرج الطلاب من المدارس العالية وهم لا يعرفون من تاريخ بلادهم

سوى النزر اليسير، حتى المناهج التاريخية التى لقنت لهم ركزت اهتمامها على الغرب أكثر من عنايتها بتاريخ مصر وحضارتها، وكان التاريخ المصرى يعرض على الطلاب عرضًا جافًا مختصراً بشكل مخل دون تناسق أو ارتباط بين أجزائه المختلفة وبقى الحال على ذلك حتى ظهر مصطفى كامل وحزبه فكانت كتاباتهم خير دعاية للقضية المصرية، وخير هداية إلى الطريق الذى يخرج الناس من الذل والعبودية إلى الكرامة واستعادة الأمل، كما كانت فى معظمها حججًا قانونية تاريخية أماالقانون فقد درسوه ومارسوه فى دفاعهم عن قضية مصر واستقلالها وأما التاريخ فقد أقبلوا على دراسته ليستعينوا به فى تبيان الحقيقة للرأى العام داخل مصر وخارجها وإثبات عدم شرعية الاحتلال البريطانى وتبعية مصر للدولة العثمانية ونتيجة لذلك أخذ مصطفى كامل ومحمد فريد فى تأليف الكتب التاريخية المتصلة بالمسألة الشرقية أو الدولة العثمانية أو عدم شرعية الاحتلال(٤٨) ، فقد ألف مصطفى كامل كتابًا من جزئين فى تاريخ المسأة الشرقية أوضح فيه إلى حد كبير آراءه السياسية، وقد نشر هذا الكتاب فى إبريل ١٨٩٨ بمناسبة انتصار الدولة العثمانية فى حربها مع اليونان. والصفة الغالبة فى هذا الكتاب هى الدفاع عن الدولة العثمانية وتأكيد حسن معاملتها

لرعاياها من غير المسلمين[٤٩] ، وأن بقاءها أمر ضرورى للجنس البشرى وسلامة لأمم الغرب والشرق، وزوالها يكون مجلبة للأخطار[٥٠] وأكد على ضرورة التفاف المسلمين حول عرش السلطنة حتى لاتقع أوطانهم فى مخالب الدول الأوروبية وإلى جانب ذلك ألف مصطفى كامل كتابًا عن اليابان بعنوان «الشمس المشرقة» بمناسبة انتصار اليابان فى حربها مع الروسيا وأنه يجب على المصريين أن ينظروا بعين الاعتبار إلى الأمة اليابانية التى صارت بفضل اتحادها ووطنيتها موضع تقدير وإعجاب العالم وتمنى مصطفى كامل فى كتابه أن يحدث هذا الانتصار انقلابًا عامًا، وأن يبعث فى أمم الشرق روحًا جديدة ، ويجدد للمسلمين طريقة حياتهم[٥١] .

وألف «محمد فريد» كتابا فى تاريخ الدولة العثمانية أسماه «تاريخ الدولة العلية العثمانية[٥٢]» أوضح فيه تاريخ الأمم الإسلامية عامة والدولة العثمانية خاصة وتوقف عند السلطان «عبد المجيد بن عبد العزيز» آخر سلاطين العثمانيين وتطرق إلى أسباب انهيار الدولة العثمانية والثورة الكمالية.

كما ألف فريد كتابا آخر فى تاريخ محمد على عنوانه «البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية [٥٣]وفيه تحدث عن

محمد على وإصلاحاته في مصر والحروب التي خاضها، وإلى جانب ذلك فلمحمد فريد مذكرات يمكن تقسيمها إلى قسمين القسم الأول وفيه سجل يومياته عن الأحداث التي شهدها فى الفترة المبكرة من حياته التي تقع بين ١٨٩١ - ١٨٩٧ وهي الفترة التي سبقت انضمامه إلى الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل، وتعد هذه المذكرات بمثابة مادة تاريخية مهمة في فترة التحضير للحركة الوطنية التي انتعشت كرد فعل للوجود البريطاني في مصر (٥٤).

أما عن القسم الثانى من المذكرات فقد تولى مركز تاريخ مصر المعاصر نشرها نشراً علميًا محققًا فى مجلدين، المجلد الأول تحت عنوان «مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ - ١٩١٩ (٥٥)»، والمجلد الثانى بعنوان «المراسلات(٥٦)» وهو عبارة عن مجموعة خطابات متبادلة بين محمد فريد وبعض الشخصيات المساندة للحركة الوطنية من الأجانب والمصريين.

وفى هذه المذكرات يحدد فريد رؤيته لطبيعة الصراع القائم بين مصر وبريطانيا، وتتلخص مطالبه في خروج الإنجليز من مصر وإعادة تبعيتها للدولة العثمانية ،وتكشف هذه المذكرات عن علاقة الخديو عباس الثانى بقادة الحزب الوطنى ومحاولاته السيطرة على زمام الأمور فى الحزب، كما تتعرض المذكرات لأفكار فريد بشأن

استغلال الحركة الطلابية والعمالية فى العمل على استقلال مصر ، وإلى نشاطه الوطنى فى الخارج ، وفى يقيننا أن هذه المذكرات تعد تراثًا أصيلاً لا غنى عنه لكل باحث فى الحركة الوطنية المصرية فى الثلث الأول من القرن العشرين، ولكل من يتطرق للتقديم لثورة ١٩١٩.

وقد التزم رجالات الحزب الوطنى بالاستمرار فى الكتابات التاريخية فكتب «على فهمى كامل» سيرة أخيه[٥٧] ، كما ترجم الرسائل المتبادلة بينه وبين الصحفية الفرنسية «جوليت آدم[٥٨]» وسارت الأمور على هذا المنوال حتى جاء «عبد الرحمن الرافعى» فأثرى المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر كما كتب العديد من المؤلفات عن الشخصيات الوطنية المؤثرة فى مسيرة النضال الوطنى.

حقيقة أن مهنة الرافعى الرئيسية كانت المحاماة، وأنه كتب التاريخ المصرى إشباعا لرغبة لا إلتزاما بمهنة ، وينطبق ذلك على غيره من رجالات الحزب الوطنى أمثال عمر لطفى[٥٩]الذى كتب عن «الامتيازات الأجنبية» و«إنشاء شركات التعاون» وفتحى رضوان الذى كتب العديد من المؤلفات التاريخية فقد كانا من الحقوقيين أيضا ومع ذلك كتبوا مما أنار الطريق لحقبة مهمة من تاريخ الكفاح

الوطنى والمتمثلة فى تاريخ الحزب الوطنى بصفة خاصة، والأدلة على ذلك واضحة نذكر منها :

١ـ أن الرافعى عندما بدأ مشروعه المهم فى كتابه موسوعة تاريخ مصر(٦١) لم يكن يهدف فى المقام الأول سوى الترجمة للزعيم الوطنى مصطفى كامل وللحزب الوطنى ومن هنا رأى أن يبدأ بالحركة الوطنية فى مصر منذ بدايتها حتى إذا انتهى إلى عصر مصطفى كامل كان من اليسير عليه أن يضعه فى مكانه اللائق به بين زعماء الحركة الوطنية فبدأ كتابته بعرض لتطور الحركة القومية منذ بداية الحملة الفرنسية فى عام ١٧٩٨م والمقاومة الشعبية الباسلة للاحتلال الفرنسى، وانتهى إلى الكتابة عن ثورة يوليو ١٩٥٢.

وعن نظرة الرافعى للتاريخ فإنه لم ينظر إليه كعلم بمقدار ما هو وسيلة فعالة لتثقيف العقول وتوجيه المواطنين إلى المثل العليا فى حياتهم القومية، وتعليمهم تاريخ بلادهم(٦٢) ونتيجة لذلك فهو يستبعد حياد المؤرخ، لأن ذلك ـ على حسب قوله ـ يشبه أن نقول للشاعر لاتكن عاطفيًا أونقول للرسام لا تكن حساسًا أو نقول للمطرب لا تهتز فى أثناء الغناء(٦٣).

وطريقة الرافعى فى الكتابة التاريخية هى تتبع الحوادث تتبعًا زمنيًا، واقتصاره فى معالجته التاريخية على الجانب السياسى أكثر

من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية مما يجعل القارىء المتخصص لا يحس على الإطلاق بوجود علاقات إنتاج ولا قوى إنتاج لدى المجتمع المصرى، ويجعل كتاباته مبتورة فى بعض الأحيان.

يضاف إلى ذلك أن الرافعى يحكم على الأحداث بطريقة الميزان ذى الكفتين فيضع الإيجابيات فى إحدى كفتى الميزان والسلبيات فى الكفة الأخرى ثم يضع نفسه فى موقع القاضى(٦٤) ومما يؤخذ على هذه الطريقة أن العدالة فى الأحكام التاريخية لا تتحقق بالسهولة التى يراها الرافعى ومن هنا اتسمت أحكامه أحيانا بالبعد عن الموضوعية والإنصاف كما اتسمت كتاباته بالاستطراد وعدم الترابط فى بعض الأحيان على سبيل المثال نذكر أن إعجاب الرافعى بمصطفى كامل أدى إلى التحيز فى مشاعره الشخصية تجاه هذا الزعيم فرغم أن حركة مصطفى كامل اتسمت بطابع دفاع محام عن قضية وطنية وليست إعداد الأمة للنضال، ورغم أن مفهوم مصطفى كامل للوطنية كان مفهوما فكريا من الطراز الأول يتسم بالأسلوب العاطفى لتزكية مشاعر طوائف المثقفين وحماسهم مستغلا فى ذلك مواهبه الخطابية وورومانسيته الواضحة فى الترنم بالوطن، ورغم أن هناك العديد من المصريين كانوا قد سبقوا مصطفى كامل فى الحركة الوطنية فإن الرافعى اعتبر مصطفى كامل منشئا للحركة الوطنية

يضاف إلى ذلك أن كتابات الرافعى تأثرت بلون من ألوان الحزبية(٦٥)، فكل ما فعله الحزب الوطنى من وجهة نظره صحيح وماسواه من الأحزاب فإنه يعامل حسب مواقفه من الحزب الوطنى وزعاماته وآرائه ، فمثلا لم يكن الرافعى منصفا فى تقوميه للثورة العرابية خاصة وأن الحزب الوطنى كان يرى فيها هوجة هوجاء تسببت في الاحتلال فوصف شخصية زعيمها بأنها كانت السبب فى انكسار الثورة وإخفاقها وخضعت تفسيراته للثورة للمناخ السياسى والاجتماعى الذى أرخ فيه لها ، كما خضعت لظروف بيئته وعصره والفكرة التي يؤمن بها ، وربما أخضع تفسيراته لرؤية وطنية من وجهة نظره ومع ذلك فإن عاطفته تجاه الحزب الوطنى الذى ينتمى إليه وإلى ذاتيته كانت بارزة فيما كتبه وبالنسبة لموقف الرافعى من الوفد فقد أنكر عليه الرأى القائل بالمفاوضة لتسوية العلاقات المصرية البريطانية وعاتبه أحيانا وعنفه أحيانا أخرى، وذلك لأن أحد مبادىء الحزب الوطنى كانت لا مفاوضة إلا بعد الجلاء، وإلى جانب ذلك كان الرافعى ينظر إلى حزب الأحرار الدستوريين على أن رجاله وصوليون ونفعيون ورجعيون مما يعنى أنه كان منحازا لوجهة نظر معينة فى السياسة المصرية بوصفه أحد أقطاب الحزب الوطنى وأحد تلاميذ مصطفى كامل.

ويؤخذ عليه أيضا حذفه لبعض الكلمات التى وردت فى المراسلات التى تمت بين مصطفى كامل ومحمد فريد بغرض إضفاء طابع المثالية عليهما، وقيامه بإجراء بعض التعديلات فى مذكرات محمد فريد لكى يخدم الصورة البراقة التى رسمها فى كتاباته عنه علما بأنه ليست من مهمة المؤرخ أن يحجب عن الأجيال المتعاقبة أخطاء الأجيال الماضية، بل عليه أن يشير إليها.

وإذا كان البعض قد أخذ عليه أيضا مجاملته لثوار يوليو ١٩٥٢ بتجاهله لمحمد نجيب فى كتابه «ثورة يوليو ١٩٥٢ - تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩» فالحقيقة لم تكن كذلك فقد ذكر الرافعى نجيب وتعرض لدوره فى الثورة، ولكن الرقابة على المطبوعات هى التى أمرت بحذف هذا الدور ومحو اسم صاحبه(٦٦).

ومع ذلك فمن الإنصاف أن نذكر أن الرافعى كان حريصًا على الوقائع التاريخية من الزيف والتحريف فى معظم الأحيان(٦٧) كما يحمد له أنه كان أول من اهتم بذكر أسماء الشهداء والضحايا من أبناء الشعب المصرى من خلال مقاومتهم للاحتلال(٦٨) ويحمد له أيضا ما ذكره من أن الشعب هو الصانع الحقيقى للتاريخ، وأن التاريخ الصحيح هو تاريخ الشعوب لا تاريخ الملوك(٦٩) وإذا كان البعض قد أخذ عليه أنه لم ينصف الثورة العرابية، وأنه أعطى

للبرجوازية المصرية الدور القيادى للثورة ضد الاحتلال فإنه لم يكن وحده المؤيد لهذا الرأى فى ذلك الوقت(٧٠).

وإلى جانب ذلك فمن المنطقى أن نعترف بالدور البارز الذى أثار به الرافعى طريق المعرفة التاريخية لجيل من الشباب المصريين، وبالمجهود الضخم الذى قدمه من أجل تاريخ أمته لدرجة أن مؤلفاته ظلت أكثر من نصف قرن تقريبا مرجعًا مهمًا لكل من يرغب فى التعرف على الوطنية المصرية أو يتعلم منها كما أن تأثيرها بلغ درجة كبيرة بشكل يمكن معه القول أن صاحبها يعد من كبار صناع الكتابة التاريخية المصرية فى العصر الحديث، ويكفى الرافعى فخراً أنه لم شتات التاريخ المصرى الحديث وجمع أطرافه وكون منها مؤلفاته العديدة، وعلى أى حال فقد تابع زعماء مصر السياسيون وقادتها كتابة مذكراتهم فكتب محمد فريد، وسعد زغلول، وإسماعيل صدقى، وعبد الرحمن فهمى، ومحمد حسين هيكل، وإبراهيم الهلباوى وغيرهم مذكراتهم ، ولكن هل هذه المذكرات يمكن أن ينطبق عليها الوصف العلمى للمذكرات أم أن معظمها تختلف درجة ابتعاده عن هذا الوصف من ناحية القرب أو البعد؟!!

الواقع أن هذه المذكرات يعد بعضها أقرب إلى التقارير ، وبعضها أقرب إلى التاريخ منه إلى المذكرات، خاصة وأن شرط المذكرات هو

تصوير الحادث وقت وقوعه أو تسجيل الرأى عند تكوينه،ولكن إذا ما تم استعادته بعد وقوعه أو تكوينه فإن صاحب المذكرات يتأثر بحالته وقت الكتابة كما يتأثر بالنتائج التى ترتبت على الحادث إن سلبًا أو إيجابًا ، ومن هنا ينبغى إعادة النظر فيما كتبه هؤلاء السياسيون ووضعه فى مكانه الصحيح من الكتابه التاريخية(٧١).

ومن المذكرات ننتقل إلى التراجم فقد ظهرت لأول مرة بصورتها العلمية الحديثة فى كتاب الدكتور هيكل «تراجم مصرية وغربية» ثم ترجم «العقاد» لسعد زغلول فى كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية» وترجم «الرافعى» لمصطفى كامل فى كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»، كماترجم لمحمد فريد فى كتابه «محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية» وكتب الدكتور «الشيال» عن رفاعة الطهطاوى و«سمير طه» عن أحمد عرابى و«عبد المنعم الجميعى» عن عبد الله النديم وتوالت بعد ذلك العديد من التراجم لزعماء مصر السياسيين وغيرهم.

ومن المعروف أن فن الترجمة للشخصيات التاريخية لا يعد من الأمور السهلة بل تحتاج فى العديد من الأحيان إلى شخص متمكن من الدراسات السيكولوجية والتحليل النفسى يرسم من خلالها صورة عامة للشخصية التى يترجم لها من جميع جوانبها كما تحتاج

إلى من يراعى التطور الداخلى للشخصية من خلال الأحداث التى يعرضها والعوامل المختلفة التى أثرت فيها وفى اتجاهاتها .

ومع أنه يتحتم على كتاب التراجم تحاشى الوقوع تحت تأثير الشخصية التى يكتبون عنها حتى لا تتناقض أحكامهم وينحرفون عن الحق فإن الكثيرين ممن كتبوا عن سير العظماء لم يتمكنوا من تفادى ذلك .

ب ـ المجموعة الأدبية

العمل الأدبى ميزان دقيق يزن فنا رفيعا صبت فيه الإنسانية خلاصة تجاربها وخبراتها ، وعبرت فيه عن مشاعرها وأحاسيسها ، يضاف إلى ذلك أن للأدب والشعر أبلغ الأثر فى إذكاء الروح الوطنية فى نفوس الناس خاصة وأن الأدباء غالبا مرآة صادقة لعصرهم ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم حيث يسجلون بطرقهم الأدبية الحوادث المؤثرة والمهمة التى ربما لا يجدها المؤرخ فى الوثائق أو المادة الأصلية المتاحة أمامه .

ونتيجة لذلك سنتعرض لبعض الأدباء الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث ، وخير من يمثلهم فى هذا المجال «حافظ إبراهيم »و «إبراهيم المويلحى» و«عبد الحميد جودة السحار» و«نجيب محفوظ» .

فكتب حافظ إبراهيم «ليالى سطيح» التى تعد بمثابة بانوراما متسعة الأبعاد لكل مناخات مصر السياسية والاجتماعية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين فالأرضية الزمنية لهذا الكتاب تمتد ما بين عامى ١٨٨٢ - ١٩٠٦ أى فترة بداية الاحتلال وحتى مأساة دنشواى ومن هنا فإنها تعرض لأحداث وشخصيات الفترة ذاتها مثل الثورة المهدية فى السودان وتدفق النفوذ الأجنبى، والاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا، ومأساة دنشواى، والكتاب فى مجمله يرتكز على الإدانة المباشرة للاحتلال.

وكتب «إبراهيم المويلحى» حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن بطريقة تتسم بالتواصل التاريخى، وقام ينقد الواقع الاجتماعى للأمة المصرية بشكل يخاطِب العقل ويتعامل مع اللغة العربية بأسلوب يتميز بالسيولة والتحرر من المحسنات اللفظية، فقارن بين عادات الشرقيين والغربيين ابتداء من الأسرة حتى العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتعرض لآفات الطبيعة البشرية مثل الحسد والنفاق والتملق ، وتحدث عن المجتمع المصرى فى تناقضاته من حلال تحليله الاجتماعى لجوانب السلوك الاجتماعى للشخصية المصرية، وسجل معالم جيله وسماته وأحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقارنها بحالة الجيل الذى سبقه فى صراحة وواقعية ،

مما أبرز مشكلة من أهم مشاكل المصريين الاجتماعية فى ذلك الوقت وهى أن استيرادنا للمدنية الأوروبية لايعنى اقتلاعنا من جذور حضارتنا الشرقية(٧٢) .

وكتب عبد الحميد جودة السحار «قلعة الأبطال» التى تدور أحداثها فى الفترة ما بين عصر إسماعيل إلى قيام الثورة العرابية وبداية الاحتلال، والتى صور فيها أن الجنسية المصرية داخل الجيش كانت دليل زراية واحتقار ووصمة عار حتى جاء عرابى الذى ثار فى وجه الظلم فأحس الجنود لأول مرة زهوا بأنفسهم ، كما صور الشعب المصرى بالبقرة الحلوب التى كانت تدر لبنها لإشباع رغبة الحكام، وأبرز الصحوة التى تجلت فى تعاليم الأفغانى، ووجدت أرضا رخوة فى نفوس المثقفين المصريين.

نضيف إلى ذلك ما كتب نجيب محفوظ فى ثلاثيته ، وتعرض فيه لواقع المجتمع المصرى الملىء بالمتناقضات ووصفه لمجتمع القاهرة فى فترة ما بين الحربين ، وتسجيله لواقع البيئة المصرية بشقيها الاجتماعى والسياسى، وما عبر عنه طه حسين وأحمد أمين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم بشأن ضرورة الأخذ بأسلوب الحضارة الأوروبية واعتناق مفهوم الدولة القومية، وصبغ قضية الاستقلال القومى بالليبرالية الغربية..

والسؤال المطروح هو :هل التاريخ الأدبى يمكن أن يصلح كمادة يعتمد عليها فى كتابه بالتاريخ؟ وما هى الخيوط التى يلتمسها المؤرخ فى وصف أديب للمجتمع الذى يكتب عنه ؟ الواقع أن الأديب أو الروائى ليس مطالبا بعمق الدرس أو بدقة التحليل العلمى بقدر ما هو مطالب بأن يكون أصيلاً فى تعبيره عن العاطفة الاجتماعية، واسعًا فى مشاعره وخياله ومن هنا فعلى المؤرخ أن يتقبل ما يكتبه الأدباء بحرص وحذر شديدين خاصة وأن العمل الروائى يعتمد على الخيال بجانب الواقع، وبمعنى آخر يمكن للمؤرخ أن يستقى معلوماته التى ربما لا يجدها فى الوثائق أو المصادر الأصلية بشكل يحمل موضوعية العلم وفيه ذاتية الأدب.

جـ ـ المجموعة الصحفية

ومن مزايا هده المجموعة أنها استطاعت أن تسهم فى تكوين الرأى العام المصرى فتحدث أبناء مصر صراحة عن شئون بلادهم على صفحات الجرائد، وعبروا عما يدور فى نفوسهم من آمال وأهداف فى وقت تجاذبت فيه البلاد تيارات سياسية مختلفة فكان هناك التيار الوطنى الثائر الذى ظهر جليا إبان الثورة العرابية وفى أعقابها وتمثل فى العديد من الصحف نذكر منها الطائف والمفيد والمؤيد وصحف الحزب الوطنى.

وهناك التيار العثمانى الذى يستمد قوته من الأصول التى تربط مصر بالدولة العثمانية ويتخذ من تيار الجامعة الإسلامية مظهرا له وتمثل ذلك فى جريدة اللواء ، وهناك التيار الموالى لفرنسا والذى تمثل فى جريدة «البوسفوراجبسيان» والتيار الموالى لبريطانيا والمتمثل فى جريدة المقطم، ومن الملاحظ أن الزعامة والصحافة فى مصر فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى كانت شيئا واحدا ، يضاف إلى ذلك أن معظم الأحزاب المصرية نشأت فى أحضان الصحف المعبرة عنها فمصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى كان مؤسسًا للواء، وعلى يوسف رئيس حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية كان مؤسسًا للمؤيد وأحمد لطفى السيد أحد أقطاب حزب الأمة كان مؤسسًا لصحيفة الجريدة.

يضاف إلى ذلك أنه فى خلال النصف الثانى من القرن العشرين برزت مجموعة من الكتابات التاريخية بأقلام مجموعة من الصحفيين كان الغرض من بعضها خدمة موضوعات بعينها وكان لأصحابها فكرة مسبقة، أما بعضها الآخر فيخلو من الأهداف السياسية ومن الأغراض الأخرى إلى حد ما ليس بكبير.

وحول أصحاب الاتجاه الأول نذكر أن «مصطفى أمين» نشر مجموعة من المقالات فى جريدة الأخبار حول أسرار ثورة ١٩١٩ فى

عام ١٩٦٣ بهدف إثبات أن هذه الثورة كانت ثورة شعبية أصيلة خرجت من القرى والكفور قبل أن تخرج من المدن والبنادر، وأن «سعد زغلول» كان زعيمًا يفوق فى تضحياته ونضاله كل ما سبق من زعماء مصر ونتيجة لأن بعض الأجهزة المعنية برصد مؤشرات الرأى العام المصرى قد أبلغت الرئيس جمال عبد الناصر بأن هذه الكتابات تهدف إلى تحريض الشعب بالانقضاض على الثورة صدرت الأوامر بوقف نشر هذه المقالات، وعدم إصدارها فى كتاب، وظلت الأمور على حالها، ودخل مصطفى أمين السجن بعد ذلك، إلى أن صدرت هده المقالات فى كتاب فى عصر الرئيس السادات وبعد خروج مصطفى أمين من السجن وكان عنوانه «الكتاب الممنوع - أسرار ثورة ١٩١٩ (٧٣) فى جزءين وحول هذا الاتجاه نذكر أيضًا كتابات «موسى صبرى» التى كانت كثيرا ما تمالىء السلطة وتحاول التقرب لها، أما عن أصحاب الاتجاه الثانى فنذكر منهم محمد حسنين هيكل ومحسن محمد، ويحمد لهما الاعتماد على الوثائق البريطانية والأمريكية وغيرها، والاقتراب من المنهج العلمى فى كتاباتها إلى حد كبير وفيما يلى نعرض لبعض كتابات محسن محمد.

تكمن أهمية كتابات محسن محمد فى أنه استقى معظم مادتها

التاريخية من الوثائق الأصلية خاصة البريطانية والأمريكية.

ففى كتابه «تاريخ البيع»[٧٤] قدم العديد من الأسرار المهمة التى أحاطت بمصر من خلال الحرب العالمية الثانية ، منها موقف القصر والحكومة من الألمان، والقصة الكاملة لحادث ٤ من فبراير ١٩٤٢ من خلال الوثائق البريطانية خاصة وثائق وزارة الخارجية فى لندن، والتقارير التى كتبها السفير البريطانى فى مصر إلى حكومته.

وفى كتابه «أصول الحكم»[٧٥] تعرض محسن محمد لتاريخ مصر من خلال الأحداث التى أثارت الرأى العام المصرى لفترة طويلة بعد أن أصدر الشيخ على عبد الرازق كتابه «الإسلام وأصول الحكم» فى أبريل من عام ١٩٢٥ والأحداث المتتابعة التى أعقبت ذلك من خلال الوثائق البريطانية المحفوظة فى دار الوثائق العامة فى لندن والوثائق الأمريكية المحفوظة فى الأرشيف الوطنى فى واشنطن.

وفى كتابه «الشيطان - تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية[٧٦]» تعرض محسن محمد للمندوب السامى «اللورد لويد» بالدراسة فأوضح أنه من خلال خمسة وأربعين شهرا حكم فيها مصر حاول اتباع سياسة الحزم والقهر مع المصريين، وأن يجعل من نفسه الحاكم الحقيقى لمصر وألا يكون للحكومة المصرية سوى سلطة اسمية فقط، كما حاول تحقيق مصالح الإمبراطورية

البريطانية فى مصر أولا وقبل أى شيء آخر .

وفى كتابه «سعد زغلول مولد ثورة ـ شرارات ثورة ١٩١٩ بالوثائق الأمريكية والإنجليزية [٧٧]» تعرض محسن محمد لدور سعد زغلول فى السياسة المصرية قبيل ثورة ١٩١٩ وذلك من خلال توليه وزارتى المعارف والعدل وعلاقته بكل من اللورد كرومر، واللورد كتشنر والمستشارين الإنجليز وعلاقته أيضا بالسير إدوارد جراى وزير خارجية بريطانيا .

وإلى جانب ذلك فلمحسن محمد مؤلفات أخرى تعرضت لفترات مهمة من تاريخ مصر المعاصر من خلال الوثائق السرية البريطانية والأمريكية نذكر منها «سرقة واحة مصرية [٧٨]» و«التاريخ السرى لمصر[٧٩] و أفندينا يبيع مصر[٨٠] »، و«خمسة أيام هزت مصر[٨١] » و «من قتل حسن البنا[٨٢] » و «عندما يموت الملك[٨٣] ».

ومع أن هذه الكتابات اعتمدت على الوثائق الأصلية فى معظمها فإنها تفتقد إلى روح المؤرخ وبصماته فى النقد والتحليل، ومع أنها كانت عاملا من عوامل النهضة الثقافية الحديثة، وبث الوعى لدى المواطنين بتاريخهم فإن أسلوبها الصحفى تغلب عليها .

٤ـ مجموعة الكتاب الشوام التى وفدت إلى مصر

وهى التى تكونت من بعض الكتاب الشوام الذين جاء بعضهم إلى مصر فراراً من بطش الحكم العثمانى، وجاء البعض الآخر إليها إما للدراسة أوالتجارة، واستقروا فيها وأسهموا فى كتابة تاريخها بطريقة فعالة ومن هؤلاء جرجى زيدان، وعبد الرحمن الكواكبى وإسماعيل الأيوبى وغيرهم فكتب جرجى زيدان بعض المؤلفات فى تاريخ مصر الحديث وغيره نذكر منها «تاريخ مصر الحديث مع فذلكة فى تاريخ مصر القديم [٨٤]» و «تاريخ التمدن الإسلامى» و«تاريخ الماسونية العام» و«تراجم مشاهير الشرق» فى القرن التاسع عشر[٨٥] و التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن ، كما أن له العديد من الروايات التاريخية منها «استبداد المماليك»، و«المملوك الشارد» يضاف إلى ذلك أنه أصدر مجلة الهلال فى أواخر عام ١٨٩٢ وتولى تحريرها بنفسه ، وكتب فيها العديد من المقالات التاريخية التى تتبع فيهاالنهضة الأوروبية الحديثة وتطورها وحاول التوفيق بين النظامين الأوروبى والعربى، والمواءمة بين التاريخ العربى ومستقبل المدنية الحديثة، ومع أن كتابات زيدان كان ذات أثر فى تنشيط الروح القومية والحياة الثقافية فى مصر خاصة فى الفترة ما بين الاحتلال البريطانى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، فإن بعض ماكتبه فى

تاريخ مصر يعوزه الدقة ويحتاج إلى التصويب(٨٦).

وكتب عبد الرحمن الكواكبى عدة كتب من أبرزها «أم القرى» و«طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» فبسط فى الأولى رأيه فى إصلاح ماعوج من أمور الاسلام وجمع كلمة المسلمين، و«جمعية أم القرى» اسم أطلقه الكواكبى على مؤتمر عام تخيل انعقاده فى مكة المكرمة، وجمع فيه مندوبين ينوبون عن أمم العالم الإسلامى فى مشرقه ومغربه، وألقى على لسان كل منهم خطابا يشرح فيه أحوال المسلمين كما رآها فى بلده وسمع عنها بالنسبة لبعض البلدان الإسلامية، وفى هذا المؤتمر أنكر الكواكبى الخلافة على آل عثمان، ودعا إلى الخلافة العربية والكتاب فى مجمله يتطرق إلى العلل التى أصابت الأمة الإسلامية والطريق الناجح لعلاجها(٨٧).

أما عن الكتاب الثانى(٨٨) فقد أوضح فيه الكواكبى ماهية الاستبداد بقوله أنه صفة الحكومة مطلقة العنان التى تتصرف فى شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولاعقاب محققين، وأعلن أنه أراد بكتابه «تنبيه الغافلين» لمورد الداء، عسى أن يعرف الشرقيون أنهم المتسببون لما هم فيه(٨٩) وهدد فيه الأمم التى لاتحسن سياسة نفسها بسيطرة أمة أخرى عليهابقوله «إذا لم تحسن أمة سياسة نفسها أذلها الله لأمة أخرى تحكمها، كما تفعل الشرائع

بإقامة القيم على القاصر أو السفيه[٩٠] » يضاف إلى ذلك أن الكواكبى حصر مشكلة الأخلاق فى موضع واحد خلاصته أنها «حرب إرادات بين الحاكم المطلق والرعايا المحكومين»وتمكن من حسم المشكلة بتقسيم الأخلاق إلى قسمين مختلفين، قسم لمصلحة الحاكم المستبد والآخر لمصلحة الرعايا المحكومين فأوضح أن من مصلحة المستبد شيوع النفاق والتملق والريبة بين مواطنيه وتشجيع الأشرار على تنفيذ أغراضهم دون أى تبعة أو مساءلة ومن آثار ذلك إضعاف ثقة الناس بأنفسهم وفقدهم ثقة بعضهم ببعض[٩١] .

والعلاج الناجح لذلك هو تعود الناس على الاشتراك فى الرأى والتعاون على العمل ، فيرى الكواكبى أن حكم الاستبداد قد استفحل بين المسلمين بعد إهمالهم حياة الجماعة والمشاورة بين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ولما كانت الموضوعات التى كتبها الكواكبى من الموضوعات المحرمة فى ذلك الوقت خاصة وأنها تمس أنظمة الحكم من قريب وتوضح للشعوب حقوقها، وتهيئها للمطالبة بها، فقد استاء السلطان العثمانى من هذه الكتابات وحظر نشرها داخل سلطنته، وعندما فارق الكواكبى الحياة فى عام (١٣٢٠هـ، ١٩٠٢م) اغتبط السلطان بموته وأراد القضاء على أفكاره بمصادرة مخطوطاته

وكتاباته على حين أسف عليه كل من كان محبا لاصلاح أحوال العالم الإسلامى، ورأى فيه نموذجا عزيز المنال لأولئك النوابغ الذين يضحون بكل ما يملكون من أجل أن يتحقق النجاح لمحاولاتهم الإصلاحية.

٥ـ مجموعة الكتاب العسكريين.

وقد قدم معظم أصحابها معلومات مهمة تعرضوا فيها لأحداث لم يتوفر لغيرهم معرفتها، كتبوها بصفتهم شهود عيان لها أو مشاركين فى صنعها، فقدموا بذلك خدمات جليلة لتاريخنا المعاصر، ومن أبرز هؤلاء «أحمد حمروش» و«جمال حماد» و«محمد فوزى» و«محمد عبد الغنى الجمسى» ومحمد عبد الحليم أبو غزالة» و«محمد فيصل عبد المنعم»، وأعضاء هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع وفيما يلى نعرض لبعض كتاباتهم.

كتب أحمد حمروش قصة ثورة ٢٣ من يوليو فى أربعة أجزاء كما كتب من سيناء إلى الجولان.

وفى الدراسة الأولى ناقش فيها قصة الثورة مبينًا أن الحديث عن مصر والعسكريين لاينتهى بوصولهم إلى قمة السلطة، ولكنه يبدأ، وأن سنوات الصدام التى انتهت بالقضاء على الأحزاب القديمة واعتقال الشيوعين وحل الأخوان السملمين وعزل محمد نجيب لا

تظهر الدور الذى قام به العسكريون فى بناء المجتمع المصرى ولكنها تؤجله، وأن عبد الناصر لم يلعب دوره كاملا إلا بعد تغلب مجلس قيادة الثورة على خصومه وانفراد عبد الناصر بالسلطة وكسب ثقة الجماهير، ثم بدأت سنوات الصعود وتجلت المواقف الوطنية وأحس عبدالناصر أن قصة الثورة لا تكتمل داخل حدود مصر وأن تأثيرها التاريخى لا يقتصر على الشعب المصرى ومن أجل ذلك قام بتأييد حركات التحرر العربى ، وسعى من أجل تحقيق الوحدة العربية.

وأبرز ما فى هذه الدراسة أن صاحبها استقى مادتها من أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعض الضباط الأحرار والمسئولين وأنه كتبها من منطق تقدمى فى فهم حركة التاريخ.

وإلى جانب ذلك كتب حمروش دراسة مطولة بعنوان «من سيناء إلى الجولان» تحدث فيها عن تطورات الصراع العربى الإسرائيلى وأبرز ما يميزها الجهد المبذول فيها خاصة من الناحية التحليلية.

أما عن دور هيئة البحوث التاريخية فيتضح فيما تصدره من دراسات توضح فيها الدروس المستفادة من الحملات العسكرية أو الحروب التى خاضها الجيش المصرى وأبرز الأمثلة على ذلك إصدارها لدراسة مهمة بعنوان «حرب العدوان الثلاثى على مصر ـ خريف ١٩٥٦» والتى حصلت على مادتها من الوثائق المصرية خاصة

العسكرية منها مثل وثائق مسرح العمليات، والوثائق الخاصة بالخطط الدفاعية وهذا ما لا يتيسر الاطلاع عليه سوى للعسكريين هذا إلى جانب رجوعها للمصادر الإسرائيلية وغيرها مما يشكل رؤية رسمية لحرب العدوان الثلاثي على مصر.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في التفاصيل الدقيقة الخاصة بالمعارك والمستندة على وثائق وخرائط وجداول وتقارير أرشيفية وشهادات وتصريحات للمسئولين والسياسيين والعسكريين من خلال فترة الحرب مما يجعلها مصدرا رئيسيا لكل من يتعرض لهذه الحرب بالدراسة بصفة خاصة ولتاريخ مصر في النصف الثاني من القرن العشرين بصفة عامة.

وبعد أن عرضنا لمدرسة الهواة من المؤرخين نستطيع أن نذكر أنه رغم كل الجهود الطيبة التي بذلها هؤلاء في كتابة تاريخ مصر، ورغم أنه يحلو للكثيرين من المثقفين الكتابة في التاريخ والعوص في أعماقه، فإن ذلك لا يعني أن كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخًا بل لابد أن يتوافر فيمن يكتب التاريخ من الصفات والاستعدادات والظروف التي تؤهله للقيام بهذا العمل خاصة وأن الدراسات التاريخية الحقة ليس من السهل كتابتها، وقد كان «تولستوى» على حق حين ذكر في رائعته «الحرب والسلام» أن

التاريخ هو دراسة حياة الشعوب والبشر، وأن الإمساك بهذه الحياة، ووضعها في كلمات ، أمر صعب، بل قد يكون مستحيلاً.

وعلى أى حال فقد سارت الكتابات التاريخية على النحو الذى تعرضنا له حتى برزت المدرسة التاريخية الأكاديمية التى قامت بتمصير التاريخ المصرى، ودراسته بطريقة علمية واضحة المعالم.

هوامش :

١ـ أطلقنا هذه التسمية تجاوزًا ، لأن كل من يحاول الكتابة فى التاريخ لا يعد مؤرخًا بل لابد أن تتوافر فيمن يكتب فيه الصفات والاستعدادات والظروف التى تجعله قادرا على ذلك العمل.

٢ـ انظر Modern Egypt vol 2, p 129- 154

وأيضا Abbas IIp. 45 - 48 .

٣ـ Cromer: Modern Egypt VIIp. 217

٤ـ IbidP. 331-332 .

٥ـ Liyod: Egypt since cromer volIP.40 .

٦ـ Cromer: op, cit, v. IIP.324 .

٧ـ Milner: England in Egypt P. 107 .

٨ـ Ibid P. 290 .

٩ـ Ibid: p. 23 .

١٠ـ Cromer: OP. cit.VIIP 532 .

١١ـ للتفاصيل انظر :

John Ninet: Arabi Pacha: Egypt 1880-1883 Paris 1884 P.216.

والجدير بالذكر أن نينيه شغل منصب عميد الجالية السويسرية فى مصر إبان الثورة العرابية. وعن تفاصيل ذلك انظر عرضنا لكتابه فى مجلة السياسة الدولية يناير ١٨٨٢ ص ١٦٦ تحت عنوان مكتبة الثورة العرابية ـ كتابات الأجانب المعاصرين لثورة عرابى باشا.

١٢ـ زار بلنت مصر لأول مرة فى عام ١٨٧٥ ثم عاد إليها فى عام ١٨٨١ بعد

أن ظهرت الثورة العرابية على مسرح الأحداث بصورة واضحة واتصل بقادتها وعقد صلات شخصية مع بعضهم خاصة الشيخ محمد عبده، وقام بنشر برنامج الحرب الوطني في مجلة التيمس كما كلف سكرتيره الشرقي لويس صابونجي بموافاته بتطورات الأحداث أولا بأول خاصة خلال سفره إلى لندن.

١٣ـ نشر في لندن عام ١٨٨٤.

١٤ـ للتفاصيل انظر عرضنا لهذا الكتاب في مجلة السياسة الدولية يناير ١٨٨٢ ص ١٧٠ ـ ١٧١.

١٥ـ الجدير بالذكر أن الهيئة المصرية العامة للكتاب قامت بنشر هذا الكتاب عام ١٩٨٧ بعد أن ترجمه عبد الحميد سليم إلى العربية.

١٦ـ فر من بلاده هربا من عسف الحكم القيصري، وحط رحاله في لندن، وشارك السياسي الإنجليز بلنت في دراسة المسألة المصرية، ونتيجة لتعاطفه مع القضية الوطنية المصرية اختاره مصطفى كامل لرئاسة تحرير جريدة الاجشيان ستاندار وبعد انهيار الحكم القيصري وقيام الثورة البلشفية في روسيا اختاره الزعيم الروسي لينين سكرتيرا خاصا له.

انظر جورج يانج: تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل.

١٧ـ ترجمة عبد الفتاح عنايت، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في عام ١٩٦٤.

١٨ـ ابن محمد سعيد بن محمد علي، ولد بالاسكندرية عام ١٨٧٢ وتعلم في سويسرا وآزر الحركة الوطنية بقلمه وماله.

١٩ـ ولد بالقاهرة في عام ١٨٦٠ وتخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق باريس، وعين وكيلا للجامعة الأهلية، كما تولى رئاسة الديوان الخديوي في عهد عباس الثاني.

٢٠ـ ولد بالفيوم ، وخدم الحكومة كاتبا فرئيس كتاب، فمراقبا ماليا ، ومدرسا لقوانين المالية فى مدرسة البوليس والإدارة، وتوفى بالقاهرة عام ١٩١١ .

انظر : الزركلى. الأعلام جـ ٢ ص ١١٥ .

٢١ـ ولد بإحدى قرى قليوب فى عام ١٨٥٧ ، وتخرج فى مدرسة الهندسة بالقاهرة واشتغل بالتعليم واختير عضوا فى مجلس الشيوخ وتوفى بالقاهرة فى عام ١٩٤١

انظر الزركلى الأعلام جـ ٢ ص ١٧ .

٢٢ـ زكى مجاهد : الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية جـ١ ، القاهرة، مكتبة مجاهد، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ص ٣٦، ومذكرات قلينى فهمى جـ٢، القاهرة ١٩٣٤ ص ٣٣١.

٢٣ـ حير الدين الزركلى الأعلام جـ ٥ ص ٤٨ .

٢٤ـ حول مؤلفات عمر طوسون وآثاره وأعماله العلمية انظر قلينى فهمى فى كتابه الأمير عمر طوسون ، حياته، آثاره، أعماله.

٢٥ـ عبد العزيز رفاعى: أحمد شفيق المؤرخ حياته وآثاره، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٥٤ ص ١٤٨ .

٢٦ـ طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق فى عام ١٩٠٤م.

٢٧ـ صدر عن مطبعة المعارف بالقاهرة فى عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م.

٢٨ـ صدر هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء هى.

تقويم النيل وعصر محمد على ، القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٢٨ ، تقويم النيل وعصر عباس باشا الأول ومحمد سعيد، القاهرة، مطبعة دار الكتب ، تقويم النيل وعصر إسماعيل فى ثلاثة مجلدات القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٣٦.

٢٩ـ ينقسم الجزء الثالث إلى ثلاثة مجلدات كبيرة.

٣٠ـ انظر تقديم شفيق عربال لكتاب أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي.

٣١ـ بعد وفاة السلطان حسين كامل في التاسع من أكتوبر ١٩١٧ تولى الأمير أحمد فؤاد عرش السلطنة.

٣٢ـ عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية جـ ٢، القاهرة، النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٤٩م ص ٢٤٨.

٣٣ـ قام المستشرق «ديني» بالتعريف بهذه الوثائق في كتابه القيم «خلاصة المحفوظات التركية في القاهرة»

Sommaire des archives turques du Caire

وقد نشر هذا الكتاب في عام ١٩٣٠، وظل هاديا ومرشدا للباحثين في هذه الفترة خاصة وأنه من المؤلفات النفيسة وبه وصف دقيق للخطة المتبعة في ترتيب المحفوظات المصرية وتنسيقها وعادات الموظفين والكتاب في القيد والضبط.

٣٤ـ محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، القاهرة دار الثقافة، ١٩٨٠ ص ٤٠ ـ ٤١، وأسد رستم المحفوظات الملكية المصرية ـ بيان بوثائق الشام ـ المجلد الأول ١٩٤٠.

٣٥ـ حمودة: المرجع السابق ص ٤١.

٣٦ـ كان من أبرز المؤرخين المصريين الذين ظهروا في ذلك الوقت محمد صبري السربوني الذي عاد إلى مصر في عام ١٩٢٤ بعد حصوله على الدكتوراة من جامعة السربون، ولكنه كان مكروها من القصر الملكي خاصة وأنه وصف الملك فؤاد في كتابه La Révolution Egyptienne بأنه ملك لا شعبية له.

٣٧ـ د. أبو الفتوح رضوان: التاريخ في مناهج الدراسة بمصر، دراسة بمصر،

دراسة ضمن كتاب تدريس التاريخ لهنرى جونسون ص ١٤٥ .

٣٨ـ ذكر الدكتور محمد أنيس أن المؤرخ الإنجليزى دودول ذكر له فى أثناء دراسته فى لندن أنه لم يتقاض سوى خمسمائة جنيه من الملك فؤاد على كتابه مؤسس مصر الحديثة وأنه يرى أن هذا المبلغ أقل من الجهد الذى بذل فيه .

أنظر المجلة، نوفمبر ١٩٦١ مقال تحت عنوان شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصرى الحديث»

٣٩ـ من المعروف أن هانوتو له عدة مقالات طعن فيها الإسلام والمسلمين وأن الشيخ محمد عبده كان قد رد عليه فى عدة مقالات نشرتها المؤيد فى إبريل ١٩٠٠م.

٤٠ـ انظر الجزء الثانى الفصول من السادس إلى التاسع صفحات ١٨٥ ـ ٢٨٢

٤١ـ انجلو ساماركو · الحقيقة فى مسألة قناة السويس ـ ترجمة طه فوزى القاهرة ١٩٤٠ ص ٨ .

٤٢ـ عبد العزيز الشناوى · الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الرابع، القاهرة، الإنجلو المصرية، ١٩٨٦ ص ٢٠٥٦ ـ ٢٠٥٨ .

٤٣ـ انظر ساماركو: المرجع السابق ص ١٩ .

٤٤ـ الكتاب كما يتضح من عنوانه يبرز أن هناك ظلما صارخا وقع على الخديو إسماعيل ، وقد صدر هذا الكتاب فى لندن فى يوليو ١٩٣٣ وقد قال عنه مؤلفه لست أنا مؤلف الكتاب وإن كان اسمى موجودا على صفحة عنوانه . .لأنه فى الواقع عبارة عن سلسلة وثائق، ولا فضل لى إلا فى جمع المعلومات .

٤٥ـ اسماعيل المفترى عليه ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

٤٦ـ انظر المجلد الأول ص ١٩ ـ ٢٤ (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣)

٤٧ـ د. أبو الفتوح رضوان: المرجع السابق ص ١٤٦.

٤٨ـ الشيال: التاريخ والمؤرخون ص ١٧٩.

٤٩ـ المسألة الشرقية، الجزء الأول، القاهرة ١٨٩٨ ص ٧ ـ ٨.

٥٠ـ نفسه جـ ١ ص ١٦.

٥١ـ الشمس المشرقة ص ٢١ وحول بقية مؤلفات مصطفى كامل يمكن الرجوع إلى على فهمى كامل· مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا سيرته وأعماله من خطب ورسائل سياسية وعمرانية ٦ أجزاء فى ثلاثة مجلدات، القاهرة ١٩٠٩.

٥٢ـ طبع فى القاهرة عام ١٨٩٦، ثم نشرته دار النفائس ببيروت بعد أن قام الدكتور احسان حقى بتحقيقه عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٣ـ طبع بالمطبعة الأميرية القاهرة فى عام ١٣٠٨هـ.

٥٤ـ قام الدكتور رؤوف عباس بتحقيق هذه المذكرات ونشرها فى عام ١٩٧٥.

٥٥ـ نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٧٨.

٥٦ـ نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب الجزء الأول منه فى عام ١٩٨٦.

٥٧ـ نشرت فى عام ١٩٠٨ تحت عنوان «مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا».

٥٨ـ نشرت فى عام ١٩٠٩ تحت عنوان «رسائل مصرية فرنسية».

٥٩ـ حول حياته ومؤلفاته وأعماله انظر الزركلى: الأعلام جـ ٥ بيروت، الطبعة السادسة ص ٥٩.

٦٠ـ لفتحى رضوان العديد من الكتب نذكر منها.

ـ المهاتما غاندى: حياته وجهاده، القاهرة ١٩٣٢.

ـ مصطفى كامل القاهرة، دار المعارف ديسمبر ١٩٧٤.

ـ عصر ورجال القاهرة الإنجلو المصرية ١٩٦٧.

ـ مشهورون منسيون القاهرة، كتاب اليوم العدد ٢٧، أخباراليوم أكتوبر

١٩٧٠.

- كفاحنا الوطني في نصف قرن ، القاهرة، د. ت .

٦١- مؤلفات الرافعي في تاريخ مصر الحديث والمعاصر عديدة نذكر منها:

أ- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم (جزءان) ويتضمن بدايات ظهور الحركة القومية في مصر ، والمقاومة الشعبية التي واجهت الحملة الفرنسية وتاريخ مصر القومي إلى ولاية محمد علي.

ب - عصر محمد علي ويشتمل على عرض واف لعصره وأعماله.

جـ- عصر إسماعيل (جزءان) ويشتمل على عهد عباس وسعيد وإسماعيل.

د - الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي وفيه يعرض الرافعي لأسباب الثورة وتفاصيل أحداثها وأسباب إخفاقها كما يقف من عرابي موقفا عدائيا.

هـ- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية وفيه يدرس حياة الزعيم الشاب ويتابعه منذ مولده إلى وفاته.

و - مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ويشتمل على تاريخ مصر القومي من ١٨٩٢ إلى ١٩٠٨.

ز- محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية ويشتمل على تاريخ مصر القومي من ١٩٠٨ إلى عام ١٩١٩.

ح- ثورة سنة ١٩١٩ (جزءان) ويشتمل على تاريخ مصر القومي من ١٩١٩ إلى ١٩٢١.

ط- في أعقاب الثورة المصرية (ثلاثة أجزاء) ويشتمل على تاريح مصر القومي من ١٩٢١ إلى ١٩٥١.

ى- مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ك- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ل - مذكراتي ١٨٨٩ - ١٩٥١ وفيها عرض لتسريط حياته.

م ـ جمال الدين الأفغاني باعث نهضة الشرق وقد صدر بعد وفاة الرافعي بسبعة أيام.

وبالإضافة إلى هذه الكتب فقد صدرت له سلسلة تحت عنوان «مصر المجاهدة في العصر الحديث» قررتها وزارة التربية والتعليم على طلاب المرحلة الثانوية.

٦٢ـ حمادة إسماعيل: صناعة تاريخ مصر الحديث ـ دراسة في فكر عبد الرحمن الرافعي ، القاهرة ، سلسلة مصر النهضة ص ٢٠٦.

٦٣ـ بهاء الدين علوان: عبد الرحمن الرافعي مؤرخ مصر الحديثة، القاهرة أعلام العرب ١٩٨٧ ص ٦١.

٦٤ـ الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية جـ ٢ ، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ ص ٦.

٦٥ـ الجدير بالذكر أن معظم الكتابات التاريخية في ذلك الوقت تأثرت بانتماءات أصحابها وميولهم، فالعقاد أحب الوفد في شخص سعد زغلول، وهيكل عبر في كتاباته عن رأى ومواقف الأحرار الدستوريين.

٦٦ـ ذكر لي السيد / حامد إبراهيم الذى كان يعمل بمطبعة السعادة بباب الخلق التى طبع فيها هذا الكتاب أن الرافعي لم يتجاهل نجيب في كتابه وإنما الرقابة على المطبوعات هي التى حذفت معظم ما كتبه عنه.

٦٧ـ اتهمت صحيفة كوكب الشرق الرافعي أنه استعان بكتاب صاحبها أحمد حافظ عوض ـ والذى تولى إدارة جريدة المؤيد عقب وفاة مؤسسها الشيخ علي يوسف ـ المسمى «فتح مصر الحديث أو نابليون بونابارت في مصر» في تأليف كتابه المسمى «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم» دون الإشارة من الرافعي إلى ذلك، ولكن يبدو أن تشابه مصادرهما عند الكتابة كانت متقاربة وإن كان الرافعي قد تعرض لهذه الفترة بالدراسة والتوضيح أكثر من حافظ عوض ومع ذلك فنحن نؤكد على ما ذكرناه من قبل بأن

الرافعى قام بإجراء بعض التعديلات فى مذكرات محمد فريد.

٦٨ـ محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ ، القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٢ ص ١٥.

٦٩ـ انظر في أعقاب الثورة جـص ٥.

٧٠ـ من المعروف أنه بعد عودة عرابى من منفاه إلى وطنه استقبلته معظم الصحف وبعض الناس شر استقبال ، فوجهوا إليه تهمة الخيانة وحاولوا الحط من قيمته ومن ثورته ، ولكن هناك من استقبله بموضوعية مثل لطفى السيد فقال أن له حسنات وله سيئات وأن الخيانة أمر لم نعرفه فى زعمائنا المصريين.

٧١ـ غربال : المرجع السابق ص ١٢

٧٢ـ انظر : د. أحمد الهوارى: نقد المجتمع فى حديث عيسى بن هشام القاهرة ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٣.

٧٣ـ أصدرته دار المعارف فى عام ١٩٧٤.

٧٤ـ نشرته أخبار اليوم فى العدد ٥٥ من كتاب اليوم يوليو ١٩٧٢.

٧٥ـ نشرته دار المعارف فى عام ١٩٨٠.

٧٦ـ نشرته دار المعارف فى عام ١٩٨٢.

٧٧ـ نشرته مكتبة غريب بالقاهرة فى عام ١٩٨٨.

٧٨ـ نشرته أخبار اليوم ضمن سلسلة كتاب اليوم ١٩٨٠.

٧٩ـ نشرته دار المعارف.

٨٠ـ نشرته مؤسسة الأهرام.

٨١ـ نشرته مؤسسة الأهرام.

٨٢ـ نشرته دارالشروق فى مارس ١٩٨٧ وفيه اعتمد محسن محمد على أوراق قضية الاغتيال المحفوظة فى متحف دار القضاء العالى وعلى غيرها من

الوثائق.

٨٣ـ نشرته دارالتعاون.

٨٤ـ طبع بمطبعة المقتطف فى عام ١٨٨٩.

٨٥ـ نشرته مطبعة الهلال فى عام ١٩٠٢ كما نشرت باقى مؤلفاته الأخرى، والجدير بالذكر أن لجرجى زيدان كتابا بعنوان «مصر العثمانية» ألفه فى عام ١٩١١ ولم ير النور إلا هذا العام، وكان قد قدمه للجامعة المصرية وتقاضى مكافأة عنه، فى نظير قيامه بتدريسه للطلاب ضمن مادة التاريخ الإسلامى ثم عدلت الجامعة عن ذلك خشية أن يدرس غير المسلم التاريخ الاسلامى.

٨٦ـ من أبرز الأدلة على ذلك خلطه بين الكعبة المشرفة والحجرة النبوية، فذكر أن الوهابيين حين فتحوا الحجاز نهبوا الكعبة ، والحقيقة أنهم استولوا على ما كان فى الحجرة النبوية من النفائس والأموال، فالكعبة لم يكن بها أموال حتى يستولوا عليها، ومن المعروف أن محمد على قد استرد بعض هذه الأموال انظر ص ٢٢٩ من كتاب تاريخ مصر الحديث.

ولتفاصيل ذلك انظر مقالنا المنشور تحت عنوان «دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فى كتابات المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى»

مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية العدد الأول، رجب ١٤٠٩هـ / فبراير ١٩٨٩م.

٨٧ـ نشر الكتاب فى طبعات متلاحقة بعضها كان مبتورا ، وبعضها أعيد فيه ما حذف منه.

٨٨ ـ لم يصرح الكواكبى باسمه على غلاف الكتاب بل استبدله بالرحالة «ك» وقد نشرت جريدة المؤيد بعض موضوعاته عندما زار الكواكبى مصر فى عام ١٣١٨هـ فى وقت كانت فيه العلاقات بين قصرى يلدز وعابدين فاترة تم طبع بعد ذلك عدة طبعات أبرزها طبعة المكتبة التجارية الكبرى فى عام

١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

٨٩ـ من تصدر الكواكبى للكتاب .

٩٠ـ طبائع الاستبداد ص ١٣٦ .

٩١ـ للتفاصيل انظرعباس العقاد : عبد الرحمن الكواكبى، القاهرة دار نهضة مصر ص ٨١ ـ ١٨٤ .

الفصل الثالث:
الاتجاهات الأكاديمية بالمدرسة التاريخية الوطنية

في الثلث الأول من القرن العشرين، وبعد افتتاح الجامعة المصرية الحكومية في عام١٩٢٥ سارت المدرسة التاريخية المصرية ـ مثل غيرها من المدارس ـ في ركاب الأجانب لفترة وكانت اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية والفرنسية بمثابة الوسيلة الأساسية للتعليم العالى وغيره [١] وقد اجتمع بالجامعة إذ ذاك فريق من العلماء الأجانب يحاضرون بلغتهم الأصلية نذكر من هؤلاء بروفسور «سانياك» الذى كان يحاضر فى التاريخ الحديث باللغة الفرنسية والبروفسور جراندور الذى حاضر فى التاريخ القديم، وبروفسر كوبلاند الذى ألقى محاضراته بالإنجليزية فى تاريخ العصور الوسطى وغيرهم من الأساتذة الذين وفدوا على مصر من الجامعات الأوروبية واحتلوا معظم كراسى التدريس بالجامعة.

يضاف إلى ذلك أن رئيس قسم التاريخ بالجامعة المصرية حتى عام ١٩٣٦ كان أجنبيا وكان الأساتذة المصريون يحاولون شق طريقهم إلى كراسى الأستاذية بصعوبة بالغة [٢].

وظل الحال على ذلك حتى بدأت تلوح فى الأفق بوادر مدرسة وطنية مصرية عندما عاد «محمد رفعت» من جامعة «ليفربول»

بإنجلترا إلى مصر حاملاً رسالته للماجستير وكان ذلك قرب نهايات الحرب العالمية الأولى وعاد «محمد صبرى السربونى» من باريس فى عام ١٩٢٤ حاملاً رسالته للدكتوراة، وعاد «محمد شفيق غربال» من ليفربول ومعه رسالته للماجستير فى عام ١٩٢٤ أيضا، وبدأ كل منهم يؤدى دوره فى خدمة تاريخ وطنه، أما الأول فقد أسهم بطريقة فعالة فى حركة تعريب المقررات التاريخية وتطوير الكتب التاريخية بوزارة المعارف حتى تم وضع القبس الأول الذى اهتدى بضوئه الطلاب والكتاب(٣).

وبالنسبة للثانى «محمد صبرى» فقد تقلب على العديد من المناصب الحكومية ولم تتح له الفرصة للإسهام فى عملية بناء المدرسة التاريخية الوطنية وإن كانت مؤلفاته خير شاهد على نبوغه.

أما الثالث « محمد شفيق عربال» فقد وضعته الظروف فى منصب الأستاذية فى الجامعة المصرية خلفًا للأستاذ الإنجليزى جرانت (٤) Grant وتمكن المصريون بفضل علمه ومثابرته من إقامة مدرستهم التاريخية الأكاديمية ومن هنا بدأت عملية تمصير التاريخ المصرى وتكوين المدرسة التاريخية المصرية التى مازالت إشعاعاتها باقية حتى الآن والتى صار للمؤرخين المصريين فيها ـ ولأول مرة ـ وجهة نظر مصرية فى كتاباتهم، ومع ذلك فالسؤال المطروح هو :

لماذا لم تتوحد جهود «غربال» مع صبرى السربونى من خلال قيامه بتمصير مدرسة التاريخ المصرى، وكان من الممكن أن يؤدى ذلك إلى الإسراع بهذه المدرسة خطوات إلى الأمام؟ ولماذا تحمل غربال المسئولية وحده وارتفع نجمه بينما توارى نجم السربونى وعاش معظم حياته فى الحكومة مبعدا عن وظائف التدريس فى الجامعة؟

الواقع أن «صبرى السربونى» أقدم فى حقل الدراسات التاريخية من «غربال» فقد حصل على دكتوراة الدولة من جامعة السربون بينما لم يحصل غربال إلا على الماجستير وعمل كلاهما فى «مدرسة المعلمين العليا» بعد عودته إلى مصر وبعدها ارتفع نجم غربال وأفل نجم السربونى.

يرجع البعض ذلك إلى أن غربال كان يجنح إلى مجاملة أسرة محمد على ليكسب عطفهم، ويضمن البقاء فى وظيفة محترمة، كما أنه كان ينفذ أوامر الملك فى شئون التعليم والتى تنحصر فى معارضة كل توسع فى إنشاء المدارس والمعاهد يضاف إلى ذلك أنه طمع فى الاستزادة من عطف الملك فاروق فألف كتاباً عن محمد على فى عام ١٩٤٤ ولم تكن المكتبة العربية فى حاجة إلى مثل هذا الكتاب لكثرة المؤلفات عن ذلك الموضوع فى هذه الفترة(٥) وفى هذا الكتاب دافع غربال عن كل أعمال محمد على دفاعاً لا يستند

إلى الموضوعية في بعض الأحيان ، خاصة وأن بعض المؤرخين ومنهم «عبد الرحمن الجبرتي» انتقدوا العديد من أعماله التي كانت شديدة الوطأة على الشعب المصري.

حقيقة أن معظم المؤرخين يتفقون على أن محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة إلا أنهم لم يكونوا راضين عن كل أعماله كما فعل غربال وقد أوضح الدكتور «أحمد عبد الرحيم مصطفى» ذلك في مقدمته لكتاب محمد علي الكبير[٦] وضرب العديد من الأمثلة نذكر منها :

١ـ أنه رغم احتقار محمد علي وحاشيته لأبناء البلاد الذين قاسوا الكثير من السخرة والاحتكار والكرباج فإن غربال أشاد بترقية المصريين من تحت السلاح في الجيش ، وبرر خلو وظائف القيادة في الجيش المصري في عهده من المصريين بعدم الإقبال من أبناء الطبقة الوسطى المصرية على احتراف العسكرية ، وتجاهل نزوع محمد علي ، وأرستقراطيته التركية إلى إبعاد هذه العناصر عن المواقع القيادية .

٢ـ أشار غربال إلى أن محمد علي كان يمقت المذابح ويستنكر الوحشية والقوة بكل مظاهرها مع أنه يتحمل مسئولية مذبحة المماليك في القلعة ، كما يتحمل تصفية خصومه من الزعامات

الدينية، وعلى رأسها عمر مكرم.

٣ـ يذكر غربال أن محمد على كان شخصية مشرقة في حالتي الرضا والغضب، وأنه شخصية إنسانية رقيقة الحس. ونحن نرى فى ذلك مبالغة إلى حد كبير.

وعلى أية حال فقد كان من واجب «غربال» كرائد ومؤسس للمدرسة التاريخية فى مصر أن تتسم كتاباته عن «محمد على» بالموضوعية فيشيد بأعماله فى محل الإشادة بها، وينتقد بعض أعماله فى مواضع أخرى[٧] هذا على حين أن السربونى» كان مكروها من القصر الملكى، ومن الحكومة التى التجأ إلى القضاء ضدها أكثر من مرة لإنصافه منها، يضاف إلى ذلك أن السربونى كان يرغب فى العمل منفرداً ودون مشاركة أحد له، وأبرز الأمثلة على ذلك أنه حين طلب منه أن يشترك مع غربال فى وضع بحث عن القضية السودانية تحقيقا لرغبة «محمود فهمى النقراشى» رئيس الحكومة فى ذلك الوقت، اعتذر عن ذلك بحجة أنه اعتاد العمل مستقلا ،وأعرب عن استعداده للقيام بهذا العمل منفرداً ، وانتهى الأمر بتكليفه بهذا العمل[٨] وإلى جانب ذلك فإن طباع غربال التى تتميز بالدماثة والنبل كان تختلف عن طباع السربونى التى تتسم بالخشونة، ومحاولة أخذ الأمور عنوة واقتداراً فى العديد من

الأحيان، كل ذلك جعل التعاون بين الرجلين في مجال تمصير الدراسات التاريخية وتأسيس مدرسة وطنية لكتابة التاريخ المصرى صعبا إن لم يكن مستحيلاً.

وعلى أى حال فقد تشعبت المدرسة التاريخية الأكاديمية في مصر إلى عدة اتجاهات أو تيارات نذكر منها:

١ـ تيار مدرسة نظرية الفرد أو البطل (دور الصفوة المتميزة في تفسير التاريخ) ويرى أصحاب هذه المدرسة التى تزعمها الأديب الإنجليزى توماس كارليل Tomas Carlyle أن الزعماء وعظماء الرجال قد اصطفاهم الله وأرسلهم إلى البشر لهدايتهم، والأخذ بيدهم وأن تاريخ العالم هو في أساسه تاريخ عظماء الرجال الذين حققوه بعملهم وقد ساير هذا التيار «محمد رفعت» و«محمد صبرى» و«محمد شفيق غربال» و«حسن عثمان» و«أحمد عزت عبد الكريم»، علماً، بأن تصنيفهم ضمن هذا التيار لا يعنى أن كل ما كتبوه دافعوا فيه عن دور الصفوة ولكن أغلبه كان كذلك وفيما يلى نعرض لدور كل منهم في هذا الاتجاه.

أولا : محمد رفعت

بعد أن أرسلته نظارة المعارف المصرية إلى جامعة ليفربول بإنجلترا قبل قيام الحرب العالمية الأولى بقليل وذلك للحصول على درجة

الماجستير، قام بدراسة الوثائق الخاصة بحالة مصر في عهد محمد علي، كما بدأ في نشر أبحاثه التي يرجع البدء فيها إلى أيام دراسته وتردده على مكتبة المتحف البريطاني ودار سجلات الحكومة بلندن خاصة سجلات وزارة الخارجية البريطانية(٩) .

وبعد أن تمكن محمد رفعت من الحصول على درجة الماجستير قرب انتهاء الحرب الأولى(١٠) عاد إلى مصر وتقلد العديد من المناصب في وزارة المعارف تمكن في أثنائها من تعريب المقررات التاريخية في الكتب المدرسية، والنهوض بالبحوث التاريخية داخل وزارة المعارف، فكانت الكتب التي وضعها بمثابة القبس الأول الذي اهتدى بضوئه الطلاب، وكان المعلم الأول الذي لقن شباب الجيل، ورجال المستقبل دروسهم الأولى(١١).

ومن أبرز هذه الكتب كتاب «تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة(١٢)» الذي ظل مقررا على طلاب مدرسة المعلمين العليا لفترة ثم على طلاب المرحلة الثانوية إلى أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢(١٣).

وقد أوضح الأستاذ رفعت في مقدمته لهذا الكتاب أنه توخى الأسلوب السهل والطريقة العلمية التي تهدف إلى «الوحدة التاريخية، واتجاه السياسة العامة وربط الأسباب بالمسببات، وإغفال

التفاصيل المملة وإبداء النقد على حسب الحقائق المقررة لا على حسب ما تمليه العواطف وهنا الفرق كل الفرق بين المؤرخ الذى يحب أن يكتب ويبحث لأجل الحقيقة ، وبين السياسى الذى يكتب ويجادل إرضاء لعواطفه الخاصة كما أوضح أن الهدف من تأليفه الكتاب هو أن يفى بحاجة المتعلمين إلى كتاب فى التاريخ على الطرق العلمية الحديثة، وأن يتقدم العاملون للبحث والكتابة العلمية الحديثة فى موضوعاتهم التاريخية.

والكتاب فى مجمله يبدأ بالحملة الفرنسية على مصر فى يوليو وينتهى بالأزمة السياسية التى حدثت بين مصر والدولة العثمانية فى عام ١٨٤٠ واتفاق الدول الأوروبية ضد محمد على، ويركز على النهضة التى أحدثها محمد على فى مصر.

ومما يبرز تأثر الأستاذ رفعت بتيار نظرية الرجل العظيم فى تفسير التاريخ قوله عندما تعرض للحديث عن محمد على إنه ولد فى نفس السنة التى ولد فيها ولنجتون ونابليون وغيره [١٤]، وقوله عن الخديو إسماعيل بأن ما قام به يعد عنوان فخر لكل مصرى، يضاف إلى ذلك أنه شبه الخديوى توفيق بالملك الفرنسى لويس السادس عشر فى عدم مسئوليته عن الحوادث التى عاصرها ، وأن اتهامه بالخيانة ظلم له وللتاريخ على حين نجده يتهم ثورة عرابى

بأنها نقطة سوداء فى تاريخ البلاد.

وللأستاذ رفعت مجموعة أخرى من الكتب والمقالات غير الكتاب الذى تعرضنا له نذكر منها كتابا بالإنجليزية عنوانه The awakening of Modern Egypt

«اليقظة القومية فى مصر الحديثة»، وتمت طباعته فى لندن عن طريق مؤسسة Long mans وهذا الكتاب يعد من الكتب القليلة التى كتبت فى تاريخ مصر بلغة انجليزية من وجهة نظر أستاذ مصرى متخصص لقراء أجانب، وفيه أبرز المؤلف وجهة النظر المصرية تجاه الأحداث التى مرت بها مصر منذ الحملة الفرنسية عليها فى عام ١٧٩٨ وحتى الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢م.

والكتاب فى مجمله يحوى آراء صائبة، ونظرة موضوعية للعديد من الأمور التى استعرضها المؤلف مستعينا بالعديد من المصادر العربية والأجنبية.

وإلى جانب ذلك ألف الأستاذ رفعت كتابا بعنوان «التيارات السياسية فى حوض البحر المتوسط» نشرته لجنة البيان العربى فى عام ١٩٤٩ وهو عبارة عن بحوث سياسية تعالج التطورات التاريخية والعلاقات الدولية بين شعوب البحر المتوسط ودوله.

كما ألف كتابا آخر بعنوان «التوجيه السياسى للفكرة العربية

الحديثة» نشرته دار المعارف فى عام ١٩٦٤ وقد عالج فيه تطور الفكرة العربية في مراحلها المختلفة وما صاحبها من نجاح أو إخفاق، وأبرز أدوار النضال المتواصل من أجل تحقيقها فى مختلف المواطن، كما تناول الكتاب حركات التحرر فى الوطن العربى ضد الاستعمار، وتبنى مصر للفكرة العربية.

وللأستاذ رفعت مقالات تاريخية فى مجلة الكاتب المصرى التى خصصت له موضوعا منفردا تحت عنوان «فى أفق السياسة العالمية» فكتب فيه العديد من المقالات منها «اليونان بين الملكية والجمهورية» (١٥) و «بين روسيا والولايات المتحدة(١٦)» و «أمريكا والشرق الأقصى(١٧)» و «مشكلة الهند(١٨)»

وفى المجلدين الخامس والسادس لعام ١٩٤٧ كتب الأستاذ رفعت «حديث الإمبراطورية البريطانية» و «إيطاليا والبحر المتوسط» و«الحركة الوطنية فى ليبيا» و«مصر والسودان».

وكتب فى المجلد السابع لنفس العام «أسبانيا بعد الحرب» و«الهند بين الوحدة والتقسيم» و «فى هيئة الأمم المتحدة» و«الحرب الباردة والقنبلة الذرية» و «مأساة ألمانيا» وكتب فى المجلد الثامن لعام ١٩٤٨ بين «هولندا وإندونيسيا» و «اتحاد الأراضى المنخفضة أو البنلكس» و «سياسة الدول فى الشرق الأوسط» و«مشكلة تريستا

والبحر الإدرياتى».

ولاشك أن هذه الكتابات وغيرها أثبتت إلمام الأستاذ رفعت الواسع بالعديد من الموصوعات، وإن كان معظمها قد تركز حول دور الصفوة المتميزة فى صناعة التاريخ فإن بعضها ركز على مجموعة من الموضوعات الخاصة بالعلاقات الدولية، وبالحركات الوطنية والتحررية وبعض النواحى الاجتماعية والاقتصادية.

ثانيا: محمد صبرى السربونى(١٩)

بعد أن حصل السربونى على دكتوراة الدولة من جامعة السربون عاد إلى مصر، ولكنه لم يعمل فى سلك التعليم الجامعى طويلا ومع ذلك فقد قدم لتاريخ مصر الحديث خدمات جليلة فكتاباته عن الحركة القومية المصرية والتى كانت فى معظمها بالفرنسية تعد ذات دلالات خاصة بالنسبة لتاريخنا الوطنى فعندما تعرض لنشأة الروح القومية فى مصر، ذكر أنها لم تبدأ مع الحملة الفرنسية كما يزعم الكثيرون، بل ترجع إلى حركة على بك الكبير الذى أعلن انفصال مصر عن الدولة العثمانية، ويبدو إدراك السربونى لأهمية دراسة التاريخ فى رفع الوعى لدى المواطنين أنه ربط بين استمرار ثورة ١٩١٩ وكتابة تاريخ مصر، كما أن انبهاره بقيادة سعد زغلول قد حدد له رؤيته لفلسفة التاريخ فتأثر بنظرية دور الرجل العظيم فى

تفسير التاريخ ، لذلك نجده يركز على دور الزعامات ويبدو ذلك واضحا فيما كتبه عن محمد على واسماعيل وعرابي وسعد زغلول وغيرهم، ويبدو ذلك أن كل كتاباته اقتصرت على هذا الدور فحسب ، بل تطرق فى بعضها إلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المصرى وإن كان دور الصفوة المميزة ظل مسيطرا عليها[٢٠] .

ثالثا : محمد شفيق غربال[٢١]

بدأ غربال يتصدى لتحليل أحداث وطنه تحليلاً موضوعيًا انتقاديا لا يقل أصالة ومقدرة عن أفضل المستويات التاريخية فى أوروبا من ناحية عمق البحث والتحليل ، وقد ساعده على ذلك تمكنه من أصول فن التاريخ وإدراكه الواعى لحقائق تاريخ وطنه، وحبه العجيب للاطلاع فى شتى فروع المعرفة الإنسانية وإيمانه الصادق بحرية الفكر.

ومع أن غربال قد تأثر بفلسفة أستاذه المؤرخ الإنجليزى «أرنولد توينبى» فى ربط تفسير التطور التاريخى بدور الصفوة المتميزة فى مجالات النشاط البشرى، وبنظرية «التحدى والاستجابة Challenge and Response التى ترى أن تاريخ كل أمة من الأمم إنما هو إستجابة لتحدى الظروف التى وجدت فيها ، وأن الحياة ذاتها تعد

بمثابة تحد للكائن الحى، ومحاولات هذا الكائن التغلب عليها إستجابة لذلك التحدى، فإنه وإن كان قد ركز على دور الفرد فى صناعة الأحداث بدفاعه عن كل أعمال محمد على وبكتاباته الأخرى عن دور الزعماء والقادة فى تاريخ الأمم وفى أحاديثه الإذاعية(٢٢) فإنه لم يتمسك فى بعض كتاباته بهذا التفسير خاصة وأنه كان يؤمن إيمانا صادقا بحرية الفكر وباختلاف منابع الثقافة، وهذا ما غرسه غربال فى تلاميذه فقد رفض سياسة صب القوالب والتقليد وتمسك بتوجيه ملكات طلابه وقدراتهم كل على حسب امكاناته ودفعهم إلى مضاعفة جهدهم ودأبهم فى البحث، وهو جانب مهم فى الأستاذ الجامعى الذى يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراة.

ومع أن مدرسة غربال قد نجحت فى تمصير حركة التاريخ المصرى فإنها ظلت بعيدة عن الاتجاهات الجماهيرية ومفاهيم الفكر الاشتراكى، خاصة وأن غربال كان يرى أن نظرة المؤرخ تختلف عن نظرة الرجل الذى يعيش فى غمرة الأحداث ويعايش تطوراتها، فهو ينظر إليها «نظرة الناقد وربما الناقد الذى يرى الأحداث من بعيد(٢٣)».

والخلاصة أن غربال ترك مدرسة وإن كانت متعددة المعالم عريضة

الخطوط ، فإن أبرز سماتها أنها ركزت على دور الفرد فى صناعة الأحداث. وقد تبنى هذه المدرسة في مرحلة من المراحل الدكتور عزت عبد الكريم الذى كان يكن لأستاذه شفيق غربال كل مودة وتقدير واحترام، والذى تشبع بمنهجه فى فلسفة التاريخ وتعميق أحكامه.

رابعا : أحمد عزت عبد الكريم

ظل «عزت عبد الكريم» طوال حياته صورة رائعة من صور الوفاء لأستاذه «شفيق غربال» إذ حفظ له حقوق الأستاذية عليه كما سايره فى صبره وجلده من خلال إشرافه على طلاب الدراسات العليا فكان معهم مثل الأب الذى يحنو على أولاده ويتفقدهم ويمد لهم يد العون إذا شعر أن شيئا ما يعوق تقدمهم(٢٤).

لقد اعتبر عزت عبد الكريم تلاميذه بمثابة أولاده الذين إن لم تربطه بهم صلة الدم والنسب فقد كانت تربطه بهم رابطة الفكر والعقل والعلم، فكان يشجع المجتهد منهم ، ولا يبخل بوقته على الآخر فيأخذ بيده حتى يدركه الصواب.

ومما كتبه عزت عبد الكريم فى رسالتيه للماجستير والدكتوراة يتضح مسايرة منهجه لمنهج أستاذه في التركيز على دور الفرد فى صناعة الأحداث، كما يتضح أيضا مسايرته فى بعض الأحيان لمنهج

التاريخ الاجتماعى الوصفى ففى دراسته «تاريخ التعليم فى عصر محمد على» أوضح فضل محمد على فى جعل مصر من الأمم الناهضة، فذكر أن مصر أجدر الأمم بأن تذكر على الدوام فضل محمد على مؤسس نهضتها ، فبفضله تبوأت مصر مقاما عليا بين الدول، وأخذت بأسباب القوة والحضارة، وكان التعليم من أهم إصلاحاته الخالدة على مر الزمن»[٢٥].

وفى دراسته تاريخ التعليم فى عهد عباس الأول وسعيد واسماعيل نجده يساير نفس المنهج فيرجع نهضة مصر الحديثة إلى محمد على وأفراد أسرته فذكر «أن مصر مدينة بنهضتها الحالية فى شتى مرافق حياتها إلى... محمد على الكبير فقد أرسى قواعد النهضة وأنشأ البناء على أساس متين من قوة الحديد والعلم والمال حتى إذا تولى أمر مصر الخديوى إسماعيل قوم البناء وأصلح معطوبه..ووصلت مصر بفضله إلى مصاف الدولة المستنيرة الكبرى[٢٦] »

وقدساير الدكتور عزت عبد الكريم هذا الاتجاه فترة ، ثم تبعه باتجاهات أخرى فى الدراسات التاريخية خاصة وأنه كان متفتحا على كل جديد فكتب فى تاريخ أوروبا الاقتصادى وفى تاريخ العرب الحديث والمعاصر كما شجع تلاميذه على طرق مجالات جديدة فى

دراساتهم مثل الكتابة فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى وغيره.

خامسا: الدكتور عبد الحميد محمد البطريق[٢٧]

كان رفيقا لعزت عبد الكريم منذ الصبا، وتوطدت الصداقة بينهما نتيجة لتتلمذهما على شفيق غربال، ونتيجة لعملهما أيضا فى حقل التعليم الجامعى.

ويبرز اتجاه الدكتور البطريق فى التركيز على دور الفرد أو البطل فى صناعة الأحداث فى رسالته للماجستير عن محمد على فى بلاد العرب، وفى دراسته المعنونة «إبراهيم باشا في بلاد العرب [٢٨]» والذى أوضح فيهما تاريخ كل من الرجلين فى الجزيرة العربية، وعلاقة إبراهيم بأبيه القائمة على الإخلاص والوفاء، ودور إبراهيم فى توطيد الحكم المصرى فى بلاد العرب، وتأمين السكان على أموالهم وأملاكهم.

وسارت نظرية كتابه تاريخ دور الفرد المتميز تتقدم أحيانا وتتهاوى فى أحيان أخرى حتى وجه الدكتور «أحمد عبد الرحيم مصطفى[٢٩] طلابه فى الدراسات العليا بتجنب إضفاء هالات البطولة والتقديس على الزعماء، والابتعاد عن سراب العبقريات خاصة وأن الشعوب هى التى تصنع الأحداث ، وأن أى زعيم مهما

كان دوره فهو لا ينشأ من فراغ، بل أن شعبه هو الذى يصنعه، لذلك يجب وضعه تحت المنظار التاريخى لدراسته وتقييمه بشكل علمى.

ومن أبرز طلابه الذين سايروا هذا الاتجاه الدكتور «عبد الخالق لاشين» الذى كتب رسالته للماجستير «سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤»[٣٠] ورسالته للدكتوراة «سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية[٣١]».

وفى هاتين الدراستين عالج لاشين دور سعد زغلول بطريقة لم ترض الكثيرين ممن وضعوا هالات البطولة والتقديس على هذا الزعيم المصرى مما جعلهم يثيرون الضجة حول ما كتبه بحجة أنه تطاول على أحد أبطال مصر القوميين.

وقد رد عليهم الدكتور «أحمد عبد الرحيم مصطفى» بقوله: قيل أن لاشين قد تطاول على المقدسات، ومس تاريخنا القومى مسًا غير رقيق، وكأن هذا التاريخ حكر على حملة المباخر وصانعى الطغاة.. وكأن أبطالنا القوميين من فئة الصحابة والقديسين الذى لا يصح أن يتطاول أحد على نبش قبورهم.

كما أوضح أن الدول الناضجة فى فكرها تقوم زعماءها تقويمًا موضوعيًا ولا تحكم عليهم بحسب مقتضى الحال، والشعوب القاصرة فقط هى التى ترى «أن التاريخ إن هو إلا سجل للأبطال،

وأن الشعوب ليست سوى قطعان غنم، وطالب بالتزام النظرة العلمية التي هي عاصمنا من الزلات الكبار، وبألا نجرى وراء سراب العبقريات والفلتات التاريخية وصانعي المعجزات[٣٢] خاصة وأن الزعيم ليس سوى شخص يعبر عن إرادة شعبه وإلى جانب ذلك فقد أوضح الدكتور لاشين أن هدفه من دراسة سعد زغلول هو تقييم دور الفرد في صياغة الحركة التاريخية، وقد اتضح له إلى أى مدى ثبت إفلاس دور الفرد كبطل عظيم فى خلق تلك الحركة التاريخية[٣٣].

وعلى أي حال فإن أصحاب مدرسة دور الصفوة المتميزة كانوا روادًا تميزوا بسعة الأفق والثقافة، وكونوا ما يمكن أن نطلق عليه الارستقراطية الفكرية، فشعورهم بذواتهم وتفرد ثقافتهم ومناهجهم، وقلة اعدادهم ودورهم فى تمصير حركة التاريخ المصرى فى الجامعة كل ذلك خلع عليهم أهمية خاصة.

ونتيجة لذلك انعزل غربال وغيره من أصحاب هذه المدرسة عن دراسة الاتجاهات الجماهيرية، وازداد يقينهم باتجاه قدرة الفرد المتميز في إيجاد الحلول لمجتمعه وبأن الزعامات الفردية هى الوسيلة المثلى لإصلاح متجمعاتهم، خاصة وأنها تمتلك مقاليد القوة بفضل قدراتها التنظيمية وتقديرها الدقيق لمصادر القوة فى المجتمع ومع ذلك فإن أفراد هذه المدرسة لم يكونوا جامدين فى مواقفهم، بل

أشاروا إلى الخطوط العريضة التي يمكن لتلاميذهم أن ينتهجوها[٣٤] يضاف إلى ذلك أنهم فى كتاباتهم لم يتجاهلوا التفاعل المتبادل بين الصفوة والمجتمع الذى يعيشون فيه.

- اتجاه مدرسة رانكه Ranke

وصاحب هذه المدرسة هو المؤرخ الألمانى «ليوبولد فون رانكه» Leopold Von Ranke الذى يرى «أن الصرامة في تقديم الحقائق التاريخية هى القانون الرسمى فى كتابة التاريخ وأنه يجب على المؤرخ أن يعتمد على المصادر المعاصرة فى إعادة تصوير الماضى كما حدث بالضبط [٣٥]» خاصة وأنه يرى أن المؤرخ لا يجب أن يصدر أحكاما على الحقائق، وإنما عليه أن يكيفها التكييف الصادق فى ضوء الوثائق التاريخية مع الاهتمام بالتفاصيل[٣٦].

وقد ألزمت هذه المدرسة نفسها بدراسة التاريخ من خلال الدبلوماسية وأحوال الساسة والسياسة[٣٧] ومن المؤرخين الذين سايروا هذه المدرسة نذكر: الدكتور محمد فؤاد شكرى، والدكتور محمد مصطفى صفوت، والدكتور / عبد العزيز الشناوى والدكتور/ رجب حراز وغيرهم، فيما يلى نعرض لاتجاهاتهم فى هذا المجال.

الدكتور محمد فؤاد شكرى[٣٨]

مع أن الدكتور شكرى اهتم فى معظم كتاباته بالتاريخ السياسى فإنه لم يهتم بتحليل الأحداث بالقدر الذى اهتم فيه بالمادة العلمية وتفاصيلها، وحجته فى ذلك أن التحليل لابد وأن يسبقه مادة علمية غزيرة يمكن للباحث الاستناد عليها حتى تكون كتاباته سليمة، وأن التاريخ هو التاريخ ، يضاف إلى ذلك أنه فى روض كتاباته كان لا يهتم كثيراً بكتابة الهوامش والحواشى ، ومع ذلك فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر دوره الواضح فى بناء المدرسة التاريخية المصرية، وفى إثراء مكتبتها بمؤلفاته العديدة فقد كان أستاذاً معلماً بكل معانى الكلمة ، يوجه طلابه بالرأى السديد والعلم الواسع والخبرة الأصيلة، يعرض فكره ورأيه بثقة العالم المتمكن من نفسه ويدير المناقشات والجلسات العلمية الجادة التى كان يحضرها لفيف من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الآفاق أمام الباحثين[٣٩].

الدكتور محمد مصطفى صفوت

اهتم الدكتور صفوت فى معظم كتاباته عن مصر بتاريخها السياسى واستند فى ذلك إلى حد كبير على الوثائق كما اهتم بسرد تفاصيل الأحداث فكتب بحثا بعنوان «موقف ألمانيا إزاء المسألة

المصرية ١٨٧٦ - ١٩١٤ ، استعرض فيه موقف الحكومة الألمانية بإزاء المسألة المصرية بصفة عامة، وحيال العلاقات الإنجليزية المصرية بصفة خاصة[٤٠] وكتب دراسة بعنوان «إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥١»[٤١] ، حاول فيها عرض مشكلة القناة منذ أن فكر الفرنسيون في إنشائها بطريقة تاريخية علمية مؤيدة بمصادر أصلية، وكتب دراسة بعنوان «الاحتلال الإنجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه»[٤٢]، تناول فيها موقف فرنسا وألمانيا وغيرهما من الدول الأوروبية تجاه الاحتلال، وكتب دراسة بعنوان « مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة»[٤٣] ، تناول فيها تطور حياة مصر المعاصرة من الناحية السياسية منذ قيام الثورة العرابية إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، كما تعرض الفصل الأخير منه إلى بعض مظاهر اليقظة القومية والأدبية والفنية والاقتصادية وغيرها.

ـ الدكتور عبد العزيز الشناوى[٤٤]

ساير الدكتور الشناوى مدرسة رانكة من حيث الاهتمام بسرد الحقائق وتدعيمها بالوثائق ويتضح ذلك جليا في دراسته الموسوعية المعنونة «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها»[٤٥] ، كما يتضح ذلك أيضا في رسالته المعنونة «السخرة في حفر قناة السويس».

والجدير بالذكر أن الدكتور الشناوى تحمس في أواخر حياته

للتيار الإسلامى فى كتاباته .

الدكتور السيد رجب حراز

ساير طريقة أستاذه شكرى واتجاهه فى الكتابة التاريخية، وتعلم اللغة الإيطالية بناء على توجيهات أستاذه حتى يمكنه الاستفادة من الوثائق الإيطالية من خلال دراسته لتاريخ شرق إفريقية، ومن أبرز ما كتبه فى هذا المجال رسالته التى حصل بها على الماجستير فى عام ١٩٥٨ تحت عنوان «انتشار النفوذ الإيطالى السياسى فى ساحل البحر الأحمر الغربى، والسودان الشرقى، وإفريقية الشرقية فى القرن التاسع عشر وتأسيس مستعمرتى أرتريا والصومال ، ورسالته التى حصل بها على الدكتوراة فى عام ١٩٦٣ وكانت بعنوان «انتشار النفوذ البريطانى شرق إفريقيا ووسطها فى القرن التاسع عشر».

واستمرت أعمال هذا الجيل من الدارسين الأكاديميين فى التدفق ، وأخذت محاور الكتابة التاريخية فى التعدد بحكم ما شهدته مصر فى الفترة الأخيرة من تغيرات أدت إلى تخطى حواجز الكتابات السياسية والانطلاق إلى مجالات الجوانب الاجتماعية الاقتصادية وهذا ما سنعرض له.

- تيار مدرسة التاريخ الاجتماعي

يمكن تقسيم أفراد هذا التيار إلى خمس مجموعات :

الأولى : تعرضت للنظرية الماركسية وانطلقت فى كتاباتها من التفسير المادى للتاريخ ، ومن أبرز روادها «شهدى عطية الشافعى» و«فوزى جرجس» و«رفعت السعيد » و«صلاح عيسى» و«عبد المنعم الغزالى» و«سيد عشماوى».

والثانية· انطلقت فى كتاباتها من التفسير المادى للتاريخ وإن لم تتعرض للنظرية الماركسية ومن أبرز روادها «رؤوف عباس حامد و «عبد الخالق لاشين» و«على بركات» و«عاصم دسوقى».

والثالثة . تأثرت بالمدرسة الاجتماعية وإن لم تنطلق فى كتاباتها من التفسير المادى للتاريخ وركزت على طرح قضايا فكرية معاصرة ومن أبرز أفرادها «أحمد زكريا الشلق».

والرابعة : تعرضت لتيار المدرسة الاجتماعية وطرح أفرادها بعض القضايا فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى ومن أبرز روادها «محمود متولى» و«عبد الرحيم عبد الرحمن» و«نوال عبد العزيز» و«ليلى عبد اللطيف » و«عبد الله عزباوى» و«لطيفة سالم» و«على شلبى» و«نبيل عبد الحميد » وغيرهم.

والخامسة : تعرضت لتاريخ مصر بطريقة يغلب عليها المنهج

الوصفى وسرد الوقائع ومن أبرز روادها «الدكتور محمد فهمى لهيطة» والدكتور «أحمد الحته» والدكتور «أمين عفيفى عبد الله» وفيما يلى نعرض لهؤلاء.

أولا: المنطلقون فى كتاباتهم من النظرية الماركسية

وقد ظهر أصحاب هذا الاتجاه فى مطلع الأربعينيات من هذا القرن، وبروزوا بشكل وضاح فى أعقاب ثورة ١٩٥٢ وقد استخدم هؤلاء منهج المادية التاريخية فى معالجة موضوعاتهم وكمحور لتفسير دراساتهم وقدموا للمدرسة التاريخية المصرية العديد من المؤلفات سواء من كان منهم يعمل خارج نطاق حقل التعليم الجامعى أو يعمل فى داخله.

وعن المجموعة الأولى فقد مهد لها «شهدى عطية الشافعى» أحد الشخصيات البارزة فى الحركة الشيوعية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية فى كتابه «تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٦ بقوله: لنا منهج واضح فى هذه الدراسة، منهج علمى قوامه أن تاريخ التطور الاجتماعى هو أولا وقبل كل شيء تاريخ الشعوب... وتحركاتها، وثوراتها وتنظيمها ولا نعنى بها هذه التحركات العفوية الطارئة التى ما أن تهب حتى تخمد، إنما هذه التحركات العميقة المنتظمة التى تعبر عن أن نظامًا اقتصاديًا وسياسيًا معينًا أصبح لا

يصلح للبقاء ، أصبح معرقلاً لتقدم القوى الإنتاجية، أصبح محطما لمستوى المعيشة للشعب وثقافته ، ومن ثم يتعين وجود نظام آخر سياسي ونظام آخر اقتصادى تهب الملايين بقيادة زعمائهم من أجل تحقيقه[٤٦] وقد ساير هذا الاتجاه إبراهيم عامر» فى كتابيه «ثورة مصر القومية»[٤٧] والأرض والفلاح» [٤٨] وكان واحداً من الدين اعتقدوا أن اقتصاد الملكيات الكبيرة وعلاقتها الاجتماعية كانا رأسماليين فى الجوهر.

ففى كتابه «الأرض والفلاح» تعرض لحركات الفلاحين المصريين ضد مستغليهم من كبار الملاك وصراعهم من أجل تحسين أوضاعهم فهجروا قراهم وأهملوا حصد المحاصيل، وامتنعوا عن دفع الإيجارات من أجل تعديل أنظمة تملك الأرض، والحصول على ثمار جهودهم، ومن أجل التخلص من الاحتكار فى الاستغلال الزراعى.

وكتب «فوزى جرجس» أحد المناضلين الماركسيين كتابه «دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى» والذى يعد من الكتب الرائدة فى مجال استخدام المنهج الاشتراكى فى تفسير التاريخ خاصة وأن صاحبه رجل ذو رؤية يبحث فى تاريخ مصر باهتمام وصبر شديدين ليتوصل إلى ظهور الرأسمالية، ويعزز أحكامه بجداول وأرقام تساعده فى حكمه، ويتابع بجلد حركة التطور

الاجتماعى فى المجتمع المصرى والتأثيرات الخارجية والداخلية التى طرأت عليها ومدى تطابق ذلك مع الموقف السياسى[٤٩].

وكتب «رفعت السعيد» عدة مؤلفات مثلت التيار الماركسى فى منهج الدراسات التاريخية، وتناولت التجمعات الطبقية، والقوى الاجتماعية فى مصر، والنضال النقابى والسياسى للطبقة العاملة، والمنابع الفكرية للعمل الاشتراكى، وموقف الحركة الشيوعية من القضية الفلسطينية ومن هذه المؤلفات نذكر «تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ و«اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠» و «تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠ و«الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨» و«اليسار المصرى والقضية الفلسطينية» وفى هذه المؤلفات صور «رفعت السعيد» الحركة الشيوعية بأعظم الصور إيجابية، وبالإضافة إلى هذه المؤلفات فقد كتب «رفعت السعيد» سلسلة من المقالات التاريخية فى مجلة الطليعة وعددا من المقالات التاريخية وغير التاريخية فى الصحف اليومية خاصة «الأهالى» صحيفة حزب التجمع.

وكتب صلاح عيسى «الثورة العرابية» معتمداً على المادية التاريخية كمحور لتفسير هذا الحدث البارز فى تاريخ مصر الحديث.

كما كتب «البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة» وفيه أوضح

أن البرجوازية المصرية جاءت من صلب الإمبريالية وأن مطلب التحالف مع بريطانيا لم يكن مرفوضًا فى منطق البرجوازية المصرية، ولكن المشكلة بينهما تركزت فى شروط الصفقة والمساحة التى تحتلها البرجوازية المصرية من السلطة مقابل إقرارها بشرعية تبعية مصر لبريطانيا[٥٠].

وكتب عبد المنعم الغزالى «تاريخ الحركة النقابية فى مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢ وتعرض فيه لتاريخ الطبقة العاملة، والحركات السياسية والاشتراكية التي واكبت الحركة النقابية وتشابكت معها فى بعض الفترات.

وعلى أى حال فإن هذه المجموعة من الكتاب فى مجملها انتقت من الأحداث ما يوائم تصورها، واعتمدت على المنهج الماركسى فى كتاباتها، وتعمدت تضخيم دور الحركة الشيوعية بإعطائه شكلا دعائيا يخدم الدعوة الشيوعية فى مصر، كما أنها أدارت - كما ذكر الدكتور عبد العظيم رمضان - ظهرها لمنهج البحث التاريخى «لعدم إلمامها به، وفى نفس الوقت فإن افتقار أفرادها للعقلية التاريخية التى يكتسبها المؤرخ من خلال دراساته الطويلة يؤثر تأثيرا سلبيا على النتائج التى تستخرجها من الدراسات».

ويؤكد الدكتور رمضان ذلك، فيذكر أن «رفعت السعيد»

و«صلاح عيسى» عندما قاما بدراسة الثورة العرابية فإن «أياً منهما لم يستطع استعياب روح وفكر العصر الذى يؤرخان له، فهما يغفلان كلية أن القرن التاسع عشر فى مصر كان امتداداً للتاريخ الإسلامى العام وأن المصريين كانوا يعيشون تحت أيديولوجية الجامعة الإسلامية وليس تحت أيديولوجية القومية المصرية التى لم تبرز إلا فى ثورة ١٩١٩ ومن هنا فقد تصوروا أن الصراع فى الثورة العرابية كان دائرا بين فلاحين مصريين وباشوات شراكسة وأتراك، وهو خطأ فادح، فوق أنه خطأ أيديولوجى يغفل نظرية صراع الطبقات[٥١]».

وبالنسبة للمجموعة الثانية فقد عبر عنها الدكتور «راشد البراوى» الأستاذ بكلية التجارة جامعة القاهرة بشكل واضح فى المقدمة التى وضعها لمختارات فردريك إنجلز التى ترجمها تحت عنوان «التفسير الاشتراكى للتاريخ» فيقول «إن الكثيرين من الكتاب إذ يحللون التطور التاريخى لا يبرزون العامل المادى - أو الاقتصادى بمعنى آخر - على أنه القوة الدافعة فى سير المجتمع والأساس الذى تقوم عليه كافة التطورات المتنوعة، وأن المادية التاريخية هى النظرية الحديثة التي صارت لها الغلبة لأنها تفسر التاريخ ببيان أثر الدوافع المادية ممثلة فى الإنسان الحقيقى والطبيعة، وواضحة فى العلاقات المتداخلة بين الجانبين.

وإلى جانب ذلك فقد لخص البراوى نظرية المادية التاريخية فيما يلى:

١ـ إن التغيرات التى مر بها المجتمع البشرى ترجع فى مجملها إلى الأساس الاقتصادى الذى يرتكز على جانبين هما قوى الإنتاج المادية من أساليب فنية وأدوات إنتاج، والعلاقات الاقتصادية كنظم الملكية والتبادل والتوزيع ونتيجة لذلك تنشأ القوانين والتشريعات والأنظمة والحكومات والمذاهب المختلفة وغيرها.

٢ـ إن حدوث تغييرات فى المجتمع تتخذ غالبا شكل النضال بين الطبقات التى تمثل العلاقات المتضاربة بين الطوائف والجماعات بالنسبة لقوى الإنتاج.

٣ـ إن تطور المجتمع الإنسانى سار من النظام البدائى إلى نظام الطبقات ، وأن هذا التطور يتجه إلى نظام جديد تزول فيه المصالح الاجتماعية المتضاربة أى علاقات الجماعات بقوى الإنتاج[٥٢] وأن من يرغب فى دراسة التاريخ على حقيقته ويفسره التفسير الصحيح لابد له من إبراز الجانب الاقتصادى.

ومن هذا المنطلق قدم البراوى كتابه« حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر» والذى أوضح فيه أن قيام الثورة المصرية كان ضرورة اجتماعية ، وأن الدوافع الحقيقية وراء ما حدث فى عام ١٩٥٢ كان فى مقدمتها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تجمعت

وتبلورت حتى وصلت فى النهاية إلى قيام ثورة تستهدف الخلاص من الاستعمار والقضاء على الإقطاع الزراعى، والحد من طغيان العناصر الاحتكارية وتطهير الحياة العامة من الفساد، ودعم الحياة الدستورية حتى يتسنى للبلاد مواصلة سيرها للأمام(٥٣) .

ومن هذا المنطلق أيضا قدم البراوى كتابه «دراسات فى السياسة الاستعمارية ـ حرب البترول فى الشرق الأوسط» والذى أوضح فيه أن الاستعمار هو النهاية المنطقية للتطور الرأسمالى الحديث، وأنه بعد انتقال الثورة الصناعية من أوروبا إلى الولايات المتحدة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وجدت أرضا خصبة صالحة لها، وأن بلدان الشرق الأوسط أصبحت أمام إمبريالية ناشئة فتية قوية طموحة إلى بسط سيطرتها وسلطانها عليها، ويساندها فى ذلك القوى الرجعية التى مهما اختلف الثوب الذى ترتديه ، فإنها أدركت أن نهايتها قد اقتربت نتيجة للحركات الشعبية الآخذة فى النمو والتى تطالب بالتحرر الفعلى لا الوهمى، ونتيجة لذلك لجأت هذه القوى إلى الاستناد إلى الإمبريالية أو الاستعمار الذى يعدهما ويستخدمهما تحت مظاهر خداعة من الرغبة فى ترقية أحوال البلاد، والأخذ بيد الشعوب ووصل بها دهاؤها إلى التظاهر بالرغبة فى نيل الحرية والاستقلال مع قبول المعاهدات والاتفاقيات ذات الصبغة

الدائمة التى تجعل أوطانها فى ركاب الاستعمار بصفة دائمة ، مما يتعين على شعوب المنطقة مقاومة قوى الرجعية لأنها بذلك تدك قواعد الاستعمار، ويتعين على حكامها تطبيق الديمقراطية بمعناها الصحيح لأن الشعوب لم تعد ترضى أن تساق كالأنعام (٥٤) .

نضيف إلى هذه الرؤية المتكاملة لراشد البراوى حول تفسير التاريخ ، ما كتبه فى مقدمته التاريخية والتحليلة للكتاب الذى ترجمه بعنوان الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية , Imperialism the Highest stage of capitalism الذى ألفه لينين وتعرض فيه للحركة الاستعمارية وأهم مظاهرها ودوافعها وما ترتب عليها من تغيرات داخل القارة الأوروبية وخارجها نتيجة لتقسيم مناطق النفوذ بين المجموعات الإمبريالية والحروب التى نشبت نتيجة لذلك فقال «من هنا حق لمؤلفنا لينين أن يتحدث عن الاستعمار بأنه أعلى مراحل الرأسمالية أو التطور المنطقى لنمو الرأسمالية، الواقع أن الإمبريالية ليست رأسمالية احتكارية ولكنها رأسمالية تحمل فى طياتها عوامل فنائها والقضاء عليها ، وهنا يبدو الأمل للشعوب وبخاصة ما كان منها موضع للسيطرة والاستغلال »[٥٥].

كما ذكر أنه بتقديمه لهذا الكتاب حاول أن يوضح للقارىء العربى كيف يتفهم الظواهر التى تحيط به، وأن يتتبع المنازعات

الدولية التي يطغى فيها المظهر السياسي على الجوهر الاقتصادي لها، وأن يعرف كيف يكافح هذا الاستغلال الأجنبي الذي يضرب على وطنه ستارا من الجهل والفقر والمرض[٥٦] .

وإلى جانب البراوي فهناك الدكتور «على الجريتلي» أستاذ الاقتصاد بجامعة الإسكندرية والذي يعد من أبرز الذين استخدموا النظرية الإقتصادية عند تحليلهم للحوادث التاريخية والتطور التاريخي ومع أنه ليس من المؤرخين المحترفين فله آراء مستنيرة في التاريخ الإقتصادي استطاع أن يبرزها من خلال قناعاته العلمية، وهوايته في مجال التأليف التاريخي.

وقد حصل «على الجريتلي» على الدكتوراة من جامعة لندن وكانت بعنوان قوام الصناعة الحديثة في مصر [٥٧] The structure of modern industry in Egypt وهي دراسة قال عنها «شفيق غربال» أنها «بحث علمي من الطراز الأول يشرف العلماء المصريين بحق [٥٨] وقد خصص المؤلف خمسة فصول منها لموضوع «تمويل الصناعة المصرية» وكان قويا صريحا حيث يجب القوة والصراحة [٥٩] ثم تحدث بعد ذلك عن توزيع الصناعات وبيانها والاحتكار في الصناعة وعلاقة الحكومة بالصناعة.

واستمرت دراسات الدكتور الجريتلي في الجانب الاقتصادي

فكتب «تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر [٦٠] وقد تعرض فى هذه الدراسة للتجربة الصناعية التى مارستها مصر فى عصر محمد على وإلى الصعوبات التى واجهتها ، وأشار إلى أن محمد على قد وجه عنايته إلى الصناعات التى تخدم أغراضه العسكرية وخلص إلى أن التجربة الصناعية باءت بالفشل رغم عظم النفقات التى تكبدها محمد على، ورغم الجهود المضنية التى بذلها فى إنشاء المصانع والإشراف عليها خاصة، وأن مقومات الصناعة كانت تفتقر إليها إمكاناته، ومن هنا لم تستطع صناعاته الناشئة الصمود أمام منافسة الصناعات الأوروبية، وفى هذه الدراسة أيضا تعرض «الجريتلى» لتعرض عمال المصانع للاستغلال وإجبارهم على العمل دون رغبتهم وحصولهم على أجور منخفضة وعدم تعويض معظمهم عما لحقهم من أضرار وإلى جانب ذلك فللدكتور «الجريتلى» دراسات مهمة فى النواحى الاقتصادية منها «تطور النظام المصرفى فى مصر» و«الاقتصاد السياسى للثورة» و«السكان والموارد الاقتصادية فى مصر».

وقد مثل الدكتور «الجريتلى» مصر فى مؤسسات دولية متعددة، وشارك فى العديد من المؤتمرات وتولى وزارة المالية والاقتصاد فى الفترة من ٢٥ من فبراير ١٩٥٤ إلى ٨ من مارس من نفس العام،

كما تولى وزارة الدولة للشئون المالية والاقتصادية من ٨ مارس ١٩٥٤ إلى أبريل من نفس العام [٦١]

وهكذا استطاع «على الجريتلى» أن يترك بصماته الواضحة فى تاريخ مصر الحديث رغم كونه من تلك الفئة التى اصطلح على تسميتها بالمؤرخين الهواة، وعلى أى حال فقد انتقل هذا الاتجاه فى كتابة التاريخ من كلية التجارة إلى كلية الآداب جامعة القاهرة وغيرها، وعبر عن نفسه بشكل واضح فى كتابات كل من : الدكتور محمد أنيس ، والدكتور عبد العظيم رمضان والدكتور سيد عشماوى وغيرهم وفيما يلى نعرض لذلك.

ـ الدكتور محمد أنيس [٦٢]

فى دراسته عن المجتمع المصرى من الإقطاع إلى الاشتراكية التى نشرتها مجلة الكاتب فى عام ١٩٦٥ حاول الدكتور أنيس تفسير حركة التاريخ المصرى الحديث وفق مفاهيم المدرسة المادية ، كما حاول إثبات وجود طبقة إقطاعية فى مصر قبل القرن التاسع عشر بحجة أن الملتزمين كان يمثلون هذه الطبقة فى المجتمع المصرى.

وأوضح أن البرجوازية المصرية نشأت فى أواخر القرن التاسع عشر مع تحول الملكية من ملكية الدولة إلى ملكية الفرد، وأنها نشأت من الزراعة ولم تنشأ من التجارة أو الصناعة بعكس

البرجوازية الأوروبية (٦٣).

وفى حديثه عن الزحف الاستعمارى على الشرق العربى ، وانهيار الدولة العثمانية تطرق إلى التطور الاقتصادى الذى حدث فى أوروبا وأشكال الزحف الاستعمارى ابتداء بالاحتكار التجارى ثم الاستعمار الصناعى والاستعمار الرأسمالى (٦٤).

وحول ظهور الحركات القومية ذكر الدكتور أنيس أنها ارتبطت بتدهور الإقطاع كنظام متحكم فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية (٦٥) كما أن صراع القوى الاجتماعية هو الذى يحدث التطور، ومن تلاميذ الدكتور أنيس الذين سايروا هذا الاتجاه عبد العظيم رمضان وسيد عشماوى.

ـ الدكتور عبد العظيم محمد رمضان

ولد عبد العظيم رمضان بالجيزة فى ١٨ من أبريل ١٩٢٥ وحصل على درجة الماجستير فى التاريخ الحديث من جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٤ وكانت رسالته بعنوان «تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ـ ١٩٣٦» كما حصل على الدكتوراة من نفس الجامعة فى عام ١٩٧٠ وكان موضوعها تطور الحركة الوطنية فى مصر منذ إبرام معاهدة ١٩٣٦ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية : وفى أعقاب ذلك عمل بجامعة قسطنطينية بالجزائر عام ١٩٧٣ .

وفى عام ١٩٧٤ عمل الدكتور رمضان فى سلك التدريس الجامعى فى مصر حيث عين مدرسًا للتاريخ الحديث فى جامعة المنوفية ، ثم تدرج فى سلك المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية فى عام ١٩٨٢ وفى نفس هذا العام عين رئيسًا لقسم التاريخ بكلية التربية جامعة المنوفية وفى عام ١٩٨٤ اختير عميداً لنفس الكلية ، وفى عام ١٩٨٦ تولى رئاسة تحرير سلسلة كتب «تاريخ المصريين» وفى عام ١٩٨٧ تولى رئاسة اللجنة العلمية المشرفة على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر كما عين عضوا فى لجنة التراث الحضارى بالمجلس القومى للثقافة والفنون والآداب ، وفى عام ١٩٨٨ عين عضوا بمجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وعضواً بالمجلس الأعلى للثقافة ، وفى عام ١٩٨٩ عين عضوا بمجلس الشورى ، وفى عام ١٩٩١ عين عضوا بالمجلس الأعلى للصحافة .

وقدساير الدكتور رمضان تيار الاتجاه الاشتراكى فى تفسير التاريخ فى مرحلة من المراحل ففى كتابه «تطور الحركة الوطنية فى مصر» قارن بين نشأة ودور الطبقة البرجوازية فى كل من مصر وأوروبا ، ومدى ارتباط الحركات الوطنية بتدهور الإقطاع .

وفى مقدمة كتابه «صراع الطبقات فى مصر ١٨٣٧ - ١٩٥٢»[٦٦] ذكر أن دراسته جاءت تحقيقا لأمل طموح طالما داعبه

وهو أن يتمكن من «إنشاء دراسة للطبقات الاجتماعية في مصر وحركتها الديالكتيكية [٦٧]، بحيث تتوافر فيها مقومات ثلاثة :

١ـ تطبيق المنهج العلمي للبحث التاريخي في هذا الميدان الجديد من ميادين الدراسة التاريخية في مصر .

٢ـ الاستفادة من المنهج الجدلي المادى في تفسير التاريخ .

٣ـ مد نطاق الدراسة لتتناول جميع الطبقات في مصر ، وتتغلغل إلى كل شريحة اجتماعية منها بحيث تكشف عن تناقضاتها وتبرز حركتها [٦٨] الجدلية وصراعاتها مع القوى الاجتماعية الأخرى خاصة وأن الدراسات السابقة تقتصر إما على دراسة طبقة واحدة ، أوتتناول الطبقات ككل ولكن بدراسة مسحية سريعة [٦٩] .

وفى كتابه «الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ تعرض الدكتور رمضان لأصول البرجوازية المصرية الكبيرة وتتبع حركتها الديالكتيكية والقيود التي فرضتها على الطبقات الكادحة ، ثم مصرع هذه الطبقة وانتقال صولجانها إلى يد ثوار يوليو لينتقل بدوره بعد ذلك إلى يد الطبقات الجماهيرية عبر التحولات الكبرى التي بدأت بقانون الإصلاح الزراع وقرارات التأميم وتغيير البناء التحتى Intrastructure وانتهت بصدور القرارات الاشتراكية في ١٩٦١ .

وللدكتور رمضان دراسات عديدة فى تاريخ مصر المعاصر وغيره تتجاوز الثلاثين كتابا تناول معظمها تاريخ مصر السياسى ، ولمس بعضها التاريخ الاجتماعى نذكر منها :

عبد الناصر وأزمة مارس (١٩٧٦).

الجيش المصرى فى السياسة ١٩٣٦ - ١٩٨١ ، (١٩٧٧).

الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ - ١٩٣٩ (١٩٧٩).

الفكر الثورى فى مصر قبيل ثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٨١).

المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر ١٩٤٩ - ١٩٧٩ (١٩٨٢).

الإخوان المسلمون والتنظيم السرى (١٩٨٣).

مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر (١٩٨٤).

تحطيم الآلهة - حرب يونيو ١٩٦٧ (جزءان ١٩٨٤).

حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ (١٩٨٤).

مصر فى عصر السادات ١٩٨٦ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مبارك ١٩٩٣.

هذا إلى جانب قيامه بتحقيق مذكرات سعد زغلول والذى يعاونه فى إصدارها بعض الباحثين بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر التابع للهيئة العامة للكتاب.

- الدكتور سيد عشماوى

وحول كتابات عشماوى فى هذا المجال نذكر رسالته للماجستير التى ناقشها فى عام ١٩٧٣ تحت عنوان «الفكر السياسى والاجتماعى عند سلامة موسى» وكانت تحت إشراف الدكتور محمد أنيس، وفيها أوضح أثر فكر «سلامة موسى» ذلك الإشتراكى الفابى فى حركة التغيير الفكرى فى المجتمع المصرى فذكر أنه كان من كبار مهندسى الفكر المصرى الذين عملوا على بناء العقلية المصرية العصرية الآخذة بأسباب التخلص من القديم واعتناق الجديد النافع، وأشار إلى أن حياة سلامة موسى كمفكر تمثل مرحلة مهمة من مراحل تطور المجتمع المصرى المعاصر فى ميادينه المختلفة السياسية والاجتماعية والفكرية فبالإضافة إلى دعوته للعصرية، وعنايته بالعلوم والمعارف والثقافة الشاملة فقد آمن بحتمية الحل الاشتراكى كأساس للتغيير الاجتماعى فى مصر، وفى سبيل ذلك أنفق معظم حياته فى تقريب الثقافة العالمية التحررية التقدمية بين مواطنيه، وإيضاح أوجه الإفادة منها والانتفاع بها وأضاف إلى تلك الثقافة ما يتفق وحياة مجتمعنا الشرقى كما أشار إلى أن فكر «سلامة موسى» رغم أنه استقطب مشاعر الأمل لدى العديدين من المثقفين فإنه أيضا أثار مشاعر الغضب لدى بعضهم فوجدوا فيه ترويجا لآراء الملاحدة،

ودعاة المذاهب المتطرفة.

وفى نهاية الدراسة أوضح عشماوى أن كتابات «سلامة موسى» أعطت المثل الحقيقى لمفكر مصرى عاصر الأحداث والتيارات الفكرية المختلفة منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصفه، وكانت تمثل مكانة بارزة فى تاريخ الفكر الاشتراكى المصرى بصفة خاصة.

وإلى جانب ذلك نذكر الدراسة التى قدمها الدكتور عشماوى إلى «ندوة الالتزام والموضوعية فى كتابه تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ ـ ١٩٥٢» تحت عنوان «ملاحظات نقدية حول كتابة تاريخ الحركة الفلاحية فى مصر ١٩١٩ ـ ١٩٥٢» والتى أوضح فيها تغافل الباحثين عن دراسة الحقائق الأساسية للصراع فى الريف المصرى، وحالات الاستياء الفلاحية ضد كبار الملاك، وربط ذلك بالقوى الفعلية الاجتماعية ودراسته بطريقة تنطلق من الواقع كما هو وكما يتطور وليس كما يراه الباحث أو المؤرخ، كما أوضح أن الريف المصرى شهد بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وتطبيق قانون الاصلاح الزراعى العديد من الحركات الفلاحية بين فقراء الفلاحين وأغنيائهم أى بين أصحاب المصلحة الحقيقية فى الإصلاح الزراعى وأعدائه حيث دارت المعارك والمناوشات فى العديد من المناطق مثل بيلا وشبين الكوم وكمشيش وأوسيم وغيرها ضد المستغلين الجدد كما حدث بالنسبة للمستغلين

القدامى وأسفر عن تقديم حركة النضال الاجتماعى فى الريف المصرى للعديد من الشهداء.

وفى النهاية أوضح عشماوى أن تاريخ الحركة الفلاحية تميز بالتطور السريع خاصة بعد أن انتفض الفلاحون فى أكثر من موقع، وهاجموا كبار الملاك فى ديارهم وممتلكاتهم ولكن حركاتهم سحقت فى النهاية ، وتعرض الفلاحون للجلد بالسياط والسجن والقتل واستعمال شتى وسائل التعذيب غير الإنسانية ومع ذلك فقد استمرت مسيرة النضال الاجتماعى والوطنى(٧٠).

وعلى أى حال فإن أصحاب هذا الاتجاه قاموا بتعليل الأحداث والتحولات التاريخية بعللها الحقيقية المرتبطة بقوانين حركتها وإن كان بعضهم قد ابتعد عن هذا الاتجاه لسبب أو لآخر وعلى سبيل المثال نذكر أن الدكتور محمد أنيس ساير الاتجاه الوفدى فى مرحلة من المراحل فدافع عن الوفد فى كتابيه حادث ٤ من فبراير ١٩٤٢ وحريق القاهرة (يناير ١٩٥٢) بشكل واضح، كما انضم إلى حزب الوفد بعد إعادة تكوينه فى السبعينيات وكان عضوا فى هيئته العليا، ودافع عبد العظيم رمضان عن الوفد فى كتابه تطور الحركة الوطنية، كما كتب العديد من المقالات فى صحيفة الوفد الجديد وغيرها بشكل صحفى أكثر من كونه أكاديمى ، يضاف إلى ذلك أن

انشغاله بالعمل الصحفى واتجاهات الرأى العام قد أبعده عن هذا التيار أحيانا.

ورغم ذلك فيمكن القول أن كل من حفر من المؤرخين فى الجانب الاقتصادى يعد ممهدا للجانب الاجتماعى ومكملا له.

ثانيا: المنطلقون فى كتاباتهم من التفسير المادى للتاريخ دون التعرض للنظرية الماركسية

وقد استفاد بعض أفراد هذا التيار من الدراسات التى تعرضت للاقتصاد السياسى الماركسى دون أن يتعرضوا للنظرية الماركسية بالدراسة وإن كانوا قد انطلقوا فى كتاباتهم من التفسير المادى للتاريخ فقاموا بدراسة عملية التغيير الاجتماعى social change فى المجتمع المصرى من ناحية انتقاله إلى المرحلة الحضرية أو غيرها، وتعرضوا لتركيبته الاجتماعية وشرائحه ومؤسساته وفئاته المختلفة فتطرقوا إلى العمال والفلاحين والجنود، وغيرهم من الطوائف العاملة، وتعرضوا لنظام طوائف الحرف Guilds والملكية الزراعية، وطبقة كبار الملاك، والمدارس والمساجد والجامعات، وعادات المصريين وتقاليدهم وقيمهم الاجتماعية بطريقة ألقت العديد من الأضواء على دور هذه الطبقات والمؤسسات فى عملية تغيير البناء الاجتماعى للأمة المصرية فى كافة مناحيه الاجتماعية والاقتصادية

والفكرية، ومن أبرز من تعرضوا لهذا التيار رؤوف عباس وعبد الخالق لاشين، وعلى بركات، وعاصم دسوقى.

وفيما يلى نعرض لهؤلاء.

- الدكتور رؤوف عباس حامد

ولد رؤوف عباس ببورسعيد [٧١] فى ٢٤ / ٨ / ١٩٣٩ وحصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة عين شمس فى عام ١٩٦١، وعلى الماجستير فى نوفمبر ١٩٦٦، وعلى الدكتوراة فى يناير ١٩٧١ وعمل فى حقل التدريس الجامعى منذ تعيينه معيدا بآداب القاهرة فى عام ١٩٦٧ ثم تدرج فى المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية فى عام ١٩٨١ كما عين رئيسا لقسم التاريخ من أبريل ١٩٨٢ وحتى أبريل ١٩٨٧.

ويرجع اهتمام الدكتور رؤوف بالبحث فى تاريخ البناء الاجتماعى والاقتصادى فى مصر الحديثة والمعاصرة إلى عدة عوامل نذكر منها:

١- أنه نشأ فى أسرة كادحة ليس لها أملاك أو عقارات فى الريف أو المدن فكان والده موظفا بسيطا بالسكة الحديد، وكان جده لأبيه يعمل بالسكة الحديد أيضا أما جده لأمه فكان يعمل (بامبوطى[٧٢]).

٢ـأنه تأثر بجو الستينيات من هذا القرن خاصة وأنه عمل بإحدى الشركات فى كفر الزيات خلال فترة الماجستير وأحس بالعمال ومشاكلهم ، وآمالهم ولم يكن هناك فى ذلك الوقت كتابات علمية متخصصة كتبت بأقلام مصرية عن هذا الموضوع ويرتبط بذلك أيضا وجود الكتابات الماركسية المرتبطة بالحركة الاجتماعية والاستفادة منها فى كتاباته مع مراعاة التجربة المصرية ونتيجة لذلك أخذ فى إعداد رسالته للماجستير المعنونة «الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢ تحت إشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم والتى حدد بدايتها بعام ١٩٥٢ وهو العام الذى قامت فيه ثورة يوليو ١٩٥٢ التى عملت على إعادة البناء الاجتماعى لمصر ، وشهدت الحركة ومواكبتها للنضال الوطنى ، وظهور اتحادات النقابات وكفاحها من أجل إصدار تشريعات للعمل والعمال والمشاكل التى اعترضتها ، وظهور حزب العمال المصرى من مجموعة من المثقفين كان أبرزهم سلامة موسى وبعض العمال من أعضاء مجلس الاتحاد العام ، وواحد من كبار المزارعين ، والمشاكل التى اعترضت استمراره والتيارات اليسارية العمالية فى مصر اتسمت بالتجرد والموضوعية والقدرة على العرض والتحليل(٧٣).

ولم تتوقف دراسات «رؤوف عباس» عن الحركة العمالية على

هذه الدراسة فقد حاول بعد ذلك استكمال النقص الخطير فى المادة العلمية لهذه الحركة لصعوبة الاطلاع على أوراق القسم المخصوص والإدارة الأوروبية بوزارة الداخلية وذلك عن طريق اطلاعه على الوثائق البريطانية الخاصة بالفترة من ١٩٢٤ - ١٩٣٧ والتى تلقى أضواء على بعض جوانب الحركة النقابية والنشاط العمالى لم يتطرق إليها فى دراسته السابقة ومن هنا أخرج كتابه «الحركة العمالية فى ضوء الوثائق البريطانية ١٩٢٤ - ١٩٣٧».

وفى رسالته للدكتوراة واصل رؤوف عباس دراساته فى مجال التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فكتب رسالته المعنونة «الملكيات الزراعية الكبرى وأثرها فى المجتمع المصرى ١٨٣٧ - ١٩١٤» وفيها قام بتوصيف الملكيات الزراعية الكبيرة بأنها رأسمالية زراعية ، ورغم أنه لا يوجد فى النظرية الماركسية ما يحمل هذا الاسم فقد أوضح أن مصر شهدت فترة التحول الرأسمالى فى شكل زراعى خاصة وأن الأموال المتراكمة عندأصحاب رؤوس الأموال استغلت فى الزراعة ، وتحولت الأرض إلى سلعة تباع وتشترى وهذا أحد مظاهر الرأسمالية.

وفى هذه الدراسة تعرض رؤوف عباس لعوامل نموالملكيات الزراعية الكبيرة فى مصر ، والتركيب الاجتماعى لكبار الملاك

الزراعيين ، وسياسة الاحتلال الزراعية وأثرها على الملكية الزراعية ، ودور الملكيات الزراعية الكبيرة فى الحياة الاقتصادية ودور كبار الملاك الزراعيين فى الحياة السياسية .

وإلى جانب ذلك فللدكتور رؤوف بعض الدراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى سواء منها ما كان فى مجال الترجمة أو التأليف بالعربية أو بالإنجليزية ففى مجال الترجمة قام بتعريب كتاب مورس Maurice Dobb دراسات فى تطور الرأسمالية [٧٤] Studied in the Development of كما قام بتعريب كتاب شارل عيسوى The fertile Crescent a documentary economic history 1989 اقتصادى وثائقى [٧٥] وفى مجال الدراسة بالعربية نذكر دراسته عن «حزب الفلاح الاشتراكى ١٩٣٨ - ١٩٥٢» [٧٦] ودراسته وإشرافه على ترجمة «أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية [٧٧] .

أما عن مؤلفاته بالإنجليزية فنذكر :

Guilds and Trade unions in modern Egypt: A case study of work organization and work Ethics (78) (1990).

ونذكر :

The Egyptain labour movement between the World Wars (79) (1990).

والجدير بالذكر أن كتابات الدكتور رؤوف لم تقتصر على التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فحسب، بل تطرق بعضها إلى التاريخ السياسى وحول ذلك نذكر قيامه بتحقيق القسم الأول من مذكرات محمد فريد[٨٠] ودراسته عن «جماعة النهضة القومية»[٨١] ودراسته عن «التطلعات الأمريكية تجاه المنطقة العربية ابان الحرب العالمية الثانية[٨٢] ودراسته عن اليهود والخروج الأخير من مصر [٨٣].

وإلى جانب ذلك قيامه بترجمة كتاب الكسندر شولش «مصر للمصريين ١٨٧٨ - ١٨٨٢» الذى يمثل رؤية مؤرخ أوروبى لحقبة مهمة من تاريخ مصر من زواياه السياسية والاجتماعية[٨٤] وبحثه الذى كتبه بالانجليزية بعنوان- Factors behind the political Islamic Movement between the World Wars(79)(1990).

يضاف إلى ذلك أن الدكتور رؤوف يعد من المؤرخين المصريين القلائل الذين اهتموا بدراسة تاريخ اليابان الحديث فى القرن التاسع عشر، وتجلى ذلك الاهتمام فى عدد من البحوث التى نشرت بعضها باللغة الإنجليزية وبعضها الآخر بالعربية ومن الدراسات التى نشرت

بالإنجليزية نذكر :

The Japanese and Egyptian Enlightenment . A comparative study of fukuzawa yukichi and Rifa;ah al- Tahtawi(86).

أما عن الدراسات التى نشرت بالعربية فنذكر :

١ـ «المجتمع اليابانى فى عصر ما يجى ١٨٦٨ ـ ١٩١٢»[٨٧] وفيه أوضح ملامح المجتمع اليابانى فى ذلك العصر ولفت الأنظار إلى أهمية دراسة تجارب شعوب تجمعنا بها وشائج مهمة، وإن كان قد ألمح إلى أن تجربة التحديث فى اليابان لا تعد نموذجا تفيد به الشعوب النامية، وتتخذ منه مثلا يحتذى به .

٢ـ حركة المطالبة بالدستور فى اليابان ١٨٧٨ ـ ١٨٩٠[٨٨] وفيه أوضح أن الدستور اليابانى كان مجرد محاولة للتوفيق بين اتجاه الحكومة إلى مركزية السلطة، ورغبة الجماهير فى الديمقراطية ، وأنه نتيجة لتصفية حركة الحرية وحقوق الشعب لم ترتفع أصوات اللبراليين للمطالبة بإعطاء الشعب المزيد من السلطة .

وحول دور الدكتور رؤوف فى تنشيط تيار مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادى داخل قسم التاريخ، فقد وجه تلاميذه إلى دراسة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لمصر فى القرن التاسع عشر

وأوائل العشرين وذلك عن طريق القراءة المستمرة، وتكوين قدر من الثقافة التي تؤهلهم لعمل بناء نظرى لموضوعاتهم ونتيجة لذلك تعرض بعضهم للتجارة والزراعة والاحتكار وحيازة الملكيات الصغيرة والصناعة وموضوعات السخرة، ودور الموظفين الأجانب في تحديث الإدارة، وأثر السكك الحديدية في تطور مصر الاقتصادى، والاجتماعي[89] ومن أبرز تلاميذه في هذا المجال الدكتور محمد عفيفي الباحث المتميز في تاريخ مصر الاجتماعي في العصر العثماني فكتب «الأوقاف والحياة الاقتصادية في العصر العثماني» و«الأقباط في مصر في العصر العثماني».

والدكتور أحمد الشربيني الذى كتب «التجارة المصرية ١٨٤٠ - ١٩١٤» وتجارة مصر الخارجية من ١٩١٤ - ١٩٣٩.

والدكتور إسماعيل زين الدين الذى كتب «الموظفون الأجانب ودورهم في الإدارة المصرية ١٨٢٠ - ١٨٨٢ وسياسة الاحتلال الزراعية ١٨٨٢ - ١٩١٩ وإلى جانب ذلك شارك الدكتور رؤوف في تأسيس سمنار قسم التاريخ واختير مقررا له، ومن خلال ذلك أقيمت ندوات علمية مهمة أسهم فيها المؤرخون المصريون ببحوثهم وكان موضوع أولى هذه الندوات «مصر وعالم البحر المتوسط» (١٩٨٥) ثم تبعه «ندوة العرب في إفريقيا (١٩٨٧) و«العرب في

آسيا» (١٩٨٩) و«المسلمون في أوروبا» (١٩٩١) والجزيرة العربية (١٩٩٣).

هذا بالإضافة إلى الإشراف على مجلة المؤرخ المصرى التى تصدر عن القسم ، أما عن دور الدكتور رؤوف خارج قسم التاريخ فقد شارك فى تنشيط الدراسات التاريخية بوحدة الدراسات بالأهرام منذ عام ١٩٨٠ فأشرف وأسهم فى إخراج المؤلف الجماعى الذى شارك فيه مجموعة من المؤرخين المصريين والذى ظهر فى مناسبه مرور مائة عام على الثورة العرابية فى عام ١٨٨١ تحت عنوان مصر للمصريين كما أشرف وأسهم أيضا فى اخراج المؤلف الجماعى الذى صدر بمناسبة مرور أوبعين عاما على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وإلى جانب ذلك انتدب الدكتور رؤوف للتدريس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ عام ١٩٨٠ وأعير للتدريس فى مركز الدراسات العربية بنفس الجامعة فى العامين الدراسيين ٩٢ - ١٩٩٣/١٩٩٣ - ١٩٩٤.

هذا هو دور الدكتور رؤوف وهذه هى بصماته فى مجال الدراسات التاريخية.

- الدكتور عبد الخالق محمد لاشين

من رجالات التاريخ المصريين الذين يستعذبون الكفاح ويواجهون

أعتى التحديات من أجل صون فكرهم من الامتهان ويدلون برأيهم صراحة حتى فى الأشياء التى يجدها البعض شائكة أو حظورة حتى نهضوا فوق البيئة الثقافية الجدباء إنه عبد الخالق لاشين الذى كانت صراحته واعتداده برأيه سببا فى إنهاء بعثته للدكتوراة فى أمريكا [٩٠] وابتعاده عن الجامعة ، ونقله إلى وزارة التأمينات بقرار جمهورى[٩١] وضياع ملف خدمته [٩٢] وفى تأخير ترقيته إلى درجة الأستاذية لفترة.

ولد عبد الخالق بمركز السنطة محافظة الغربية فى أكتوبر ١٩٣٩ وعاش فى أسرة تأثرت كثيرا بموت عائلها وهو فى سن الشباب فقد توفى والده الأستاذ محمد لاشين المدرس بالتعليم الابتدائى وهو لايزال فى مراحل طفولته الأولى ولم يتجاوز عمره عاما واحدا ، ولم يترك لهم سوى قطعة صغيرة من الأرض بيعت من أجل تعليم عبد الخالق وأخته[٩٣].

وبعد أن انتهى عبد الخالق من دراسته الجامعية وحصل على ليسانس آداب من جامعة عين شمس فى عام ١٩٦٠ وكان أول دفعته عمل مدرسا فى قطاع غزة لمدة عام ٦٠ ـ ١٩٦١ ثم عمل باحثا بالمجلس الأعلى للشباب ومن خلال ذلك رشح لبعثة دراسية إلى بريطانيا تعثرت أمورها لفترة ثم تحولت إلى منحة أمريكية

للدراسة بجامعة إنديانا ، وسافر عبد الخالق إلى هناك ثم قطع بعثته وعاد إلى مصر نتيجة للمضايقات التى وجهت إليه وفى أعقاب ذلك تمكن من الحصول على درجة الماجستير فى عام ١٩٦٨ وعلى الدكتوراة فى عام ١٩٧٣ .

وقد حاول الدكتور عبد الخالق فى رسالتيه للماجستير والدكتوراة عن سعد زغلول أن يثبت أنه لا قدسية لزعيم وأن دور الفرد أو الزعيم فى صياغة الحركة التاريخية لا ينشأ من فراغ بل هو جزء لا يتجزأ من تطور المجتمع الإنسانى كما تمكن من دراسة سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية بطريقة نقدية تحليلية لم ترض الكثيرين ممن وضعوا هالات البطولة والتقديس على هذا الزعيم أو ذاك واستمرت مسيرة الدكتور عبد الخالق العلمية فوضع مؤلفات مهمة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر أسهمت فى إثراء المكتبة العربية نذكر منها قيامه بترجمة وتقديم كتاب ج بيير Gabriel Baerدراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة(٩٤)

Studies in the Sicial History of Modern Egypt.

وقيامه بمراجعة وتحقيق مذكرات «عبدالعزيز على» أحد قيادات الحزب الوطنى المبرزين، وأحد رواد العمل السرى فى مصر فى خلال النصف الأول من القرن العشرين(٩٥) . وقيامه بعمل دراسة بعنوان

«أضواء علي موقف وزارة على ماهر من الحرب العالمية الثانية[٩٦]
وقيامه بعمل دراسة تحليلية عن جريدة الكشاف ٢٧ - ١٩٢٨[٩٧].

وقيامه بعمل دراسة عن الوفاق الودى بين انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤[٩٨].

وقيامه بعمل دراسة حول مناهج كتابه تاريخ الحركة الوطنية فى مصر [٩٩].

وقيامه بالاشتراك فى عديد من الندوات منها الالتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر التى شارك فيها بدراسة عنوانها « ملاحظات نقدية حول منهج الكتابات التاريخية فى مصر المعاصرة[١٠٠] و« ندوة على باشا مبارك»[١٠١] التى شارك فيها ببحث عنوانه « على مبارك مفكرا سياسيا[١٠٢]».

هذا إلى جانب ما كتبه تحت عنوان «جذور الحركة القومية المصرية فى عهد محمد على فى ضوء الوثائق البريطانية[١٠٣] وموقف ألمانيا من الوفاق الودى أبريل ١٩٠٤[١٠٤].

ومن يتمعن فى كتابات الدكتور لاشين يرى تركيزه على اهمال السرد التاريخي الجاف للأحداث السياسية والمعارك واهتمامه بدراسة أحوال الشعب المصرى الاقتصادية والاجتماعية وتصوير جوانب حياته المختلفة، وتفرده بمناقشة دور الفرد فى التاريخ، وأن

ظروف المجتمع والعمل الوطني هو الذى يعطى الفرصة للشخص القادر على قيادة الجماهير ، وأن الزعماء السياسيين ليسوا مبرأين من العيوب ، بل يجب وضعهم تحت ميكروسكوب البحث التاريخى خاصة وأنهم من بنى البشر وليسوا من جنس الملائكة .

ـ الدكتور علي محمد بركات

يمكن فهم اتجاه «علي بركات» لكتابة التاريخ الاجتماعي وخاصة ما يتصل بالمجتمع الريفى في مصر على ضوء ثلاث حقائق :

١ـ الأصل الاجتماعي الذى ينحدر منه فهو ينحدر من أسرة ريفية تنتمي إلى صغار الملاك الزراعيين فى صعيد مصر حيث ولد بقرية الغنايم مركز أسيوط في عام ١٩٣٩ وتلقى تعليمه الأولى فى كتاب هذه القرية ومدرستها ويبدو أن أصوله الريفية كانت وراء اهتمامه بقضايا الملكية الزراعية والريف والفلاحين باعتبارهم الفئة الاجتماعية التى تنتمي إليها ، والتى لم تلق اهتماما كافيا من المؤرخين المصريين فى الجيل السابق عليه .

٢ـ الفترة التى قضاها بمنظمة الشباب حيث عمل سكرتيرا للتثقيف بمحافظة الجيزة ثم عضوا بالسكرتارية المركزية للتثقيف ، وكانت منظمة الشباب بمثابة النافذة التى أطل منها معظم جيل الستينيات على الفكر الاشتراكى .

٣ـ عمله بمركز وثائق مصر المعاصر، واكتسابه العديد من المدركات والأفكار حول مدرسة التاريخ الاجتماعى عن طريق احتكاكه المباشر بالدكتور محمد أنيس ، المشرف على المركز[١٠٥] وتشجيع الدكتور أنيس له على اختراق هذا المجال البكر فى الدراسات التاريخية المصرية.

وبعد أن حصل «على بركات» على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة القاهرة فى عام ١٩٦١ التحق بالدراسات العليا فى نفس الجامعة فحصل على الماجستير من معهد الدراسات الأفريقية فى يونيو ١٩٦٦ فى أحد موضوعات التاريخ السياسى وذلك لتكوين ركيزة علمية يمكنه الاستناد عليها فى دراسة التاريخ الاجتماعى ثم حصل على الدكتوراة من آداب القاهرة فى أكتوبر ١٩٧٣ وبعدها عمل فى حقل التدريس الجامعى فى جامعة المنصورة منذ ٢٩ / ١١ / ١٩٧٣ وتولى عمادة كلية الآداب بها لمدة ست سنوات من ١٩٨٤ إلى ١٩٩٠ ومن أبرز مؤلفاته «تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨١٣ - ١٩١٤»، وفى هذه الدراسة تعرض بركات لتطور حركة توزيع الملكية الزراعية وانعكاساتها على خريطة القوى الاجتماعية ، وربط ذلك بالحركة السياسية التى كانت من البداية للنهاية حكرا على كبار الملاك[١٠٦]

فتحدث عن التغييرات التى أحدثها محمد على فى النظام الزراعى، وأوضاع الحيازة فى مصر والعوامل التى أدت إلى ظهور الملكية الفردية فى الأرض والتشريعات التى حكمت تطورها، وأثر ظهور الملكيات الكبيرة ونموها على توزيع الملكية ، وما طرأ على خريطة القوى الاجتماعية من تغيرات نتيجة لذلك، والحركة السياسية فى مصر من خلال سيطرة الملاك الزراعيين عليها، ومواقف القوى الاجتماعية المختلفة من الثورة العرابية وبصفة خاصة الفلاحين(١٠٧). وامتدادا لهذه الدراسة كتب على بركات الفلاحون بين الثورة العرابية وثورة ١٩١٩(١٠٨) كما كتب الملكية الزراعية بين ثورتين ١٩١٩-١٩٥٢(١٠٩).

وحول رؤية بعض رجالات مصر لأزمة الحياة الفكرية وتاريخ مصر الاجتماعى كتب على بركات رؤية عبد الرحمن الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية(١١٠) كما كتب رؤية على مبارك لتاريخ مصر الاجتماعى(١١١) وفى كتابه رؤية على مبارك لتاريخ مصر الاجتماعى قام على بركات بقراءة الخطط التوفيقية مستخلصا منها القضايا التى رأى أنها تتصل بتاريخ مصر الاجتماعى ثم ألقى الضوء على الأصول الاجتماعية التى انحدر منها على مبارك، والتعليم الذى تلقاه، والموقع الاجتماعى الذى وصل إليه، ورؤية على مبارك

للتحضر، ونمو المدن المصرية والبناء الاجتماعي للمدينة المصرية، ورؤية على مبارك لهذا البناء والنشاط الاقتصادى فى القرية المصرية ، وعلاقات الإنتاج وانتفاضات الفلاحين ، وموقف على مبارك من كل ذلك.

وإلى جانب ذلك فقد شغل الدكتور بركات نفسه بكيفية تحويل التاريخ إلى أداة اجتماعية فكتب العديد من المقالات التى تعبر عن رؤيته فى هذا الموضوع كما وجه تلاميذه فى هذا المجال وعن أبرز مقالاته نذكر «نحو مدرسة اجتماعية فى كتابه تاريخ مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٢ و«مصادر دراسة التاريخ الاجتماعى» (الصعاب والمشكلات) و«الأصول الاجتماعية للملاك الزراعيين فى مصر الحديثة» و«الفلاحون المصريون بين الثورة العرابية وثورة ١٩١٩» و«المدن الإقليمية المصرية فى القرن ١٩» و«حركة المطالبة بالأرض فى الثورة العرابية» و«الموقف من الأجانب فى الثورة العرابية» و«دور الطلبة المصريين فى الحركة الوطنية قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩٠٨ - ١٩١٤» و«دفاتر تسجيل الأراضى الزراعية».

وحاول الدكتور بركات تشجيع تلاميذه على الخوض فى هذا الاتجاه بغرض تأصيل مدرسة التاريخ الاجتماعى فى الوقت الحاضر فكتب إبراهيم العدل الأجانب فى إقليم الدقهلية وكتب محمد

صبرى المتصوفة فى مصر فى العصر العثمانى».

والجدير بالذكر أن كتابات الدكتور على بركات تطرق بعضها إلى التاريخ السياسى ومن ذلك نذكر السياسة البريطانية واسترداد السودان ١٨٨٩ - ١٨٩٩ والسياسة البريطانية فى جنوب البحر الأحمر..

- الدكتور عاصم أحمد الدسوقى

للدكتور «عاصم دسوقى» اهتمامات واضحة بما يدور وراء الأحداث التاريخية، فهو يغوص فى أعماق المادة التاريخية ليستخرج منها الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تحدد مسار التاريخ وتوضح مراميه، ويتقصى البنيان التحتى لأوضاع مصر، ويدرس من خلاله الطبقات الاجتماعية المصرية، وعلاقات الإنتاج فى المجتمع المصرى.

وقد ولد «عاصم دسوقى» بالمحلة الكبرى فى عام ١٩٣٩ وكان والده من أسرة ريفية تنتمى إلى صغار الملاك الزراعيين فى وسط الدلتا ووالدته من أسرة تنتمى إلى مجتمع التجار فى المدينة.

وتلقى الدكتور عاصم تعليمه الأولى والثانوى فى منطقة شبرا بالقاهرة وبعد أن حصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة عين شمس فى عام ١٩٦١ التحق بالدراسات العليا فحصل

على الماجستير من معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٠ ، وعلى الدكتوراة من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٣[١١٢] وبعدها التحق بسلك التدريس الجامعى فى جامعة أسيوط وتولى عمادة كلية الآداب بها ثلاث فترات من ١٩٨٤ إلى ١٩٨٧ ، ومن ١٩٨٧ إلى ١٩٩٠ ومن ١٩٩٢ إلى الآن.

ومن أبرز مؤلفاته «كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ - ١٩٥٢ وفى هذه الدراسة تتبع ملكيات كبار الملاك فى مكلفات الأطيان الزراعية ، وبحث عن دورهم الاقتصادى والسياسى ووضعهم فى الحركة الوطنية وفى المؤسسات البرلمانية مثل الجمعية التشريعية ومجلس النواب والشيوخ ، ومجالس المديريات ، وفى الأحزاب السياسية التى انضموا إليها [١١٣]ودورهم فى ثورة ١٩١٩ ومسئوليتهم عن تصفيتها ، والمكاسب التى حصلوا عليها من العمل السياسى بمقتضى تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ ومعاهدة ١٩٣٦ وغيرها.

وقد استطاع عاصم دسوقى فى هذه الدراسة أن يثبت عدة نتائج مهمة منها أنه أوضح على عكس ما ذكرته معظم الدراسات السابقة على بحثه أنه كان هناك مزاوجة واندماج بين رأس المال الزراعى المستثمر فى الأرض ورأس المال الصناعى والتجارى ، خاصة وأن

صفوة كبار الملاك الزراعيين امتلكوا أسهما في الشركات التجارية والصناعية، بل قام بعضهم بتأسيس شركات خاصة من هذا النوع كما امتلك بعض أصحاب الشركات أرضا زراعية، ومنها أن الأرض الزراعية كانت سلعة تباع وتشترى بأسلوب رأسمالي بحت هدفه الحصول على الفوائد الناتجة من انخفاض وارتفاع أسعار الأرض بين آونة وأخرى، ومنها أن العلاقة بين الملوك والفلاحين لم تكن علاقة إقطاعية كما كان متبعا في أوروبا بل كانت علاقة تعاقدية إنتاجية تقوم عن طريق تأجير أراضيهم للفلاحين في نظير مبلغ معين أو بالمزايدة والممارسة أو الزراعة ، كما تعرض لعلاقة كبار الملاك بالقوى الاقتصادية والمسألة الزراعية، وأفكارهم ورؤيتهم للمشكلة الاجتماعية.

وعلى هذا المنوال سار عاصم دسوقي في كتاباته فكتب «نحو فهم تاريخ مصر الاقتصادي والإجتماعي»(١٩٨١) ومجتمع علماء الأزهر ـ دراسة في البناء التنظيمي والأصول الاجتماعية» ومن أرشيف الحركة اليسارية في مصر ١٩١٩ ـ ١٩٢٥ [(١١٤)]»

وليس معنى ذلك أن دراسات عاصم دسوقي توقفت عند دراسة التاريخ الاجتماعي فله دراسات مهمة امتزج فيها التاريخ السياسي بتاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي منها على سبيل المثال «ثورة

١٩١٩ فى الأقاليم [١١٥] ومصر فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ [١١٦] و «فكرة القومية عند الأخوان المسلمين ٢٨ - ١٩٥٤» [١١٧]

وفى الدراسة الأولى تعرض لثورة ١٩١٩ بالدراسة فى ضوء زوايا مختلفة بعد أن عثر على بعض الوثائق البريطانية المتعلقة بهذه الثورة، والتى تتضمن مواقف كان غير معلنة للسياسة البريطانية، ومواقف للسياسيين المصريين ومواقف للأهالى وزعماء المظاهرات فى الأقاليم.

وفى الدراسة الثانية «مصر فى الحرب الثانية» أوضح عاصم دسوقى أن هذه الحرب كانت نقطة تحول بارزة فى تطور مصر المعاصر من حيث تأثيرها فى البنيان الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للبلاد، وظهور فئات اجتماعية جديدة استطاعت أن تجمع أموالا عديدة من خلال الحرب، وفرضت نفسها على الحياة العامة فى البلاد مما ساعد على بروز التناقضات الطبقية فى المجتمع المصرى بشكل واضح، وهيأ الجو لانتشار الأفكار اليسارية والشيوعية التى تنادى بتحسين أحوال العمال وإيجاد علاقات انتاجية، ووقوف الجماعات الليبرالية فى مواجهة هذه الأفكار.

أما الدراسة الثالثة فقد تعرض فيها لموقف جماعة الأخوان

المسلمين من تحديد شخصية مصر القومية، والتى استندت إلى فسلفة الدين الإسلامى كدين عالمى لا يعترف بالحدود والجغرافية بين البشر.

ثالثا: الذين تأثروا بتيار المدرسة الاجتماعية ولم ينطلقوا فى كتاباتهم من التفسير المادى للتاريخ وركزوا دراستهم على طرح قضايا فكرية معاصرة.

من المعروف أن للمنهج قواعد أما تفسير الظاهرة التاريخية فيرتكز على رؤية المؤرخ، وحده فهناك من عالج موضوعات اقتصادية واجتماعية ولم ينطلق من كتاباته من التفسير المادى للتاريخ وإن كان الاتجاه الاجتماعى قد أخذ دوره فى التحليل وفى الرؤية إلى جانب العوامل المثالية الأخرى، وقد برز العديد من المؤرخين والباحثين المصريين فى هذا المجال، فرغم اعترافهم بأهمية المنهج المادى فى الدراسة التاريخية فإنهم آثروا القول بأهمية أن المؤرخ لا يحبس نفسه داخل قالب فكرى محدد.

ومن هؤلاء نذكر :

ـ الدكتور أحمد زكريا الشِّلق[118]

ولد أحمد زكريا بكفر الحما مركز طنطا غربية فى الخامس من مارس ١٩٤٨ وعاش بين أسرة فلاحية متوسطة الحال فكان والده

تاجراً بسيطًا يمتلك أقل من خمسة أفدنة.

وتلقى أحمد زكريا تعليمه الأولى بالقرية ثم انتقل إلى طنطا ودرس بمدارسها حتى حصل على الثانوية العامة فى عام ١٩٦٥ وفى أعقاب ذلك التحق بكلية الآداب جامعة عين شمس وحصل على الليسانس فى التاريخ عام ١٩٧٢ ، ونتيجة لتفوقه عين معيدا بالكلية واختار حزب الأمة موضوعا لدراسته فى الماجستير (١١٩) وفى هذه الدراسة تناول ارتباط نشأة حزب الأمة بصحيفة «الجريدة» وحرص على تناول الأصول الاجتماعية لمؤسسى هدا الحزب الذين أطلقوا على أنفسهم «أصحاب المصالح الحقيقية» وتتبع دور الأعيان وأفراد أسرهم من المثقفين مع تحليل اجتماعى على جانب كبير من الأهمية والطرفة وتعرض للمناخ والأصول التى ظهرت فيها قيادات مصر السياسية وإلى جانب ذلك فقد قام بدراسة الحركة الوطنية المصرية من جانبها المعتدل وغير الجماهيرى، وتعرض لبرنامجها الذى كان يرى أن الاصلاح يبرز فى ضوء الممكن وعلى أرضية الاعتراف بالأمر الواقع ومن هنا يبرز موقف حزب الأمة من الاحتلال ، كما تعرض لمدى إثراء رجالات الحزب للحركة الفكرية فى مصر، ومدى ربطهم بين الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى حتى قامت الحرب العالمية الأولى وتوقفت كافة الأنشطة الحزبية فى

مصر.

وفي رسالته للدكتوراة التى حصل عليها فى عام ١٩٨١ اختار أحمد زكريا حزب الأحرار الدستوريين منذ نشأته فى عام ١٩٢٢ حتى انتهاء دوره فى عام ١٩٥٣ كموضوع يستكمل به الخط الذى بدأ به درساته فى الماجستير وهو دراسة الحركة الوطنية المصرية من جانبها غير الجماهيرى ، يضاف إلى ذلك أن هناك صلة عضوية بين الحزبين، وفى هذه الدراسة تناول تطور المجتمع المصرى خلال فترة الحماية ١٩١٤ - ١٩٢٢ وركز على القنوات السياسية التى خرج منها الحزب، ثم عرج إلى نشأة الحزب والظروف التى أحاطت به متناولا برامجه وأهدافه وتنظيماته بالإضافة إلى إجراء تشريح لتركيب الحزب الاجتماعى وما طرأ عليه من تغييرات وركز على أبرز قضيتين شغلت بال الرأى العام فى ذلك الوقت وهما الدستور والاستقلال يضاف إلى ذلك أنه قام برصد التيارات الفكرية داخل الحزب ومنها اللبرالية والعلمانية والقومية [١٢٠] وقد خرج أحمد زكريا من دراسته بعدة نتائج منها أن الرغبة فى السلطة كانت وراء نشاط الحزب تدفع حركته، وتفسر كل دوافعه وسلوك أعضائه وعلاقاتهم وعلى ضوء ذلك تعامل الحزب مع القضية الوطنية باعتدال ودبلوماسية ، واعتبار أن المفاوضات هى الوسيلة الأساسية

لتحقيق مطالب مصر الوطنية[١٢١].

وإلى جانب ذلك فللدكتور أحمد زكريا العديد من الكتابات فى تاريخ مصر ينصب جلها على الجانب الفكرى، ومن ذلك نذكر :

- رؤية فى تحديث الفكر المصرى الشيخ حسين المرصفى وكتابه رسالة الكلم الثمان[١٢٢] ».

- رؤية فى تحديث الفكر المصرى «أحمد فتحى زغلول وقضية التغريب[١٢٣] ».

- العلمانية والفكر المصرى الحديث[١٢٤] .

- الجامعة الإسلامية والقومية المصرية فى فكر أحمد لطفى السيد[١٢٥] .

- طه حسين وقضية التغريب [١٢٦] .

- مستقبل الثقافة فى مصر لطه حسين «دراسة ،وتحليل»[١٢٧]

- أسس التنظيم السياسى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢[١٢٨] .

- الشيخ مصطفى عبد الرازق ١٨٨٨ - ١٩٤٧ وآراؤه الإصلاحية والفلسفية[١٢٩] .

وقد ركز الدكتور أحمد زكريا فى معظم كتاباته هذه على طرح قضايا فكرية قائمة وما دار حولها من جدل ومناقشات ثم إبداء الرأى حول لكل منها.

ولم تقتصر كتابات الدكتور أحمد زكريا على تاريخ مصر، بل تطرقت إلى تاريخ العالم العربى ومن ذلك نذكر «تطور العلاقات السياسية بين قطر وبريطانيا ١٩١٦ - ١٩٣٦[١٣٠]» ، و«مصادر تاريخ قطر الحديث والمعاصر[١٣١]» .

يضاف إلى ذلك أنه شارك بفصول فى الكتب التالية «التاريخ الاجتماعى للمرأة القطرية المعاصرة[١٣٢]» و «قطر واتحاد الإمارات العربية التسع فى الخليج ١٩٦٨ - ١٩٧١[١٣٣]» و«الكويت من الإمارة إلى الدولة - دراسة فى نشأة دولة الكويت وتطور مركزها القانونى وعلاقاتها الدولية[١٣٤]» .

وتتسم كتابات الدكتور أحمد زكريا بأن بها اتجاهًا اجتماعيًا وإن لم يكن الوحيد خاصة وأن كل ظاهرة تاريخية لها جوانب عدة فى تفسيرها يستمدها المؤرخ من رؤيته للحدث ويستشفها من خلال تطبيقه للمنهج التاريخى ذاته، فرغم أن قواعد المنهج واحدة، فتفسير الظاهرة ترجع إلى رؤية المؤرخ أكثر من الاعتماد على المنهج.

رابعًا : الذين تعرضوا فى كتاباتهم لتيار المدرسة الاجتماعية وطرحوا بعض القضايا فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى.

والجدير بالذكر أن هناك دراسات أكاديمية أجازتها الجامعات

المصرية قد سايرت هذا التيار بعضها عن قرب والآخر عن بعد فتعرض أصحابها لبعض جوانب تاريخ مصر الاقتصادى الاجتماعى ومن ذلك نذكر الدراسة التى قدمها محمود متولى [١٣٥] لنيل درجة الدكتوراة إلى كلية الآداب جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٢ وعنوانها «الأصول التاريخية للرأسمالية وأثرها فى مصر ١٩٢٠ - ١٩٦١ وتناول فيها نشأة الرأسمالية المصرية الصناعية والتجارية ونحوها. وبنك مصر وشركاته كنموذج للرأسمالية المصرية. وتعلغل رأس المال الأجنبى فى مصر سنة ١٩٥٦، وثورة يوليو والرأسمالية الموجهة وآثار الرأسمالية على المجتمع والدراسة التى قدمها عبد الرحيم عبد الرحمن [١٣٦] لنيل الدكتوراة من آداب عين شمس عام ١٩٧٣ وكانت بعنوان «الريف المصرى فى القرن الثامن عشر» وتناول فيها الريف بين الإدارة المحلية والمركزية وحيازة الأرض، ونظام الإلتزام، واقتصاديات الريف والحياة الدينية والثقافية والدراستين التى قدمتهما نوال عبد العزيز [١٣٧] لنيل الماجستير والدكتوراة عن «الحركة العمالية وأثرها فى تطور التاريخ السياسى فى مصر من ١٨٩٩ - ١٩٣٠ و«الحركة العمالية وأثرها فى تطور مصر السياسى ١٩٣٠ - ١٩٥٢» وتعرضت فيها لطوائف الحرف ونشوء الطبقة العاملة المصرية، والعمال والحركة الوطنية والدراسة

التى قدمتها ليلى عبد اللطيف[١٣٨] وحصلت بها على الماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس عن «الصعيد فى عهد شيخ العرب همام[١٣٩] تلك الشخصية التى تعد من الشخصيات المرموقة فى التاريخ المصرى فى القرن الثامن عشر خاصة وأن صاحبها كان زعيما للهوارة بجرجا .

ومن خلال هذه الشخصية أوضحت الباحثة نظام الحياة فى صعيد مصر ، والقوى التى تنازعت على السلطة فيه ، وكيف كان لنظام الالتزام الأثر الكبير على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر العثمانية عامة ، وفى الصعيد خاصة ودراستها التى قدمتها لدرجة الدكتوراة تحت عنوان الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى[١٤٠] وتناولت فيها نظم الإدارة فى القاهرة والأقاليم والباشا ومعاونوه ، والديوان العالى ، والقضايا والادارة المالية ، وموقف المجتمع المصرى من الإدارة العثمانية ، وطبيعة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، وتأثر هذه العلاقة بنظم الحكم والإدارة .

وتعد هذه الدراسة كما يذكر الدكتور عزت عبد الكريم من أكثر الموضوعات العلمية الجادة المتصلة بتاريخ مصر فى العصر العثمانى[١٤١] .

والدراسة التى قدمها عبد الله عزباوى[١٤٢] وحصل بها على

درجة الدكتوراة من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٦ وعنوانها «الحركة الفكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر» وتناول فيها التعليم فى الأزهر وخارجه، والعلوم النقلية والعقلية، ودراسة التاريخ قبل الجبرتى ، والجبرتى ومعاصروه، ومكانة العلماء الاجتماعية، وبدايات حركة التجديد فى الفكر المصرى الحديث.

والدراسة التى قدمتها لطيفة سالم [١٤٣]، وحصلت بها على الدكتوراة من آداب القاهرة فى عام ١٩٧٩ ، وكانت بعنوان «القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية» وتناولت فيها مشاركة كافة قوى مصر الاجتماعية على اختلاف مشاربها فى أحداث الثورة.

والدراسة التى قدمها على شلبى[١٤٤] و حصل بها على الدكتوراة من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٩ وكانت بعنوان «الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤٧ - ١٨٩١[١٤٥]» وعالج فيها التغيرات التى أحدثها محمد على فى الريف فى مختلف المجالات ومظاهر معاناة الفلاحين والتى تمثلت فى الاحتكار والضرائب والسخرة والتجنيد ، وعرض لتطور حقوق الملكية الزراعية وتطرق إلى التركيبة الاجتماعية لطبقة كبار الملاك وأوضاع الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية وقضية توطين البدو والإدارة فى الريف، والريف المصرى والحركة السياسية.

والدراسة التى قدمها نبيل عبد الحميد(١٤٦) و حصل بها على الدكتوراة تحت عنوان «النشاط الاقتصادى للأجانب وأثره على المجتمع المصرى(١٤٧) وعالج فيها التحديد القانونى والاجتماعى للأحانب فى مصر ونشاطهم الاقتصادى، ومحاولات تمصير النشاط الأجنبى.

وإلى جانب ذلك فقد اهتم صاحب هذه الدراسة(١٤٨) بالكتابة فى تاريخ المؤسسات العلمية والثقافية فكتب عن «مجمع اللغة العربية» و «الجامعة المصرية» و«مدرسة القضاء الشرعى» و«الجمعية المصرية للدراسات التاريخية» و«مدرسة المعلمين العليا» وهذه الدراسات من وجهة نظرنا تعد إضافة جديدة فى مجال الدراسات التاريخية.

خامسا: الذين درسوا تاريخ مصر الاجتماعى بطريقة وصفية

ويتسم أصحاب هذا التيار بميول تتجسد فى المبالغة فى دور محمد على وأرسته فى تطور مصر والدفاع عن مصالح كبار الملاك ورفض التغيرات التى تفرشها الظروف الموضوعية للتطور، ويغلب عليهم المنهج الوصفى، وسرد الوقائع ومعالجة الظواهر الجزئية، وقد بدأ هذا التيار ينشط فى كلية التجارة بالجامعة المصرية، فكتب محمد فهمى لهيطة «تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة»

(١٩٣٧) و«علم الاقتصاد للمصريين»(١٩٣٨) و«الاقتصاد الصناعى والبنك المركزى» (١٩٤٤) و«تاريخ فؤاد الأول الاقتصادى» (١٩٤٦)وتبعه فى ذلك كثيرون.

ثم انتقلت هذه الدراسات كالعادة من كلية التجارة إلى كلية الآداب حيث شجع شفيق غربال تلاميذه على الخوض فى مجال الدراسات فى التاريخ الاقتصادى فكتب أحمد الحتة رسالتيه للماجستير والدكتوراة «الفلاح المصرى فى عهد محمد على» و «تطور الزراعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر» وكتب أمين عفيفى رسالته للدكتوراة بعنوان «تجارة مصر فى عهد محمد على» وكتب فائق جبره رسالته للماجستير تحت عنوان «ضرائب الأطيان فى عهد محمد على».

ولتوضيح هذا التيار فى دراسة تاريخ مصر الاقتصادى نذكر أن «أحمد الحتة» تعرض فى دراسته عن تطور الزراعة المصرية لجهود محمد على فى الزراعة المصرية وقيامه بوضع نظام خاص للزراعة إذا احتكر معظم الحاصلات وألزم الفلاحين بزراعتها ما يشاء، ولكنه فى الوقت نفسه أفاد الزراعة، كما تعرض لاهتمام محمد على بإدخال حاصلات زراعية وأساليب زراعية جديدة وألزم الفلاحين باتباعها ، واهتمامه بالتعليم الزراعى، وبالثروة الحيوانية، وإدخاله

دود القز فى مصر وعنايته بتربية النحل.

كما نذكر أن «أمين عفيفى» تعرض فى دراسته عن تجارة مصر فى عهد محمد على لسياسته فى تنظيم شئون التجارة والمقومات التى استندت عليها الحكومة لتنظيم مسائل التجارة والنهوض بها فى شتى النواحى حتى أصبحت عملا حكوميا يدر الربح الكثير، مما زاد من إيرادات الدولة، ووسع من علاقات مصر مع الدول الأخرى.

ومع أن أصحاب هذا التيار قدموا دراسات رائدة وتخطوا حاجز الكتابات السياسية الضيقة إلى المجال الاقتصادى، واعتمدوا على الوثائق الأصلية فى دراساتهم فإنهم لم يتعرضوا لتركيبة المجتمع وشرائحه ومؤسساته بالدراسة والتحليل، وتجاهلوا الطبقات الشعبية إلى حد كبير، وإذا تعرضوا لها يكون ذلك من خلال تعرضهم للحاكم.

وعلى أى حال فقد استكمل التاريخ المصرى بهذه الدراسات عافيته، وشقت مدرسة التاريخ الاجتماعى فى مصر طريقها بخطوات متقدمة، بحيث لم تعد هذه الدراسات حكرا على المستشرقين والأجانب.

تيار المدرسة التفسيرية

وهى المدرسة التى حذرت من أخطار الإفراط فى الرومانسية فى

كتابة التاريخ وجمعت بين تسجيل الأحداث والمعالجة التحليلية لها، ويمكن تقسيم أفراد هذا التيار إلى مجموعتين الأولى انحصرت معظم كتابتها فى تاريخ العرب والثانية ،سايرت هذا التيار من خلال كتاباتها لتاريخ مصر ومن أبرز رواد المجموعة الأولى الأساتذة: الدكتور «صلاح العقاد» والدكتور «عبد العزيز نوار» والدكتور «جمال زكريا قاسم» والدكتور «جاد طه» والدكتور «يونان لبيب» والدكتور «عبد الرحيم عبد الرحمن» والدكتور «فاروق أباظة» والدكتور «محمد عبد الرؤوف سليم» أما عن رواد المجموعة والثانية فنذكر : الدكتور «محمد السروجى» والدكتور «عمر عبد العزيز» والدكتور «محمود صالح منسى» والدكتور «رأفت الشيخ» والدكتور «عبد الوهاب بكر» وغيرهم وفيما يلى نعرض لبعض هؤلاء:

المجموعة الأولى: دراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر

الكتابة فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر دائما ما تحتم على صاحبها الرجوع إلى تاريخ مصر الذى يعد فى الكثير من مناحيه مكملا لتاريخ العرب، وعلى سبيل المثال نذكر أنه يصعب دراسة تاريخ الجزيرة العربية دون التعرض لدور مصر فى عصر محمد على وأسرته ، ويصعب دراسة تاريخ الشام خاصة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر دون الإلمام بتاريخ مصر، ويصعب دراسة تاريخ

السودان عموما دون الرجوع إلى تاريخ مصر، ويصعب دراسة تاريخ اليمن الحديث دون التعرض لدور مصر الفعال فى هذه المنطقة، ويصعب دراسة المشكلة الفلسطينية والحروب العربية الإسرائيلية دون الخوض فى تاريخ مصر وهكذا.

ومن هنا أقبل الطلاب من خريجى الجامعات المصرية على دراسة تاريخ العرب الحديث سواء فى جامعات خارج مصر أو داحلها، ففى خارج مصر مثلا كتب «صلاح العقاد» فى جامعة باريس أطروحته للدكتوراة تحت عنوان «تنازع النفوذ بين فرنسا وبريطانيا فى منطقة الخليج الفارسى».

كما كتب رسالته الفرعية عن الدولة السعودية الأولى وفى داخل مصر تبنت جامعة عين شمس هذا التيار الذى انتقل بدوره إلى جامعتى القاهرة والإسكندرية.

ففى جامعة عين شمس شجع الدكتور «أحمد عزت عبد الكريم» تلاميذه على طرق هذا المجال بهدف تغطية تاريخ العرب الحديث والمعاصر منذ الفتوحات العثمانية فى القرن السادس عشر، وأقبل طلابه على التخصص فى تاريخ أقطار بعينها فى العالم العربى بدء برسالة الماجستير فى موضوع من تاريخ بلد عربى معين ثم اتبعوها برسالة الدكتوراة فى موضوع آخر من تاريخ هذا البلد.

وفى جامعة القاهرة شجع الدكتور محمد أنيس تلاميذه على خوض هذه الدراسات خاصة ما يتعلق منها بالحركات الوطنية والتحررية.

وفى جامعة الإسكندرية وجه الأساتذة «أحمد الحتة» و«محمد السروجى» و«عمر عبد العزيز» تلاميذهم فى هذه المجالات وبفضل هذه الدراسات تكون بالمدرسة التاريخية المصرية خبراء ازدادوا عددا يوما بعد آخر، وأصبحت هناك دراسات علمية رصينة لجوانب مهمة من التاريخ العربى.

ولا يعنى هذا أن أصحاب هذا الاتجاه توقفوا فى دراساتهم عند تاريخ العرب، فقد تحول بعضهم وبطريقة آلية إلى دراسة تاريخ الدولة الأم مصر، إما بهدف تعميق الدراسة فى تخصصهم الأصلى أو لمتابعة دراسات طلابهم الذين تخصصوا فى تاريخ مصر، أو لظروف المشاركة فى مؤتمرات أو ندوات أو ما شابه ذلك وفيما يلى نعرض لبعض هؤلاء:

ـ الدكتور صلاح العقاد(*)

ولد بمدينة القاهرة فى السابع من نوفمبر ١٩٢٩ فى أسرة ميسورة الحال فوالده أحمد سالم العقاد كان من تجار الأصواف المعروفين.

وتلقى دراسته الجامعية فى كلية الآداب جامعة القاهرة وحصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية فى عام ١٩٥٠ بتقرير جيد جدا ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة فى السابع عشر من نوفمبر ١٩٥٠ لتلقى العلم فى كلية الآداب جامعة باريس، وبعد فترة نجح فى الانضمام إلى البعثة الفهمية فى يناير ١٩٥١ بعد وساطة الدكتور طه حسين وزير المعارف وقتئذ فى ذلك[١٤٩].

وفى بداية الأمر تخصص صلاح العقاد فى تاريخ الديانات واختار لموضوع دراسته الأسس الدينية والسياسية فى عهد الوهابيين وكان ذلك تحت اشراف الأستاذ هنرى لاوست الأستاذ بجامعة ليون وسجل هذا الموضوع فعلا بجامعة السربون فى يناير ١٩٥٢[١٥٠] ولكنه رأى تغيير موضوع دراسته من تاريخ الديانات إلى تاريخ الشرق الأوسط الحديث وكتب رسالته الأصلية تحت عنوان «تنازع النفوذ بين فرنسا وبريطانيا فى منطقة الخليج الفارسى» أما رسالته الفرعية فكانت بعنوان «الدولة السعودية الأولى ١٧٤٤-١٨١٨م وبعد مناقشة الرسالتين وحصوله على لقب دكتور فى الآداب من جامعة باريس فى عام ١٩٥٦ [١٥١] وبعد أن شهد له أساتذته بالتفوق وأشادوا بجهوده وبحوثه عاد إلى مصر والتحق بالسلك الجامعى[١٥٢] فعمل بمعهد العلوم السياسية التابع لكلية الحقوق

بجامعة القاهرة في الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ ثم انتقل إلى كلية البنات جامعة عين شمس[١٥٣] .

وحول منهج الدكتور صلاح في الدراسة التاريخية ، نذكر أنه رغم اقترابه من بعض الماركسيين الفرنسيين من خلال تواجده بباريس فإنه لم يقتنع بمذهب المادية في الدراسات التاريخية ، وأن منهجه في البداية كان أقرب إلى التجميع والسرد ، وبحكم التعامل مع المادة التاريخية وزيادة الخبرة اكتسب التحليل والموضوعية وتحرى الحياد التاريخي خاصة وأنه ركز في دراساته على التاريخ المعاصر[١٥٤] .

للدكتور صلاح مؤلفات عديدة نذكر منها :

«المشرق العربي المعاصر» [١٥٥]و «التيارات السياسية في الخليج العربي» [١٥٦] و «الاستعمار في الخليج الفارسي» و «المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي إلى التحرر القومي[١٥٧]» كما أن له بعض البحوث قبيل الغزو الفرنسي[١٥٨] وإلى جانب ذلك فقد شجع الدكتور العقاد طلابه وطالباته بالدراسات العليا على الكتابة في تاريخ العرب الحديث ومن هؤلاء نذكر «نجاح الجاسم» التي كتبت عن الكويت في رسالتها للماجستير ، وعن «العثمانيون وشمال شبه جزيرة العرب» في الدكتوراه و«سلوى العطار» التي كتبت رسالتها للماجستير بعنوان «المقاومة ونشأة الحركة الوطنية في المغرب من

الحماية حتى سقوط دولة الخطابى» و«عائشة السيار» التى كتبت رسالتها للدكتوراة تحت عنوان « الأصول التاريخية والتطورات المعاصرة للوحدة بين إمارات الساحل العمانى» و«نورة القاسمى » التى كتبت رسالتها «الوجود الهندى فى الخليج العربى».

كل هذا لا يعنى أن الدكتور العقاد اقتصرت دراساته ودراسات تلاميذه على تاريخ العرب بل له ولتلاميذه دراسات فى تاريخ مصر (١٥٩) وغيرها ، ولكننا أردنا توضيح السمة الغالبة على كتاباته واتجاهاته.

ـ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار (١٦٠)

ولد عبد العزيز نوار بالقاهرة فى يناير ١٩٢٩ فى أسرة من أصول ريفية تحيطها هالة دينية خاصة وأن والده الشيخ سليمان نوار كان من علماء الأزهر المعروفين.

وبعد أن تخرج عبد العزيز نوار من كلية الآداب جامعة عين شمس فى عام ١٩٥٤ والتحق بالدراسات العليا اختار أن يكون العراق حقلا لدراسته فكتب رسالته التى نال بها الماجستير فى عام ١٩٥٨ تحت عنوان «داود باشا والى بغداد ١٨١٧ ـ ١٨٣١(١٦١)» وعالج فيها أهم فترة فى تاريخ العراق الحديث فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأبرز صورة العراق كاملة فى العصر العثمانى

الأول كما كتب رسالته التى نال بها الدكتوراه فى عام ١٩٦٣ وكان موضوعها «تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا»(١٦٢) وقد عالج فيها أهم فترة فى تاريخ العراق فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وبذلك استطاع أن يخدم تاريخ العراق وأن يقدم للباحثين فى تاريخ العرب الحديث بهذا التاريخ كما يذكر الدكتور عزت عبد الكريم - دراسة أصيلة ممتعة (١٦٣) وفى أعقاب ذلك عمل الدكتور نوار مدرسا بآداب عين شمس، وتدرج فى وظائف هيئة التدريس حتى عين أستاذا فى عام ١٩٧٥ ثم عميدا للكلية من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٨٩ .

ولم تتوقف اهتمامات الدكتور نوار فى تاريخ العراق على رسالتيه للماجستير والدكتوراة بل أخرج للمكتبة العربية موضوعات عدة فى هذا المضمار نذكر منها المصالح البريطانية فى أنهار العراق ومصر والعراق دراسة فى العلاقات بينهما من القرن السادس عشر إلى الحرب العالمية الأولى»، والعلاقات العراقية الإيرانية ، يضاف إلى ذلك أن له بحوثا ومقالات فى المجلة التاريخية المصرية عن العراق نذكر منها «دور العراق العثمانى فى حرب القرم (١٦٤)» و«مواقف سياسة لأبى الثناء محمود الألوسى (١٦٥)» و «آل محمد بيت الرئاسة فى عشائر شمر الجربا» دراسة فى الزعامة

العشائرية العراقية فى القرن التاسع عشر [١٦٦]» وعن بحوثه ودراساته الأخرى فى تاريخ العراق نذكر «التاريخ فى العراق بين التقليد والتجديد[١٦٧]»

وقد عمق علاقة الدكتور نوار بالعراق وتاريخه إعارته لجامعة بغداد مدة تزيد على الثلاث سنوات وزياراته العلمية المتعددة للعراق.

ولم تتوقف دراسات الدكتور نوار فى تاريخ العرب على العراق بل تطرقت إلى غيرها من البلدان العربية فله دراسات بعنوان «الأصول التاريخية للمشكلة اللبنانية [١٦٨]» و«رؤية المؤرخين العرب للحركة الوهابية [١٦٩]» والحركة العمالية فى مصر والعراق وتونس فى القرن العشرين - دراسة مقارنة [١٧٠] «عبد الرحمن الجبرتى وعلماء زمانه [١٧١]» و«وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث [١٧٢]» و «تاريخ الشعوب الإسلامية[١٧٣]».

وإلى جانب ذلك فقد شجع الدكتور نوار بعض طلابه بالدراسات العليا على الكتابة فى تاريخ العرب [١٧٤] ومن هؤلاء نذكر: رسالة عبد التواب سعيد للماجستير تحت عنوان «العراق والقضية الفلسطينية ١٩٣٦ - ١٩٤٧» «ورسالة عماد الجوهرى للدكتوراة «تطور مشكلة الأراضى والإصلاح الزراعى فى العراق من ١٩٣٢ -

١٩٦٨».

ومما يحسب للدكتور نوار إسهاماته الفعالة فى أعمال سمنار قسم التاريخ لدرجة أن الدكتور عزت عبد الكريم اختاره قبيل وفاته مقررا له، ومن خلال ذلك أقيمت ندوات علمية مهمة تحت إشرافه، نذكر منها الندوة التى أقيمت فى الفترة من ٧ إلى ٩ من ديسمبر ١٩٨١ بمناسبة الذكرى المئوية لقيام الثورة العرابية وندوة قناة السويس التى أقيمت فى الفترة من ١٥ إلى ١٧ من مارس ١٩٨٣ بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأميم القناة بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة والجمعية التاريخية.

-الدكتور جمال زكريا قاسم

ولد بمدينة الإسكندرية فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٣٢ وبعد أن تخرج فى كلية الآداب عام ١٩٥٥ التحق بالدراسات العليا فى قسم التاريخ جامعة عين شمس واختار تاريخ الخليج العربى موضوعا لدراسته فكانت رسالته للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٥٩ بعنوان «دولة البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١ - ١٨٦١» ثم كانت رسالته للدكتوراة التى حصل عليها فى عام ١٩٦٤ بعنوان «الإمارات العربية فى الخليج الفارسى ١٨٤٠ - ١٩١٤» وفى أعقاب ذلك عمل مدرسا بكلية

الآداب جامعة عين شمس وتدرج في وظائف هيئة التدريس حتى عين أستاذا في عام ١٩٧٥ كما عين عميدا للكلية في الفترة من ٧٨ـ ١٩٨٠ وقد واصل الدكتور جمال بحوثه ودراساته عن الخليج فكتب عن التطور السياسى للخليج العربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية بين عامى ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ (١٧٥) كما كتب الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ ـ ١٩٧١ (١٧٦) وبذلك استطاع أن يغطى تاريخ الخليج منذ بدايته حتى قرب أيامنا هذه.

ويرجع تعمق الدكتور جمال فى فهم الأصول التاريخية للأوضاع الحالية فى الخليج إلى عدة عوامل منها إعارته للعمل بجامعة الكويت أكثر من مرة وزياراته لأكثر بلدان الخليج واتصالاته بأهله وتعرفه على مشاكلهم.

وللدكتور جمال دراسات مهمة أخرى عن الخليج نذكر منها «حركة الجامعة الإسلامية وتأثيرها على إمارات الخليج العربى(١٧٧) وموقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الإحساء (١٧٨).

ورغم أن حقل الدكتور جمال الواسع هو الخليج فإن دراساته لم تتوقف عند ذلك فكتب «موقف مصر فى الحرب الطرابلسية(١٧٩)» وأرنولد توينبى وناقده والأزمة اللبنانية وتطوراتها وموريتانيا

(بالاشتراك) وعبد الرحمن الجبرتي سيرة وتقييم ، ومؤلفات مصطفى كامل.

ـ الدكتور جاد محمد طه

ولد بالقاهرة فى فبراير ١٩٣٣ فى أسرة تحيطها هالة من العلم وبسطة في العيش حصل على الماجستير من معهد الدراسات الإفريقية فى عام ١٩٥٤ وكانت رسالته بعنوان «فاشودة» ثم حصل على الدكتوراة من كلية الآداب جامعة عين شمس فى عام ١٩٦٨ وكانت بعنوان «سياسة بريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية ٧٩٨ ـ ١٩١٨ وعن رسالة الماجستير فقد تناولت المنافسة الدولية فى مجال المستعمرات الإفريقية وبعثة مارشان ووصولها إلى فاشودة والمقابلة بين مارشان وكتشنر وموقف بريطانيا من هذه البعثة، والآمال التي علقها المصريون على هذه البعثة وانهيارها بعد انسحاب مارشان من فاشودة.

أما عن رسالة الدكتوراة فتناولت المنافسة الدولية فى جنوب الجزيرة العربية، والاحتلال البريطانى لعدن والجنوب العربى، والمقاومة العربية له، وانسحاب الأتراك من اليمن ، وطريقة الحكم البريطانى فى الجنوب اليمنى.

وللدكتور جاد بحوث ودراسات أخرى متعددة لا تبتعد معظمها

عن سواحل البحر الأحمر ومنطقة الخليج العربى وغرب آسيا والمغرب العربى ومن ذلك نذكر «تجارة الأسلحة والذخائر على سواحل البحر الأحمر ١٨٩١ - ١٩٠٤» [١٨٠].

و«تجارة الأسلحة فى غرب آسيا : فارس - أفغانستان الخليج العربى [١٨١]»

و«سياسة بريطانيا فى مسقط وزنجبار ١٨٥٦ - ١٨٧٣ [١٨٢]» و«بريطانيا والصومال فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر [١٨٣]»

وقد عمل الدكتور جاد مدرسا وأستاذا مساعدا فى قسم التاريخ بجامعة أسيوط ثم أعير إلى جامعة محمد بن عبد الله بفاس بالمغرب لفترة، وبعدها عين أستاذا بكلية الآداب جامعة عين شمس ثم تولى عمادة الكلية.

وفى عام ١٩٩٢ أعير عميدا لكلية الآداب بجامعة السلطان قابوس فى عمان ولا يزال يشغل هذا المنصب حتى صدور هذه الدراسة.

- الدكتور يونان لبيب رزق [١٨٤]

ولد يونان لبيب بالقاهرة فى السابع والعشرين من أكتوبر ١٩٣٣ وحصل على الماجستير فى التاريخ الحديث من جامعة عين

شمس في عام ١٩٦٣ وكانت رسالته بعنوان «العلاقات الخارجية للدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي» كما حصل على الدكتوراة من نفس الجامعة في عام ١٩٦٧ وكان موضوعها «السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩ ـ ١٩٢٤» وبعدها عين عضوا بهيئة التدريس في كلية البنات جامعة عين شمس حيث عمل مدرسا للتاريخ الحديث في الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٤ وتدرج في سلك المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة أستاذ في عام ١٩٧٩ كما وصل إلى رئاسة قسم التاريخ بعد ذلك.

ورغم أن رسالتي الدكتور يونان للماجستير والدكتوراة كانتا عن السودان فإن معظم كتاباته بعد ذلك كانت عن مصر فكتب عن الأحزاب السياسية في مصر منذ نشأتها وحتى عام ١٩٨٤ ثلاث دراسات الأولى «الحياة الحزبية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ [١٨٥]» والثانية «الأحزاب المصرية قبل ثورة يوليو [١٨٦]» والثالثة «الأحزاب السياسية في مصر ١٩٠٧ ـ ١٩٨٤ [١٨٧]» وفي هذه الدراسات تعرض الدكتور يونان لصورة الحياة الحزبية في مصر بشكل فتح الآفاق أمام الباحثين في هذا المجال.

وحول النظام البرلماني في مصر كتب «يونان لبيب» قصة البرلمان المصري [١٨٨]، فتتبع تطوره منذ عام ١٨٦٦ وتعرض لقوانين

الانتخابات فى مصر، وقام برصد بعض الظواهر البرلمانية التى تركت بصماتها على الحياة النيابية فى مصر، وقدم دراسة عن أول برلمان حزبى فى تاريخ البرلمان المصرى وهو برلمان عام ١٩٢٤ .

وحول الوزارات المصرية وتشكيلاتها

كتب الدكتور يونان دراسته بعنوان «تاريخ الوزارات المصرية[١٨٩] وحول مسألة طابا وجذورها كتب «الأصول التاريخية لمسألة طابا [١٩٠]»

وحول وحدة مصر والسودان تعرض الدكتور يونان لذلك الموضوع فى كتابه «قضية وحدة وادى النيل بين المعاهدة وتعيير الواقع الاستعمارى[١٩١] » ابتداء من توقيع معاهدة ١٩٣٦ وحتى إجراء مفاوضات صدقى بيفن فى عام ١٩٤٦ وفيه تعرض للواقع الاستعمارى فى السودان، ومحاولات تشجيع تيار الانفصال، وردود فعل تطبيق معاهدة ١٩٣٦ على السودان وتطورات الأمور لغير صالح الوحدة بين البلدين وإلى جانب ذلك فللدكتور يونان بحوث ودراسات مهمة أثرى بها المجلة التاريخية المصرية نذكر منها :

- أزمة العقبة المعروفة بحادثة طابا ١٩٠٦[١٩٢] .

- أثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية المصرية قبل الحرب العالمية الأولى [١٩٣] .

- فاشودة الصغيرة ١٨٩٩ - ١٩٠٦ [١٩٤].

- أصحاب القمصان الملونة في مصر ١٩٣٣ - ١٩٣٧[١٩٥] .

- وزارة الخارجية المصرية بين الإلغاء ١٩١٤ والإعادة ١٩٢٢[١٩٦].

كما أن له بحوثا أخرى ألقيت في بعض الندوات نذكر منها «الجبرتي والشخصية المصرية [١٩٧].

ولم تتوقف أنشطة الدكتور يونان العلمية على ذلك فقد أشرف على تحقيق مذكرات عبد الرحمن فهمي[١٩٨] التي يصدرها مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر.

كما أنه يشرف حاليا على سلسلة مصر النهضة التي تصدر عن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر أيضا والتي تهدف لخدمة قضايا الوطن[١٩٩] .

ومن أبرز أدوار الدكتور يونان في خدمة القضايا المصرية اشتراكه في اللجنة القومية لطابا، ثم هيئة الدفاع عن طابا، وكان المؤرخ الأكاديمي الوحيد الذي قام بجمع الوثائق وتقديم المذكرات التاريخية من خلال إثبات أحقية مصر في طابا حتى تم كسب القضية في عام ١٩٨٨.

يضاف إلى ذلك اشتراكه في اللجنة المصرية المكلفة بإثبات

أحقية مصر فى منطقة حلايب التى تتنازع السودان عليها.

ـ الدكتور عادل حسن غنيم (*)

ولد عادل غنيم فى السادس والعشرين من مارس ١٩٣٤ بمدينة طلخا بمحافظة الدقهلية ويعد ما كتبه عادل غنيم عن تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية لبنة مهمة فى تاريخ هذه الحركة.

وترجع علاقة الدكتور عادل بالقضية الفلسطينية منذ أن كان طالبا بقسم التاريخ فى كلية الآداب جامعة القاهرة فاختار من البحوث المطلوبة لمرحلة الليسانس ما يتعلق بفلسطين وشعبها ثم أتاحت له مرحلة أداء الخدمة العسكرية التواجد فى غزة وسيناء ومشاهدة قضية اللاجئين عن كثب مما دفعه إلى كتابة دراسة سياسية واجتماعية عن قضية اللاجئين نشرتها الدار القومية للطباعة والنشر فى عام ١٩٦٢.

وعند تسجيله لدرجة الماجستير سارع فى اختيار موضوع « الحركة الوطنية الفلسطينية من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٣٦ وقد عالج فيه تاريخ الحياة السياسية والحركة الوطنية فى فلسطين من خلال هذه الفترة فتناول الحركة الوطنية فى أثناء الإدارة العسكرية ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ والحركة الوطنية من الإدارة المدنية حتى إقرار صك الانتداب ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ والحركة الوطنية فى فلسطين من الانتداب

حتى اضطرابات ١٩٢٩، وسنوات التغيير فى أساليب الحركة الوطنية [٢٠٠] ويبدو أن تشعب الأوضاع السياسية وتعدد جوانبها من خلال تلك الفترة قد دفع الدكتور عادل إلى التركيز على النواحى السياسية أكثر من النواحى الأخرى.

وكان طبيعيا أن يتابع الدكتور عادل دراسة هذه الحركة من خلال إعداده للدكتوراة فاختار موضوع «الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية[٢٠١].

وتبرز أهمية هذه الفترة أنها شهدت قيام ثورة عربية كبيرة، كما أنها شهدت بدايات اهتمام العالم العربى بالقضية الفلسطينية، ومن خلالها تم اقتراح أول مشروع للتقسيم.

واستكمالا لهذه الدراسات قام الدكتور عادل بعمل دراسة تحت عنوان «القوى الاجتماعية فى فلسطين ما بين الحربين[٢٠٢]» عالج فيها أوضاع البدو والفلاحين والعمال والبورجوازية الصغيرة والكبيرة.

وإلى جانب ذلك فللدكتور عادل دراسات عن القضية الفلسطينية نشر بعضها فى بعض الحوليات العلمية أو ضمن أعمال مشتركة كما ألقى الآخر فى ندوات محلية أو مؤتمرات دولية [٢٠٣]ومن ذلك نذكر حركة التحرر الفلسطينى والفكر القومى

العربى[٢٠٤] والولايات المتحدة والقضية الفلسطينية من خلال الحرب العالمية الثانية[٢٠٥] و والوجود الفلسطينى فى لبنان والأزمة اللبنانية[٢٠٦] » وحرب أكتوبر والقضية الفلسطينية [٢٠٧]و «مستقبل الخلية العربى والقضية الفلسطينية[٢٠٨] » و«الحزب الوطنى أول حزب سياسى عربى فى فلسطين[٢٠٩] و «الأحزاب الزراعية فى فلسطين فى السنوات الأولى من الانتداب البريطانى[٢١٠]»

ولم تقتصر كتابات الدكتور عادل على فلسطين، فله دراسات أخرى في تاريخ العرب نذكر منها مشاركته فى كتاب التاريخ الاجتماعى للمرأة القطرية المعارضة [٢١١] .

ـ الدكتور محمد عبد الرؤوف سليم(*)

ولد محمد عبد الرؤوف سليم فى السابع عشر من نوفمبر ١٩٣٦ فى أسرة ريفية تحيطها هالة دينية ـ خاصة وأن والده كان يعمل بالوعظ والإرشاد الدينى بميت غمر دقهلية وبعد أن فرغ محمد عبد الرؤوف من دراسته الجامعية الأولى فى جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٢ التحق بمعهد الدراسات العربية لإكمال دراسته فى تاريخ العرب الحديث، واختار «تاريخ الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩١٨[٢١٢] كموضوع لدرجة الماجستير التى حصل

عليها فى عام ١٩٧١.

وفى هذه الدراسة استطاع «محمد عبد الرءوف» تفسير وتوضيح العديد من الأمور التى كانت غامضة أو مشوهة ، كما وفق فى ملء ثغرات كانت ناقصة كالتفرقة بين اليهودية والصهيونية، وأهداف الحركة الصهيونية فى تجميع يهود العالم فى دولة واحدة والظروف التى واكبت ذلك حتى صدور تصريح بلفور ١٩١٧ والنشاط الصهيونى فى مرحلة ما بعد تصريح بلفور فى المجالين السياسى والعسكرى[٢١٣].

وقد ساير عبد الرءوف هذا الاتجاه فى دراسته للدكتوراة التى حصل عليها فى عام ١٩٧٧ وكانت بعنوان «نشاط الوكالة اليهودية منذ تأسسها حتى قيام دولة اسرائيل من ١٩٢٢ - ١٩٤٨[٢١٤] » وفيها تناول تأسيس الوكالة اليهودية وتوسيعها فى عام ١٩٢٩ لتشمل اليهود الصهيونيين وغير الصهيونيين ، ونشاط هذه الوكالة فى مجالات الهجرة وتدريب الشبان اليهود المستعدين للهجرة إلى فلسطين على الأعمال التى كان عليهم أن يقوموا بها من حرف أو مهن فى معسكرات خاصة فى بعض البلاد الأوروبية كما تابع فى هذه الدراسة نشاط الوكالة اليهودية فى مجال توطين هؤلاء المهاجرين، وفى مجال الاقتصاد الزراعى والصناعى والتجارى

والصحة والتعليم، فضلا عن النشاط السياسى والعسكرى حتى قامت دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨.

وللدكتور عبد الرءوف العديد من البحوث الأخرى عن فلسطين نذكر منها «فلسطين فى العلاقات الأمريكية التركية حتى قيام الحرب الأولى[٢١٥] » و«أمريكا والصهيونية وفلسطين حتى نهاية الحرب الأولى [٢١٦]» و«تجربة التوطين كوسيلة لحل مشكلة اليهود الروس[٢١٧] » و«المفهوم الصهيونى للاتفاق مع العرب[٢١٨] ».

ولم تتوقف كتابات الدكتور عبد الرءوف عن فلسطين بل له كتابات أخرى فى تاريخ العرب الحديث نذكر منها «متصرفية لبنان[٢١٩]» التى شارك بها ضمن دراسة جماعية عن المشكلة اللبنانية بدعوة من معهد البحوث والدراسات العربية.

ـ الدكتور فاروق أباظة

لم تتوقف الدراسات فى تاريخ العالم العربى على جامعتى عين شمس والقاهرة بل انتقل صداها إلى جامعة الإسكندرية فكتب فاروق أباظة رسالته التى حصل بها على الماجستير فى عام ١٩٦٦ تحت عنوان «الحكم العثمانى لليمن من سنة ١٨٧٢ إلى سنة ١٩١٨[٢٢٠]» تلك الفترة التى تعد نقطة تحول مهمة فى تاريخ اليمن الحديث، وقد أوضح فيها علاقة العثمانيين باليمن ونظام حكمهم

هناك ومميزات الحكم العثماني وسلبياته والآثار التي تركها في مقدرات اليمنيين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تعرض للآثار السلبية التي نجمت عن تقاعس الأئمة من آل حميد الدين عن تطوير اليمن ورغبتهم في عزله عن العالم.

وتابع فاروق أباظة دراساته عن اليمن فكتب رسالته للدكتوراة تحت عنوان «عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨»[٢٢١] وفيها أبرز حلقة مهمة من حلقات تاريخ اليمن الحديث ومنطقة البحر الأحمر بجانبها الآسيوى والأفريقي فتناول أثر وجود البريطانيين في عدن على سياستهم في منطقة البحر الأحمر منذ احتلالاهم لعدن حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، كما ألقى أضواء على التوسع الاستعمارى البريطاني في منطقة البحر الأحمر انطلاقا من عدن وعلى الدور الذى لعبته شركة الهند الشرقية البريطانية بالتعاون مع وزارة الخارجية البريطانية في هذا المجال.

ولم تقتصر كتابات الدكتور أباظة على رسالته للماجستير والدكتوراة فكتب «دراسة تاريخية للهجرة اليمنية [٢٢٢]» كما كتب دراسة بعنوان «التنافس الدولى في جنوب البحر الأحمر[٢٢٣]».

يضاف إلى ذلك أنه أسهم في العديد من الأنشطة العلمية داخل

اليمن (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قبل الوحدة) بناء على دعوة لزيارة عدن في شهرى أبريل ومايو ١٩٧٠ وشارك في وضع خطة لتجميع التراث اليمنى وتأسيس مركز للمخطوطات والوثائق في عدن كما شارك في وضع أول منهج للتاريخ الوطنى وتدريسه في اليمن الديمقراطية بعد أن كانت مناهج التاريخ هناك مركزه حول الإمبراطورية البريطانية وملوك بريطانيا ورجالات الحكم والسياسة فيها.

المجموعة الثانية : دراسة تاريخ مصر الحديث والمعاصر

ظللت الكتابة في تاريخ مصر الحديث أسيرة المدرسة التقليدية الكلاسيكية إلى أن فتحت أقسام التاريخ في الجامعات المصرية أبوابها وبدأت تتعدد مناهجها وتتنوع حتى ظهر ما يمكن أن نطلق عليه الباحث المحترف الذى أسهم بشكل كبير في تخليص الكتابة التاريخية من التيار الكلاسيكى وبدأ السير مع اتجاه التيار النقدى التفسيرى الحديث وفيما يلى نعرض لبعض أفراد هذا الاتجاه:

ـ الدكتور محمد السروجي(٢٢٤)

ساير اتجاه المدرسة الحديثة على يد أستاذه الدكتور محمد مصطفى صفوت ويتضح ذلك من الرسالة التى حصل بها على الماجستير في عام ١٩٥٧ وعنوانها «الجيش المصرى في عصر

الخديوى إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩[٢٢٥] والتى تناول فيها علاقة الخديو إسماعيل بالباب العالى والخطوات التى اتبعها فى سبيل استقلال مصر ، وإطلاق يده فى الجيش ، والبعوث العسكرية فى عصره، وأحوال المدارس الحربية، وديوان الجهادية وفروعه، وقوات الجيش المصرى ودورها فى مقاومة تجارة الرقيق وحركة الكشوف الجغرافية بالسودان والأزمة المالية وأثرها على الجيش.

ويتضح ذلك أيضاً من دراسته التى قدمها لنيل الدكتوراة وكانت بعنوان موقف مصر السياسى والحربى (٦٣-١٨٧٨) كما يتضح من الدراسات والبحوث التى كتبها فى تاريخ مصر.

وقد أشرف الدكتور السروجى على العديد من الرسائل العلمية ،ومن الأمثلة على ذلك الدراسة التى قدمها محمود عبد العال لنيل درجة الماجستير فى عام ١٩٦٨ تحت عنوان «أسطول مصر الحربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر» والدراسة التى قدمها محمد الشواربى لدرجة الماجستير فى عام ١٩٧٨ تحت عنوان «حركة الفلاحين فى مصر ما بين ثورتى ١٨٨٢ - ١٩١٩ والدراسة التى قدمها عثمان شعبان فى عام ١٩٧٩ تحت عنوان «موقف بريطانيا من حركة الجامعة الاسلامية» والدراسة التى قدمها فاروق أباظة تحت عنوان «عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر

١٨٣٩-١٩١٨».

-الدكتور عمر عبد العزيز(*)

ولد فى عام ١٩٣٦ بكفر الزيات غربية، وبعد أن انتهى من دراسته الجامعية فى جامعة الإسكندرية عين معيداً بجامعة أسيوط فى الفترة من ١٩٦١-١٩٦٧ ثم مدرساً للتاريخ الحديث فى جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٧ وتدرج فى سلك أعضاء هيئة التدريس حتى حصل على الأستاذية فى عام ١٩٧٨، وتولى عمادة كليات الآداب جامعة طنطا وبيروت العربية والإسكندرية[٢٢٦].

وللدكتور عمر دراسات مهمة فى تاريخ مصر الحديث، وتاريخ المشرق العربى نذكر منها «دراسات فى تاريخ مصر الحديث[٢٢٧]» و«تاريخ المشرق العربى ١٥١٦-١٩٢٢[٢٢٨]».

وواصل الدكتور عمر دراساته فى مجال تاريخ مصر العثمانية [٢٢٩]وله العديد من الكتابات فى ذلك المجال.

كما وجه طلابه داخل قسم التاريخ بجامعة الإسكندرية فى هذا المجال خاصة وإن الدراسات حول هذه الفترة كانت لا تزال قليلة فقدم «صلاح هريدى» تحت إشرافه رسالته للدكتوراة تحت عنوان «دور الصعيد فى مصر العثمانية» وقدمت عفاف مسعد رسالتها للحصول على درجة الماجستير تحت اشرافه وكانت بعنوان «دور

الجامية العثمانية فى تاريخ مصر ١٥٦٤ - ١٦٠٩».

وقدمت زينب الغنام رسالتها للحصول على درجة الماجستير تحت اشرافه وكانت بعنوان «تجارة القاهرة في القرن الثامن عشر».

وقدم جميل منتصر رسالته للحصول على درجة الماجستير تحت إشرافه وكانت بعنوان« دور علماء الأزهر فى مصر العثمانية »
وقدمت سميرة فهمى رسالتها للحصول على درجة الماجستير تحت إشرافه وكانت بعنوان «إمارة الحاج فى مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨ » وقدم محمود الشيال رسالته فى عام ١٩٨٤ وكانت بعنوان «تاريخ مدارس الطوائف الدينية ومدارس الجاليات الأجنبية فى مدينة الإسكندرية فى القرن التاسع عشر».

وإلى جانب ذلك فهناك الدراسة التى قدمها موسى نصر للحصول على درجة الدكتوراة فى عام ١٩٨٤ تحت اشرافه وكانت بعنوان «دور أهل الذمة فى المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨».

- الدكتور رأفت الشيخ

ولد فى ٢٤ من فبراير ١٩٣٤ بمحافظة الشرقية، وحصل على ليسانس الآداب فى عام ١٩٥٧ وعلى الماجستير فى التاريخ الحديث فى عام ١٩٦٧ وعلى الدكتوراة ، فى عام ١٩٧١ ، وقد عين مدرسا

بمعاهد المعلمين ثم نقل إلى الجامعة وتدرج فى سلك أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس فى الفترة من ٧٢ إلى ١٩٨٢ وبعدها نقل إلى آداب الزقازيق ، وتولى عمادة الكلية عام ١٩٨٦.

ومن مؤلفاته «مصر والسودان فى العلاقات الدولية» وسياسة إنجلترا إزاء إجلاء مصر عن السودان من ١٨٨٢ ـ ١٨٨٥ وأمريكا والعلاقات الدولية.

وقد أشرف الدكتور رأفت على العديد من الرسائل العلمية نذكر منها رسالة منى جعفر للدكتوراة وعنوانها «الوعى القومى فى مصر عند مؤرخى القرن التاسع عشر» ورسالة محمد أحمد عطية» دور العمل الفدائى فى الحركة الوطنية المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤ ».

ـ الدكتور عبد الوهاب بكر

شرقاوى الأصل قاهرى المولد، ولد فى مدينة القاهرة فى السابع عشر من مارس ١٩٣٣ فى أسرة تحكمها التقاليد العسكرية، فوالده كان ضابطا بالجيش المصرى، وكذلك بعض أفراد أسرته.

والتحق عبد الوهاب بكر بكلية البوليس (الشرطة) وبعد أن تخرج منها فى عام ١٩٥٥ عمل بالعديد من الجهات الأمنية ثم استهوته الدراسات التاريخية فالتحق بقسم التاريخ فى آداب عين

شمس وحصل على الليسانس فى عام ١٩٧٤ وعلى الماجستير فى عام ١٩٧٧ ثم على الدكتوراة فى عام ١٩٨٠ .

وكتابات الدكتور عبد الوهاب عن البوليس والجيش المصرى تعد مرجعا أساسيا وأصيلا لكل من يتصدى لهذه الموضوعات بالدراسة ، خاصة وأن رسالته للماجستير كانت عن «البوليس المصرى ١٨٠٥ - ١٩٢٢» ثم أكمل هذه الدراسة حتى وصل إلى عام ١٩٥٢ ونال بها جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الاجتماعية فى عام ١٩٨٩ وإلى جانب ذلك فقد كانت رسالته فى الدكتوراة عن الجيش المصرى من ١٩٣٦ إلى ١٩٥٢ .

ونتيجة لإلمام الدكتور عبد الوهاب باللغة التركية وإتقانه لها خاصة بعد أن درسها فى جامعة اكسفورد فقد تعرض لبعض الموضوعات فى التاريخ العثمانى ، فكتب «الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر» كما قام بتحقيق «الدرة المصانة فى أخبار الكنانة» للأمير أحمد الدمرداش كتخدا عزبان .

وإلى جانب ذلك فله دراسات أخرى نذكر منها أضواء على النشاط الشيوعى ٢١ - ١٩٥٢ ومصر فى النصف الثانى من القرن العشرين .

ومع كل ذلك ورغم انتقال تيار الدراسات النقدية إلى الجيل

الجديد من الباحثين الذين تعددت اتجاهاتهم وتفاوتت فقد عاد البعض إلى الدراسات التاريخية ذات الرؤية التقليدية وتمسك بتلابيبها وفيما يلى نعرض لذلك :

اتجاه مدرسة التفسير الإسلامى للتاريخ

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الوعى بالتاريخ والحضارة الإسلامية هو الطريق الصحيح لاستئناف الأمة الإسلامية لدورها القيادى وأن تفسير التاريخ من وجهة نظر إسلامية يقود إلى الوعى بالذات وأن الخطوط الأساسية لحركة التاريخ يجب أن يصوغها القرآن الكريم والسنة النبوية فى مبادىء عامة ينبغى أن يعتمدها المفسرون منطلقا(٢٣٠) وأنه يجب على جموع المسلمين الاعتماد على القيادة الواعية والأقلية المبدعة حتى يتمكنوا من السير فى الطريق الصحيح (٢٣١).

ومن هذا المنطلق برزت كتابات عديدة بعضها من خارج الجامعة والآخر من داخلها وعلى سبيل المثال نذكر كتابات أنور الجندى (٢٣٢) ومحمد جلال كشك (٢٣٣) وطارق البشرى (٢٣٤) من خارج الجامعة، وعبد العزيز الشناوى، ومصطفى رمضان، وعبد الجواد صابر (٢٣٥) من داخل الجامعة.

وفى عرضنا لهذا الاتجاه سنقصر الحديث على كتابات المستشار

طارق البشرى نائب رئيس مجلس الدولة كنموذج للدراسات التى برزت خارج الجامعة وكتابات عبد العزيز الشناوى ومصطفى رمضان كمثال للدراسات التى وضعها أساتذة جامعة الأزهر والدكتور زكريا سليمان كمثال من أساتذة الجامعة خارج الأزهر.

أولا : المستشار طارق عبد الفتاح البشرى

ولد طارق البشرى بالقاهرة فى أول نوفمبر ١٩٣٣ فى أسرة تحيطها هالة دينية واضحة، فجده الشيخ سليم البشرى كان عالما من علماء الأزهر المرموقين (توفى فى عام ١٩١٧) ووالده كان رئيسا لمحكمة الاستئناف [٢٣٦] وبعد أن حصل طارق البشرى على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٣ عمل بمجلس الدولة منذ عام ١٩٥٤، كما عمل نائبا لرئيس مجلس الدولة فى عام ١٩٨٥ وتولى رئاسة إدارات الفتوى بالعديد من الوزارات المصرية، ومستشارا قانونيا لعدد من الوزارات والمراكز البحثية والجامعية والعديد من الهيئات العامة[٢٣٧] .

ومع أن طارق البشرى يعد من أبرز المؤرخين الهواة، فإن كتاباته تتميز بالنظرة الشاملة وبالبحث الدقيق الذى لا يقدر عليه إلا قلة نادرة من المتخصصين فى تاريخ مصر ولعل أبرز مؤلف تاريخى ظهر فى أوائل السبعينيات من هذا القرن كان كتابه «الحركة السياسية

في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ »[٢٣٨] .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن صاحبه قدم رؤية عميقة وجذابه لشتى التيارات السياسية الموجودة في مصر في ذلك الوقت ، وتطرق إلى الظروف التي دفعت الضباط الأحرار إلى التعجيل بالتحرك وتقديم ساعة البدء إلى ليلة الثالث والعشرين من يوليو بدلا من الخامس من أغسطس ١٩٥٢ .

ومع أن طارق البشرى كان معجبا بالفكر اليسارى ومن غير المتحمسين للأخوان المسلمين في هذه الدراسة فإنه راجع رأيه في كتابه «المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية» الذى صدر في عام ١٩٨٠ وكشف عن انتقاله التدريجي لصالح الحركة الإسلامية وقد اتضح ذلك أيضا في مقدمته للطبعة الثانية لكتابه الحركة السياسية في مصر التي صدرت في عام ١٩٨١ فكتب مقدمه تقترب من السبعين صفحة أشار فيها إلى الأسباب التي دفعته إلى مراجعة رأيه ، واعترافه بالحركة الإسلامية كعنصر أساسي وجوهرى في إدارة دفة السياسة المصرية .

أما عن كتابه «الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ١٩٧٠» الذى نشرته الهلال في عدد ديسمبر ١٩٩١ فقد عالجه بطريقة تبلور الدروس المستفادة خاصة وأن آثارها لا تزال ممتدة وأوضاعها

مازالت متداخلة فى غالب شئوننا السياسية والاقتصادية [٢٣٩] .

وعلى أى حال فنحن نرجع الأسباب التى جعلت طارق البشرى يعدل عن رأيه تجاه الفكر اليسارى إلى أصوله الاجتماعية خاصة وأن جده الشيخ سليم البشرى كان من كبار علماء الأزهر هذا بالإضافة إلى أن المناخ العام الذى تعيشه مصر منذ بداية الثمانينيات ربما كان السبب فى ذلك أيضا .

ثانيا : الدكتور عبد العزيز الشناوى

تحمس الشناوى لهذا الاتجاه ، وسار على منواله فى كتاباته خاصة بعد تعيينه أستاذا للتاريخ الحديث بجامعة الأزهر فى عام ١٩٦٤ واقترابه من فكر الأزهريين وتراثهم وقد تهيأت له فرصة الكتابة المباشرة فى هذا الاتجاه عندما طلب منه التقدم ببحثين فى الندوة الدولية التى أقيمت احتفالا بالعيد الألفى لمدينة القاهرة فى الفترة من ٢٧ مارس إلى ابريل ١٩٦٩ وكان عنوانهما :

١ـ دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى .

٢ـ صور من دور الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسية على مصر .

وقد استمر الدكتور الشناوى فى مسايرة هذا الاتجاه حتى وفاته فكتب «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها » كما كتب

«الأزهر جامعا وجامعة (٢٤٠) ».

ثالثا : الدكتور مصطفى رمضان

تتميز كتابات الدكتور رمضان بمسايرتها لاتجاه مدرسة التفسير الإسلامى للتاريخ، وأبرز الأدلة على ذلك دراسته المعنونة «دور الأزهر فى الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر» والتى حصل بها على درجة الدكتوراة من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فى عام ١٩٧٣ والتى أوضح فيهال مشاركة الأزهر فى الأحداث السياسية التى مرت بها مصر من خلال فترة بحثه، والدور السياسى الذى قام به الأزهريون وأثبتوا من خلاله أنهم ليسوا رجال دين فحسب ، وإنما هم رجال دين ودنيا معا، فإذا دعا داعى الجهاد تركوا دروس العلم وأصبحوا جنودا فى الميدان، وتطرق إلى قيادة رجال الأزهر للمقاومة الشعبية ضد الفرنسيين بعد انهيار المماليك وتخاذلهم ، وتعطل الدراسة بالأزهر وتفرغ شيوخه ضد الفرنسيين بعد انهيار المماليك وتخاذلهم ، وتعطل الدراسة بالأزهر وتفرغ شيوخه وطلابه للذود عن حياض مصر، وإلى قيام كبار العلماء بانتهاج سياسة حذرة قوامها المدارة للمحتل الماكر حتى يهيئوا لأنفسهم فرصة مناسبة للانقضاض عليه وتزعم الشيوخ الصغار حركة المقاومة، وانضمام شباب المجاورين إلى صفوف المقاومة

وانتقال الأزهريين من نصر إلى نصر، وبروز «عمر مكرم» كشخصية قوية وكزعيم لحركة العلماء، ودور زعماء الشعب فى تدعيم سلطة محمد على ومقاومة حملة فريزر ١٨٠٧ ، ثم قيام محمد على بتصفية الزعامة الشعبية، كما تعرض لدور الأزهر فى احتضان المعرفة الحديثة وتطويرها فى شكل ثقافة وطنية.

رابعا: الدكتور زكريا سليمان بيومى

فى مقدمته لكتاب «الأخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨-١٩٤٨ [٢٤١]» أوضح زكريا سليمان منهجه فى الكتابة التاريخية بقوله : «وفى الفترة التى غاب فيها المفكرون المسلمون خلا الميدان لغيرهم من الكتاب والمؤرخين، فصدر عديد من الأبحاث والدراسات التى تناولت فيما تناولته الجماعات الدينية ودورها السياسى ونظروا إليها من منظور خاص بهم سواء أكان منظورا علمانيا أم منظورا يساريا، فرأينا أن نخصص هذه الدراسة بقصد إعادة النظر فى النتائج التى توصلوا إليها وقيمناها من منظور مختلف منبثق من داخل هذه الجماعات ، وحاولنا أن ندافع عن أفكارنا المتعاطفة معها » ومعنى ذلك أن الباحث كانت لديه فكرة مسبقة يريد الدفاع عنها وهو اتجاه يبعد دراسته عن الأصول المنهجية للبحث العلمى ويبعد صاحبه عن

الموضوعية والالتزام خاصة وأن الدراسة التاريخية تقتضى الموضوعية المجردة البعيدة عن المؤثرات الدينية أو الحزبية مهما كان نوعها كما أن المنهج العلمى فى كتابة التاريخ يقتضى التسلح بالحيدة التاريخية وعدم الجنوح تجاه فكرة معينة أو أخرى مسبقه وفى هذا الاتجاه أيضا كتب زكريا سليمان «الاتجاه الإسلامى فى الثورة المصرية ١٩١٩ (٢٤٢)» ففسر أحداث الثورة بعوامل دينية واتهم الدراسات التى سبقته فى هذا المجال بأنها دراسات علمانية تجاهلت روح الدين عامة والوجه الإسلامى لثورة ١٩١٩ خاصة كما اتهم أصحابها بإغفال نقطة التقاء النظام الديمقراطى والنظام الاسلامى فى شكل الحكم فأوضح أن سماحة الإسلام مع الاقليات غير الإسلامية هو الذى ساعد على انصهار هده الأقليات بالمسلمين من خلال الثورة.

وإلى جانب ذلك فقد أنكر زكريا سليمان وصف ثورة ١٩١٩ بالعلمانية، وهاجم سعد زغلول وأنكر زعامته للثورة فأوضح أنه لم يكن موضعًا لثقة أحد، وأنه حينما سمع بنبأ الثورة وهو فى مالطة قال إنها دسيسة إنجليزية (٢٤٣) وأبرز دور العامل الدينى فى قيام الثورة بقوله «إذا كانت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية عوامل لها أهمية بالغة فى قيام الثورة إلا أن العامل الدينى يأتى فى مقدمة هذه العوامل (٢٤٤)» كما أوضح أن العامل الدينى كان يحرك

المصريين للقيام بالثورة طوال فترة الحرب الأولى، وأن العاطفة الدينية للمصريين اتجهت نحو الدولة العثمانية، وإلى جانب ذلك قلل من دور الأقباط فى الثورة وعاب عليهم تفاهم بعضهم مع الإنجليز.

تيار دراسة التاريخ الأوروبى

إتجه بعض الباحثين المصريين إلى دراسة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ونالوا الدرجات العلمية المتميزة فى هذا التخصص، ومن هؤلاء نذكر الدكتور «حسن عثمان» والدكتورة «زينب راشد» وفيما يلى نعرض لهما:

- الدكتور حسن عثمان (٢٤٥)

أرسلته الجامعة المصرية فى بعثة دراسية إلى أوروبا فى عام ١٩٣٥ للحصول على درجة الدكتوراة، فالتحق بجامعة روما، واستهوته مظاهر النهضة الإيطالية فدرس «دانتى» وتراثه وحصل على الدكتوراه فى عام ١٩٣٨ وعاد إلى مصر وعمل فى السلك الجامعى وله العديد من الدراسات عن أعلام النهضة الإيطالية كما ترجم الكوميديا الإلهية من الإيطالية إلى العربية.

- الدكتورة زينب عصمت راشد (٢٤٦)

أوفدت فى بعثة إلى أوروبا للتخصص فى التاريخ الحديث،

فاتجهت إلى دراسة التاريخ الحديث وكتبت رسالتها عن «صلح باريس ١٧٦٣ "The Peace of Paris 1763" وحصلت بها على إحازة الدكتوراة من جامعة ليفربول بإنجلترا وقد أتاحت لها فرصة دراستها فى أوروبا زيارة كثير من دور الكتب والوثائق فجمعت منها العديد من الوثائق الفرنسية والإنجليزية خاصة من مكتبة الوثائق الرسمية Public Record office ومكتبة المتحف البريطانى بلندن British Museum ومكتبة جمعية الدراسات التاريخية بلندن In-stitute of Historical Research ومكتبة وزارة الخارجية بباريس Bibliotheque des affaires Etrangeres, Quai d'orsay وفى المكتبة الوطنية بباريس Bibliotheque Nationale وعن طريق هذه الوثائق وغيرها كتبت مؤلفاتها عن تاريخ أوروبا من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ومن أبرز هذه المؤلفات نذكر:

١ـ«المختصر فى تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر» وفيه أشارت إلى جهود العالم الأوروبى من خلال تلك القرون الثلاثة ، وما كان لها من نتاج مهم فى سبيل الحرية، وتنوير العقول، وما أفادت الإنسانية من كسب مادى ومعنوى، كما أشارت إلى العلاقات بين الدول الأوروبية خلال

تلك الفترة.

٢ـ تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر وتطرقت فيه إلى قيام الثورة الفرنسية» وما تمخض عنها من حرية، وإلى نابليون الذى وضع بصماته على ذلك القرن، وإلى الوحدة الإيطالية والألمانية وغيرها.

يضاف إلى ذلك أن للدكتورة زينب دراسة مهمة بعنوان «كريت تحت الحكم المصرى ١٨٣٠ ـ ١٨٤٠ (٢٤٧)»

من خلال عمل الدكتورة زينب راشد فى حقل التعليم الجامعى تقلدت العديد من المناصب ، من أبرزها عميدة كلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر (٦٣ ـ ١٩٧٧) ورئيس مركز الدراسات الجامعية للبنات بجامعة الرياض (٧٧ ـ ١٩٨٠).

وعلى أية حال فإنه يجدر بنا قبل أن نختتم هذا الفصل أن نذكر أننا فى عرضنا للتيارات التى سايرتها المدرسة الوطنية التاريخية فى مصر، لم نتعرض لكل الأساتذة والزملاء المتخصصين فى التاريخ الحديث فرغم أن بعضهم لا يقل مقدرة علمية أو كفاءة عن غيره من الذين تعرضنا لهم ويرجع ذلك إلى سببين.

١ـ أننا فى هذه الدراسة حاولنا إبراز نماذج للتيارات السائدة ولم نقصد الحصر .

٢ـ إن ندرة المادة العلمية الموجودة لدينا عن بعض الزملاء ربما كانت السبب فى احجامنا عن الكتابة عنهم، وهذا فى رأينا لا يعد تقصيرا منا، بل يرجع السبب إلى أن بعضهم فى إعارات خارج الوطن وإلى تباطؤ البعض الآخر أوتشككه فى جدية الموضوع.

وبعد أن عرضنا للتيارات التى استقى منها أفراد المدرسة التاريخية اتجاهاتهم فى كتابة تاريخ مصر الحديث والمعاصر والتى أطل معظمهم عليها من نافذة أوروبية عظيمة الارتفاع فإنهم كانوا فى معظم الأحيان فى حل من هذا الارتباط وقيوده خاصة، وأن المؤرخ لا يستطيع أن يتجرد من حصيلته الثقافية ووضعه الجغرافى أو يتقمص بديلا أجنبيا عن أحدهما أو كليهما ، مهما طرأ عليه من طارىء عابر وقتا ما، لأن ثقافته وجغرافيته تتكون منهما نافذته، التى يستنشق منها المعلومات والماديات من أصناف المعرفة والحياة اليومية (٢٤٨)، وبمعنى آخر استحالة أن يتجرد المؤرخ من ذاته وانتماءاته الفكرية والعقائدية عند تقييمه لفترة تاريخية معينة خاصة وأنه يعكس فكره فى إطار زمانه ومحيطه الثقافى، ويعود غالبا إلى نفسه التى تعد المقوم الأساسى لتقويم الأحداث، فالذاتية قائمة فى جذور التاريخ لأنه فى تكوينه ليس إلا علم التجارب البشرية والمعارف الإنسانية ومعنى ذلك أنه لا المحترف ولا الهاوى

من المؤرخين يستطيع أن ينزع نفسه كلية من أحاسيسه نحو وطنه وعقيدته وأهله وبيئته.

وقبل أن ننتقل إلى الفصل الرابع ينبغى أن نذكر أن إنشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى الثلاثين من يوليو عام ١٩٤٥ قد ساعد على تنظيم الدراسات التاريخية فى مصر وتشجيعها خاصة وأن الجمعية تعمل منذ نشأتها على إقامة سلسلة من المحاضرات التاريخية والجلسات العلمية التى تتسم بالتنوع والتجديد وتبادل الآراء ونشر الثقافة التاريخية [٢٤٩].

هوامش:

١ـ كانت اللغة الانجليزية هي لغة التعليم في المدارس الثانوية، وقد أهملت سلطات الاحتلال تدريس التاريخ خشية العمل على تنمية الشعور القومي، وكان مقرر التاريخ بالمدارس يشمل عددا من الموضوعات عن الإمبراطورية البريطانية وأمجادها وقد عبرت الصحف الوطنية كما عبر مجلس شورى القوانين عن الشكوى من سياسة الاحتلال التعليمية، للتفاصيل انظر:
Artin, y. considerations sur L'instruction Public en Egypte. Le Caire 1894 pp 95- 102 والمؤيد في ٢٥ يوليو ١٨٩٩، ٢ من يناير ١٩٠٠، ١٨ من ديسمبر ١٩٠٦ وانظر أيضا محاضر جلسات مجلس شورى القوانين ١٨٩٥، ١٩٠٢، ١٩٠٧.

٢ـ المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ ص ١٢ علما بأن أبرز من تولى رئاسة قسم التاريخ من الإنجليز المؤرخ جرانت ومن الفرنسيين ساياك.

٣ـ المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ ص ٧.

٤ـ من أشهر مؤلفاته كتاب أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين Europe in the nineteenth and twenthieth centuries.

٥ـ محمد سيد كيلاني: السلطان حسين كامل ـ فترة مظلمة في تاريخ مصر، القاهرة، ١٩٦٣ ص ١٧ ــ ٢٠.

٦ـ محمد شفيق غربال: محمد على الكبير، الهلال، العدد ٤٣٠ في أكتوبر ١٩٨٦ ص ٩ ـ ١٨.

٧ـ محمد شفيق غربال: المرجع السابق ص ١٦٠.

٨ـ أحمد حسين الطماوى: صبرى السربونى ـ سيرة تاريخية وصورة حياة، القاهرة، أعلام العرب ١٩٨٦ ص ١٣٠ ـ ١٣١

٩ـ انظر كتابه تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة، الجزء الأول من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٤١ ميلادية، القاهرة، مطبعة الشعب ١٩٢٠ (المقدمة).

١٠ـ المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ ص ٧ تحت عنوان كلمة الأستاذ محمد رفعت

١١ـ حول ذلك الموضوع انظر الدراسة التى قدمها الدكتور على بركات فى قضايا فكرية ١٩٩٢ تحت عنوان «التاريخ وقضايا المنهج فى مصر المعاصرة ـ دراسة فى منهج بعض المؤرخين المصريين من جيل الرواد س ٧٦.

١٢ـ الكتاب فى جزأين نشرت مطبعة الشعب الجزء الأول منه فى عام ١٩٢٠.

١٣ـ أبو الفتوح رضوان: المرجع السابق ص ١٤٧.

١٤ـ انظر تاريخ مصر السياسى جـ ١ الفصل الثالث تحت عنوان نهضة محمد على ص ٣٣.

١٥ـ انظر المجلد الرابع لعام ١٩٤٦ ص ٢٩ ـ ٣٩.

١٦ـ نفس المجلد ص ٢٢٤ ـ ٢٣٣.

١٧ـ نفس المجلد ص ١٤١٤ ـ ٤٢٤.

١٨ـ نفس المجلد ص ٥٨٤ ـ ٥٩٧.

١٩ـ عن تفاصيل حياته وأعماله انظر الفصل الخامس تحت عنوان «أبرز رواد التاريخ الحديث عن الجامعيين» ص ١٧١ ـ ١٧٨.

٢٠ـ بركات: الدراسة السابقة ص ٧٧.

٢١ـ عن تفاصيل دور غربال ومدرسته انظر الفصل الخامس ١٥٩ ـ ١٧٠.

٢٢ـ تعرض غربال فى أحاديثه بالإذاعة المصرية عن أدوار بعض المفكرين والزعماء أمثال جمال الدين الأفغانى، وسقراط، والمعرى وابن تيمية وغيرهم.

٢٣ـ أحمد عبد الرحيم مصطفى : «شفيق غربال مؤرخا» مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ ص ٢٦١ .

٢٤ـ عن تفاصيل حياته وأعماله انظر الفصل الخامس ص ١٩٥ - ٢٠٣ .

٢٥ـ انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٣٨ .

٢٦ـ انظر تاريخ التعليم فى مصر - عصر عباس وسعيد ، القاهرة مطبعة النصر ١٩٤٥ .

٢٧ـ حول تفاصيل حياته وأعماله انظر الفصل الخامس ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

٢٨ـ عبد الحميد البطريق : إبراهيم باشا في بلاد العرب دراسة منشورة ضمن كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا الذى أصدرته الجمعية الملكية للدراسات التاريخية فى عام ١٩٤٨ ص ٣ - ٣١ .

٢٩ـ حول دوره فى تطوير الحركة التاريخية انظر الفصل الخامس ص ٢٢٧ - ٢٣٠ .

٣٠ـ نشرته دار المعارف فى عام ١٩٧١ .

٣١ـ نشرته دار العودة ببيروت في عام ١٩٧٥ .

٣٢ـ انظر تقديم الكتاب ص ٧ - ٨ .

٣٣ـ انظر المقدمة ص ١٣ .

٣٤ـ انظر مقال أحمد عبد الرحيم مصطفى سابق الذكر ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

٣٥ـ د. قاسم عبده قاسم : تطور مناهج البحث فى الدراسات التاريخية عالم الفكر ، المجلد العشرون ، العدد الأول ابريل - يونيو ١٩٨٩ ص ٢١٢ .

٣٦ـ يعد رانكة رائدا فى تطور علم النقد التاريخى، وأصبح أسلوبه فى كتابه التاريخ نموذجا لأجيال عديدة من المؤرخين.

٣٧ـ أدى اعتماد مدرسة رانكة الثقيل على الوثائق إلى الإسهام فى صنع تاريخ

سلط الأضواء على الشئون الخارجية والأحداث الحربية للقوى العظمى أكثر من الاهتمام بالنواحي الاجتماعية والثقافية للشعوب.

أنظر: جاك كرابس: كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر دراسة فى التحول الوطنى - ترجمة عبد الوهاب بكر - القاهرة الألف كتاب الثانى (١١٨) ١٩٩٢ ص ٢٨ - ٢٩.

٣٨- عن تفاصيل حياته ودوره فى المدرسة التاريخية المصرية انظر الفصل الخامس ص ١٧٩ - ١٨٧.

٣٩- محمود صالح منسى: قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردينان دى لسبس تحت عنوان وفاء وتقدير.

٤٠- نشرته المجلة التاريخية المصرية ضمن مجلدها الأول ص ٨٧ - ١٢١.

٤١- نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى عام ١٩٥٢.

٤٢- نشرته دار الفكر العربى عام ١٩٥٢.

٤٣- صدر عن مكتبة النهضة المصرية فى عام ١٩٥٩.

٤٤- حول تفاصيل حياته ودوره فى الدراسات التاريخية انظر ،الفصل الخامس ص ٢٠٤ - ٢٠٨.

٤٥- نشرتها الإنجلو المصرية فى أربعة أجزاء.

٤٦- التمهيد، الطبعة الأولى ١٩٥٧ ص ٣.

٤٧- نشرت دار النديم بالقاهرة هذه الدراسة فى عام ١٩٥٧.

٤٨- قامت الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع بنشره فى عام ١٩٥٨

٤٩- انظر تقديم حلال السيد للطبعة الثانية من الكتاب.

٥٠- انظر الفصل الثالث تحت عنوان أعمدة التحالف الخمسة.

٥١- عبد العظيم رمضان: مدارس كتابة تاريخ مصر المعاصر - ضمن ندوة الالتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ - ١٩٥٢، تاريخ

مصر بين المنهج العلمى والصراع الحزبى ، القاهرة، دار شهدى للنشر ١٩٨٨ ص ٦٧ .

٥٢ـ انظر التفسير الاشتراكى للتاريخ، القاهرة، النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص ١٧ ١٨ .

٥٣ـ انظر حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر، القاهرة، النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٥٢ ص ٣ ـ ٤ .

٥٤ـ راشد البراوى: حرب البترول فى الشرق الأوسط ، القاهرة، النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٥٠ ص ١٩٢ ـ ١٩٤ .

٥٥ـ الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية ، القاهرة، النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٥٤ ص ٦ .

٥٦ـ نفسه ص ٩ ـ ١٠ .

٥٧ـ نشرت جمعية فؤاد الأول للاقتصاد والتشريع هذه الدراسة فى مجلتها عدد نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٤٧ .

٥٨ـ المجلة التاريخية المصرية: العدد الأول ـ المجلد الثانى مايو ١٩٤٩ ص ٢٣٠ .

٥٩ـ نفسه ص ٢٣١ .

٦٠ـ نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ضمن الدراسات التى أصدرتها بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة محمد على، ولاشك أن المؤلف استفاد كثيرا من رسالته للدكتوراة ، وأضاف إليها الآراء والملاحظات التى زوده بها المؤرخ شفيق غربال فخرج هذا الكتاب القيم.

٦١ـ الوزارات المصرية الجزء الثانى ١٩٥٣ ـ ١٩٦١ إعداد مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فى ٥٧١ .

٦٢ـ حول نشأته ودوره فى المدرسة التاريخية المصرية بالتفصيل انظر الفصل الخامس ص ٢١٣ ـ ٢٢٦ .

٦٣ـ الكاتب فى يونيو ١٩٦٥ تحت عنوان· المجتمع المصرى فى ظل الإقطاع وفى يوليو ١٩٦٥ تحت عنوان مصر من الإقطاع إلى الرأسمالية ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢.

٦٤ـ الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤ القاهرةو مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٧ ص ١٧٩.

٦٥ـ نفسه ص ٢٤٣.

٦٦ـ نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر فى عام ١٩٧٨.

٦٧ـ انظر المقدمة ص ٥.

٦٩ـ المقدمة ص ٦.

٧٠ـ انظر تاريخ مصر بين المنهج العلمى والصراع الحزبى القاهرة ١٩٨٧ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٩.

٧١ـ نزح جده لأبيه حامد محمد مبارك من جرجا إلى القاهرة فى غضون التورة العرابية لأسباب عير معلومة، كما نزح جده لأمه عباس البسيوبى من دمياط إلى بورسعيد حيث ولد رؤوف.

من لقاء مع الدكتور رؤوف فى قسم التاريخ بآداب القاهرة مساء الأربعاء ١٣/١/١٩٩٣.

٧٢ـ بائع متجول فى زورق صغير يتعامل مع صغار التجار والعابرين (تجارة الخدمات فى الموانى).

٧٣ـ نشرت دار الكتاب العربى هذه الدراسة فى عام ١٩٦٧.

٧٤ـ نشرت دار الكتاب الجامعى هذه الدراسة فيعام ١٩٧٨.

٧٥ـ نشر مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ترجمة هذا الكتاب فى عام ١٩٩٠.

٧٦ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٩ لعام ١٩٧٢ ص ١٦٩ ـ ٢١٣.

٧٧ـ نشرته دار سينا للنشر فى يناير ١٩٨٨ .

٧٨ـ Journal of Asian and African studies no 39, (To-kyo)

٧٩ـ Ibid .

٨٠ـ مذكرات محمد فريد ـ القسم الأول ـ تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٥ .

٨١ـ سلسلة فكر رقم (٢) .

٨٢ـ المجلة التاريخية المصرية ٢٧ لعام ١٩٨٠ ص ٣١١ ـ ٣٤٠

٨٣ـ محاضرة ألقيت ضمن الموسم الثقافى للجمعية التاريخية فى ١٣ / ١٢ / ١٩٩٢ .

٨٤ـ نشرت دار الثقافة العربية هذه الترجمة فى عام ١٩٨٣ .

٨٥ـ Journal of Asian and African studies no 41 .

٨٦ـ نشرت هذه الدراسة في طوكيو عام ١٩٩٠ عن طريق Institute for the study of languages and cultures of Asian and Africa.

٨٧ـ ساعدت مؤسسة التبادل الخارجي باليابان Kokusal Koryu Kikin على طبع هذا الكتاب ونشره ـ دار الكتاب الجامعى فى عام ١٩٨٠ .

٨٨ـ المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٢ لعام ١٩٧٥ ص ٢٤٩ ـ ٢٧٦ .

٨٩ـ ضمن لقاء مع الدكتور رؤوف بقسم التاريخ فى مساء الأربعاء ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٢ .

٩٠ـ لم يطق عبد الخالق صبرا بعد أن سمع الإهانات والشماتات الموجهة إلى وطنه من الصهاينة وأنصارهم فى أمريكا من خلال حرب ١٩٦٧ فعاد إلى مصر .

٩١ـ كان الدكتور عبدالخالق ضمن من شملهم القرار الجمهورى فى ٥ / ٩ / ١٩٨١ للرئيس السابق أنور السادات بالإبعاد عن الجامعة.

٩٢ـ ضاع ملف خدمته بعد أن أرسلته الجامعة إلى وزارة التأمينات فى ٧ / ١١ / ١٩٨١ تنفيذا للأمر الجمهورى ولم يظهر له أثر حتى كتابة هذه الدراسة.

٩٣ـ توفى والده دون أن تحصل أسرته على حقوق أو تأمينات رغم أنه خدم فى وزارة المعارف لفترة ـ لقاء مع الدكتور عبد الخالق بمكتبه فى قسم التاريخ بآداب عين شمس فى يوم الأربعاء ١٧ من نوفمبر ١٩٩٣.

٩٤ـ ترجمة بالاشتراك مع عبد الحميد الجمال وتم نشره عام ١٩٧٦.

٩٥ـ أسهم مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فى احتضان فكرة نشر هذه المذكرات، ثم قامت دار المعارف بنشرها فى عام ١٩٧٨.

٩٦ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٤ لعام ١٩٧٧ ص ٢٢٥ ـ ٢٦٤.

٩٧ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٥ لعام ١٩٧٨ ص ٢٠٥ ـ ٢٣٠.

٩٨ـ نشرته مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

٩٩ـ المواجهة· الكتاب السابع صيف ١٩٨٨ ص ٩٩ ـ ١١٠.

١٠٠ـ انظر أوراق الندوة التى نشرتها دار شهدى للنشر عام ١٩٨٨ ص ٨٤ وما بعدها.

١٠١ـ أقامت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية هذه الندوة فى ديسمبر ١٩٧٩.

١٠٢ ـ انظر أوراق الندوة.

١٠٣ـ تحت النشر.

١٠٤ ـ تحت النشر.

١٠٥ـ أشرف الدكتور أنيس على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فى الفترة

من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٥ .

١٠٦ـ نشرت دار الثقافة الجديدة هذه الدراسة فى سبتمبر ١٩٧٧ .

١٠٧ـ للتفاصيل انظر فصول الكتاب الخمسة .

١٠٨ـ المجلة التاريخية المصرية : المجلد ٢٢ لعام ١٩٧٥ ص ٢٠١ ـ ٢٤٧ .

١٠٩ ـ نشرها مركز الدراسات بالأهرام فى عام ١٩٧٨ .

١١٠ـ نشرت ضمن سلسلة تاريخ المصريين رقم (٨) فى عام ١٩٨٧ .

١١١ـ نشرها مركز الدراسات السياسية بالأهرام فى عام ١٩٨٢ .

١١٢ـ عمل الدكتور عاصم قبيل انضمامه للسلك الجامعى بإدارة التدريب المهنى بالمؤسسة المصرية العامة للمصانع الحربية من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٦ وبالمؤسسة الثقافية العمالية بالاتحاد الاشتراكى العربى من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩ ثم عمل مدرسا للمواد القومية بالمعهد الفنى العالى للمصانع الحربية من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٤ .

١١٣ـ انظر المقدمة .

١١٤ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٧ ـ ٢٩ لعام ١٩٨٣ ص ٤٣٧ ـ ٤٨٩ .

١١٥ـ نشرها دار الكتاب الجامعى فى عام ١٩٨١ .

١١٦ـ صدرت فى طبعتين ـ الأولى عن طريق معهد البحوث والدراسات العربية .

١١٧ـ الكتاب التذكارى المقدم للدكتور أحمد عزت عبد الكريم بحوث فى التاريخ الحديث ، جامعة عين شمس ١٩٧٦ ص ١٥٣ ـ ١٦٧ .

١١٨ـ الأستاذ حاليا بآداب عين شمس .

١١٩ـ نشرتها دار المعارف فى عام ١٩٧٩ .

١٢٠ـ نشرت دار المعارف هذه الدراسة فى عام ١٩٨٢ .

١٢١ـ انظر الخاتمة .

١٢٢ـ نشره مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ـ سلسلة مصر النهضة ١٩٨٤ .

١٢٣ـ نشره مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ـ سلسلة مصر النهضة ١٩٨٦ .

١٢٤ـ نشرت بالمجلة التاريخية المصرية المجلدان ٣١ ، ٣٢ لعامى ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ .

١٢٥ـ نشرت بحولية كلية الإنسانيات جامعة قطر العدد العاشر ١٩٨٧ .

١٢٦ـ نشرت بحولية كلية الإنسانيات جامعة قطر العدد الحادى عشر ١٩٨٨ .

١٢٧ـ نشرت بحولية كلية الإنسانيات جامعة قطر العدد الثالث عشر ١٩٩٠ .

١٢٨ـ نشر ضمن كتاب «أربعون عاما على ثورة يوليو » الأهرام ١٩٩٢ .

١٢٩ـ مقبول للنشر بحولية كلية الآداب جامعة عين شمس .

١٣٠ـ نشر ضمن العدد ٢٤ من سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط بمركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس ١٩٨٦ .

١٣١ـ نشرت بالعدد الأول من مجلة الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ١٩٨٩ .

١٣٢ـ صدر عن مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ١٩٨٩ .

١٣٣ـ نشر بالدوحة فى عام ١٩٩١ .

١٣٤ـ صدر عن مركز البحوث والدراسات السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة عام ١٩٩٢ .

١٣٥ـ أستاذ التاريخ الحديث حاليا ، وقد ولد بمحافظة المنيا فى ١٥ من مارس ١٩٣٧ وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٥٨ وعلى ليسانس الحقوق ١٩٦٩ وعلى درجة الماجستير ١٩٦٦ كما حصل على الدكتوراة فى عام ١٩٧٢ وبعدها تدرج فى سلك وظائف التدريس حتى عين أستاذا فى عام ١٩٨٤ .

١٣٦ـ أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر ـ كلية الدراسات الإنسانية.

١٣٧ـ أستاذ التاريخ الحديث بمعهد الدراسات الإفريقية حاليا وقد حصلت على

الماجستير من آداب القاهرة في عام ١٩٧٣ وعلى الدكتوراة في عام ١٩٧٦.

١٣٨ـ أستاذ التاريخ الحديث حاليا بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر.

١٣٩ـ نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب في عام ١٩٨٧.

١٤٠ـ نشرتها جامعة عين شمس في عام ١٩٧٨.

١٤١ـ المصدر السابق «التقديم».

١٤٢ـ أستاذ ورئيس قسم التاريخ حاليا بتربية الفيوم، وقد ولد بسوهاج في ١٩٤٢/٧/١٠، وحصل على الماجستير في عام ١٩٧١، وعلى الدكتوراة في عام ١٩٧٦، وتدرج في وظائف هيئة التدريس حتى عين أستاذا في أبريل ١٩٨٧ ولها بعض المؤلفات في تاريخ مصر الاجتماعي أبرزها: عمد ومشايخ القرى ودورهم في المجتمع المصري في القرن التاسع عشر» و«البدو ودورهم في الثورة العرابية» و«الشوام ودورهم في المجتمع المصري في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر» و«علاقات مصر الاقتصادية مع فلسطين (الاتفاقات الجمركية ١٨٩٠ ـ ١٩٣٦).

١٤٣ـ أستاذ التاريخ الحديث حاليا بآداب بنها، وقد ولدت بالإسكندرية في عام ١٩٤٢.

١٤٤ـ أستاذ التاريخ الحديث حاليا بآداب المنصورة ولهالعديد من المؤلفات في التاريخ الاقتصادي منها «الأزمة الاقتصادية والأمن العام في الريف المصري ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ وقد ولد بإحدى قرى مركز بيلا محافظة كفر الشيخ في ١٩٤٠/٩/١٧.

١٤٥ـ نشرت دار المعارف هذه الدراسة في عام ١٩٨٣.

١٤٦ـ الأستاذ المساعد حاليا بتربية دمياط.

١٤٧ـ نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب هذه الدراسة في عام ١٩٨٢.

١٤٨ـولد الدكتور / عبد المنعم الجميعى بمدينة المنصورة فى عام ١٩٤٣ وحصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٧ وعلى الماجستير فى عام ١٩٧٥ وعلى الدكتوراة من جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٩ وتدرج فى وظائف هيئة التدريس حتى عين أستاذا فى يونيو ١٩٨٨ وله العديد من المؤلفات منها «عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية» و«الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى» و«الجذور التاريخية لفكرة الجمهورية فى مصر» ، و طه حسين والجامعة المصرية»، «والجيش المصرى وفتح عكا، «ثورات الدروز والموازنة ضد حكم محمد على فى جبل لبنان» ، «ومصر فى التاريخ الحديث والمعاصر.

*ـالأستاذ المتفرغ حاليا بكلية البنات جامعة عين شمس.

١٤٩ـ تضمنت شروط الانضمام إلى هذه البعثة ألا يتجاوز سن الطالب عن الثامنة والعشرين عاما وأن يكون من المحتاجين مع ملاحظة إعطاء الأولوية دائما للذين أخنى عليهم الدهر. ورغم اعتراض مدير حسابات البعثات على إلحاقه بوقفية هذه البعثة نظرا لأن والده كان من الأثرياء فقد قررت اللجنة الوزارية للبعثات بجلستها فى ١٣ من يناير ١٩٥١ ضمه للبعثة الفهمية.

انظر : الإدارة العامة للبعثات ـ البعثة الفهمية ملف الطالب صلاح الدين العقاد.

١٥٠ـ الادارة العامة للبعثات : قسم البعثة الفهمية تحت عنوان مذكرة للنظر فى مد بعثة السيد / صلاح العقاد (كفيف) عضو البعثة الفهمية بفرنسا.

١٥١ـ كان ذلك تحت اشراف الأستاذ شارل أندريه جوليان.

١٥٢ـ نص الواقف فى شروط وقفه على «أن يكون طلبه البعثه الفهمية بعد حصولهم على الشهادات العالية أحرارا فى تعيين مصيرهم، ولا تكون لوزارة المعارف أو لناظر الوقف أو لمن يتولى إدارة الإرسالية حق مطالبتهم

بأية خدمة .»

١٥٣ـ من لقاء مع سيادته في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية في ١٩٩٢/١٢/٢٧ .

١٥٤ـ لقاء الجمعية التاريخية سابق الذكر .

١٥٥ـ الأنجلو المصرية ١٩٧٩ .

١٥٦ـ الأنجلو المصرية ١٩٧٤ .

١٥٧ـ الانجلو المصرية د. ت.

١٥٨ـ المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٢ لعام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ص ١٤١ ـ ١٦٦ .

١٥٩ـ على سبيل المثال نذكر الدراسة التى نشرت للدكتور العقاد تحت عنوان «السادات وكامب ديفيد الاتفاقات وأصولها التاريخية» القاهرة مكتبة مدبولى ١٩٨٤ .

١٦٠ـ الأستاذ حاليا بآداب عين شمس .

١٦١ـ نشرت دار الكاتب العربى بالقاهرة هذه الدراسة فى عام ١٩٦٨ .

١٦٢ـ نشرتها دار الكاتب العربى أيضا فى عام ١٩٦٨ .

١٦٣ـ من تقديم د. عزت عبد الكريم لكتاب داود باشا .

١٦٤ـ انظر المجلد ١٣ لعام ١٩٦٧ ص ٢٢٣ ـ ٢٤٥ .

١٦٥ـ انظر المجلد ١٤ لعام ١٩٦٨ ص ١٤٣ ـ ١٦٧ .

١٦٦ـ انظر المجلد ١٥ لعام ١٩٦٩ ص ١٠٩ ـ ١٦١ .

١٦٧ـ انظر بحوث فى التاريخ الحديث مهداه إلى الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بمناسبة انقضاء عشرين عاما على سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٢٧ .

١٦٨ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

١٦٩ـ ضمن سلسلة بحوث قدمت لجامعة الرياض عن مصادر الجزيرة العربية ابريل ١٩٧٧ .

١٧٠ـ ألقيت فى سمنار جامعة المنصورة .

١٧١ـ دراسة ألقيت فى سمنار التاريخ الحديث ضمن ندوة عبد الرحمن الجبرتى التى أقامتها الجمعية التاريخية فى ابريل ١٩٧٤ ص ٣٩٧ ـ ٤١٢ .

١٧٢ـ نشرته دار النهضة العربية ببيروت .

١٧٣ـ نشرته دار النهضة العربية بيروت عام ١٩٧٣ .

١٧٤ـ الجدير بالذكر أن معظم طلاب الدكتور نوار بالدراسات العليا اختاروا تاريخ مصر موضوعا لدراساتهم .

١٧٥ـ نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٧٣ .

١٧٦ـ نشره معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٤ .

١٧٧ـ انظر بحوث فى التاريخ الحديث مهداه إلى الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٧٥ مطبعة جامعة عين شمس ص ٦١ ـ ٧٧ .

١٧٨ـ انظر المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٧ لعام ١٩٧٠ ص ٩٣ ـ ١٢٧ .

١٧٩ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٣ لعام ١٩٦٧ ص ٣٠٧ ـ ٣٤٢ .

١٨٠ـ نشرت ضمن الكتاب التذكارى بمناسبة انقضاء عشرين عاما على سمار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بحوث فى التاريخ الحديث مهداه إلى الأستاد الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، مطبعة عين شمس ١٩٧٦ ص ١٢٩ ـ ١٤٩ .

١٨١ـ المجلة التاريحية المصرية : المجلد ١٧ لعام ١٩٧٠ ص ١٢٩ ـ ١٩٢ .

١٨٢ ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢١ لعام ١٩٧٤ ص ١٤٧ ـ ١٩٣ .

١٨٣ـ البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ص ٤٦١ ـ ٤٨٦ .

١٨٤ـ الأستاذ حاليا بكلية البنات جامعة عين شمس .

١٨٥ـ نشرتها الأنجلو المصرية فى عام ١٩٧٠ .

١٨٦ـ نشرها مركز الدراسات السياسية بالأهرام فى عام ١٩٧٧ .

١٨٧ـ نشرتها دار الهلال فى عام ١٩٨٤ .

١٨٨ـ نشرته دار الهلال فى مارس ١٩٩١ .

١٨٩ـ نشرته مؤسسة الأهرام فى عام ١٩٧٥ .

١٩٠ـ نشر بسلسلة مصر النهضة العدد الأول ١٩٨٣ .

١٩١ـ نشر معهد البحوث والدراسات العربية هذه الدراسة فى عام ١٩٧٥ .

١٩٢ـ المجلد ١٣ لعام ١٩٦٧ ص ٢٤٧ ـ ٣٠٥ .

١٩٣ـ المجلد ١٤ لعام ١٩٦٨ ص ٢٥٩ ـ ٣١٦ .

١٩٤ـ المجلد ١٥ لعام ١٩٦٩ ص ١٦٣ ـ ٢٣٢ .

١٩٥ـ المجلد ٢١ لعام ١٩٧٤ ص ١٩٥ ـ ٢٥٢ .

١٩٦ـ المجلد ٢٣ لعام ١٩٧٦ ص ٢٦٩ ـ ٢٨٧ .

١٩٧ـ ندوة عبد الرحمن الجبرتى ابريل ١٩٧٤ .

١٩٨ـ صدر الجزء الأول منها فى عام ١٩٨٨ .

١٩٩ـ صدر العدد الأول منها فى عام ١٩٨٣ .

* ـ الأستاذ حاليا بجامعة قطر .

٢٠٠ـ نشرت الهيئة العامة للكتاب هذه الدراسة فى عام ١٩٧٤ .

٢٠١ـ نشرته مكتبة الخانجى بالقاهرة فى عام ١٩٨٠ .

٢٠٢ـ نشرته جامعة عين شمس فى عام ١٩٨٠ .

٢٠٣ـ جمعت بعض هذه الدراسات فى كتاب بعنوان «القضية الفلسطينية دراسات معاصرة لبعض جوانبها ونشره دار الكتاب الجامعى فى عام ١٩٨٢ .

٢٠٤ـ نشرت بالعدد الثالث من حولية كلية الانسانيات بجامعة قطر ١٩٨١ .

٢٠٥ـ نشرت بالعدد الرابع من حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر ١٩٨١.

٢٠٦ـ نشر هذا البحث ضمن دراسة عن الأزمة اللبنانية خطط لها معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٨.

٢٠٧ـ محاضرة ألقيت في الندوة التى أقامتها جامعة عين شمس في أكتوبر ١٩٧٧.

٢٠٨ـ دراسة ألقيت فى الندوة العالمية لمركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة ١٩٨١.

٢٠٩ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٠ لعام ١٩٧٣ ص ٢٦٧ـ ٢٨٤.

٢١٠ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٢ لعام ١٩٧٥ ص ٣٢٧ ـ ٣٣٩.

٢١١ـ صدر عن مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر فى عام ١٩٨٩.

*ـ الأستاذ المساعد حاليا بكلية البنات جامعة عين شمس.

٢١٢ـ نشرها معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٤ فى جزءين.

٢١٣ـ انظر تقديم الدكتور عزت عبد الكريم لهذه الدراسة.

٢١٤ـ نشرت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت هذه الدراسة فى عام ١٩٨٢.

٢١٥ـ المجلة التاريخية المصرية: المجلد ٢٧ لعام ١٩٨٠ ص ١٧٩ ـ ١٩٨.

٢١٦ـ دراسة قدمت لمعهد البحوث والدراسات العربية.

٢١٧ـ نشرها مركز بحوث الشرق الأوسط عام ١٩٨٠.

٢١٨ـ قدمت للنشر بمركز بحوث الشرق الأوسط عام ١٩٩٣.

٢١٩ـ نشرها مركز البحوث والدراسات العربية.

٢٢٠ـ نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب هذه الدراسة فى عام ١٩٨٦.

٢٢١ـ نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب هذه الدراسة في عام ١٩٨٧ .

٢٢٢ـ نشرت ضمن ندوة العرب في أفريقيا التي أقامتها آداب القاهرة في عام ١٩٨٧ .

٢٢٣ـ نشرت ضمن كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ١٩٨٠ ص ٣٥٧ ـ ٣٨٨ .

٢٢٤ـ الأستاذ المتفرغ حاليا بآداب الإسكندرية .

٢٢٥ـ نشرتها دار المعارف في عام ١٩٦٧ تحت عنوان الجيش المصري في القرن التاسع عشر .

* ـ حاليا نائب رئيس جامعة الاسكندرية لشئون فرع دمنهور .

٢٢٦ـ للتفاصيل انظر اليوبيل الذهبي لكلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٤٢ ـ ١٩٩٢ .

٢٢٧ـ نشرت بالاسكندرية في عام ١٩٨٣ .

٢٢٨ـ نشرته دار النهضة العربية ببيروت .

٢٢٩ـ أوضح لي الدكتور عمر أن أستاذه الإنجليزي ـ في أثناء دراسته للدكتوراة ـ هو الذي لفت نظره لأهمية دراسة مصر العثمانية ، فوعده بالاستمرار في العمل في هذا الحقل بعد مرحلة الدكتوراة لقاء معه بمكتبه بعمادة آداب الاسكندرية في ٢٣ / ٧ / ١٩٩٣ .

٢٣٠ـ د . عماد الدين خليل : حول إعادة كتابه التاريخ الإسلامي ، الدوحة ـ قطر دار الثقافة ١٤٠٦ هـ ص ٨٩ .

٢٣١ـ د . عبد الحليم عويس : فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية ، القاهرة دار الصحوة ، ١٩٨٦ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٤ .

٢٣٢ـ من أبرز كتاباته في هذا المجال «الإسلام وحركة التاريخ ـ رؤية جديدة في فلسفة الإسلام (١٩٦٨) .

٢٣٣ـ من أبرز كتاباته فى هذا المجال «دخلت الخيل الأزهر».

٢٣٤ـ له كتب عديدة فى هذا الاتجاه نذكر منها « المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية».

٢٣٥ـ كانت رسالته للماجستير بعنوان «دور الأزهر فى مصر إبان الحكم العثمانى ١٥١٧ ـ ١٧٩٨».

٢٣٦ـ ضمن لقاء مع المستشار طارق البشرى بسمنار كلية البنات جامعة عين شمس فى الثلاثاء ٥ / ١ / ١٩٩٣ .

٢٣٧ـ الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة، القاهرة، وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٩ .

٢٣٨ـ نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٧٢ .

٢٣٩ـ انظر المقدمة ص ٥ ، ٦ .

٢٤٠ـ للتفاصيل انظر الفصل الخامس ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ .

٢٤١ـ نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة في مارس ١٩٧٩ .

٢٤٢ـ نشر عن طريق دار الكتاب الجامعى فى عام ١٩٨٣ .

٢٤٣ـ الاتجاه الإسلامى فى الثورة المصرية ١٩١٩ ص ٤٧ .

٢٤٤ـ نفسه ص ٢٣ .

٢٤٥ـ للتفاصيل عن حياته وأعماله العلمية انظر الفصل الخامس ص ١٨٨ ـ ١٩٤ .

٢٤٦ـ ولدت بمحافظة الاسكندرية فى ١١ من يناير ١٩١٩ وحصلت على ليسانس الآداب قسم التاريخ من جامعة فؤاد الأول فى عام ١٩٤٢ كما حصلت على الدكتوراة فى تاريخ أوروبا الحديث من جامعة ليفربول بانجلترا فى عام ١٩٤٩ وعملت مدرسا بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة إبراهيم (عين شمس) فى عام ١٩٥٠ وأستاذا مساعدا بنفس الكلية فى عام

١٩٥٦ ، وأستاذا فى قسم التاريخ بكلية البنات الإسلامية ورئيسا له فى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٧ .

٢٤٧ـ نشرت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية هذه الدراسة فى عام ١٩٦٤.

٢٤٨ـ انظر تصدير ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة لكتاب المؤرخ الإنجليزى هربرت فشر تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى القاهرة دار المعارف ١٩٥٠ .

٢٤٩ـ للتفاصيل انظر كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، دراسة تاريخية لمؤسسة علمية القاهرة ١٩٨٥ .

الفصل الرابع:
المدرسة التاريخية الوطنية بين المنجزات والمعوقات

نجحت المدرسة التاريخية المصرية إلى حد كبير فى إنقاذ تاريخ مصر الحديث من التشويه سواء قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو أو بعدها، وتمسك معظم أفرادها إلى حد كبير بالموضوعية رغم عوامل القهر وركوب البعض موجة النفاق.

فقبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعرض الدكتور محمد صبرى للإبعاد عن سلك التدريس فى الجامعة - رغم أنه كان أول مصرى يحصل على دكتوراة الدولة فى التاريخ الحديث من السربون - لأنه ذكر فى كتابه الثورة المصرية أن الملك فؤاد لا شعبية له ولأنه لم يعرف كيف يسبح مع التيار وبعد قيام الثورة انتشرت ظاهرة التملق لها من البعض وتعرض تاريخ مصر الحديث لأزمة كبيرة سببها سوء القصد أحيانا وسوء الفهم أحيانا أخرى فشوه تاريخ معظم زعماء ما قبل الثورة كما انحرف التاريخ المصرى عن مساره لفترة، وبدأت مواكب النفاق تزحف للتسلق والتمسح بالثورة ومناهضة الحكم الملكى، ودمغ الماضى إجمالا، وكتب البعض مؤلفات لاسترضاء قادة الثورة، ووضعوا أنفسهم تحت تصرفهم لا يكتبون ولا يدرسون إلا إذا كان فيما يكتبونه أو يدرسونه مؤازرة للسلطة السياسية وبلغ

الأمر بالبعض أن قال إن تاريخ مصر الحديث يبدأ بثورة ٢٣ يوليو وما قبل ذلك يجب نسيانه ، هذا على حين أن ثورة يوليو ما كان لها أن تقوم إلا على دعائم من نهضة مصرية حقيقية قامت فى الثلاثين سنة السابقة على قيام الثورة وأخذت الكتابات الملتهبة ضد أسرة محمد على تغرق الأسواق كما ظهرت بعض الكتابات التى ترفع من ثورة عرابى وتعطيها أكثر من قدرها وتغفل سعد زغلول وثورة ١٩١٩ لأن الثورة تقف من حزب الوفد موقف العداء بدلاً من اعتبارها مكملاً لها ، فاتهم كتاب الميثاق سعد زغلول بأنه ركب الموجة الثورية فى عام ١٩١٩ واتهموا القيادة الثورية بأنها أغفلت مظاهر التغيير الاجتماعى وبأنها لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء لأنها لم تدرك أن مصر جزء من الأمة العربية وبأنها فشلت فى فهم التاريخ وفى فهم العدو الذى تحاربه حين عزلت حركتها عن الحركة العربية مما مكن القوى الاستعمارية من أن تتعامل مع أمة عربية مفككة الأوصال وبذلك انتهت الثورة بإعلان استقلال لا مضمون له وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال ثم جاءت معاهدة ١٩٣٦ فكانت بمثابة صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة ١٩١٩[1].

ولم يحد من طغيان هذه الظاهرة سوى بعض أساتذة التاريخ فى

الجامعات المصرية الذين حاولوا موازنة الأمور. ووضع حقبة الثورة في مسارها العام، فأوضحوا أن الحاضر مهما كان خلافه مع الماضى فهو وليد فى أحشائه وبالتأكيد بدأ فيه، وأن ثورة ١٩١٩ كانت ثورة حقيقية بحثت فيها مصر عن نفسها دون اعتماد على حكامها، حقيقة أنه مما يؤخذ على هذه الثورة إهمالها لمظاهر التغيير الاجتماعى، أما بالنسبة لإغفالها امكانات العالم العربى وما تردد عن قول سعد زغلول أن صفرا زائد صفر يساوى صفرا فمن المعروف أن العالم العربى كله تقريبا فى ذلك الوقت كان واقعا تحت السيطرة الاستعمارية ويصعب طلب المعاونة منه.

حقيقة أن سعد لم يصنع الثورة، لأن أى فرد لا يمكنه أن يصنع ثورة، خاصة وأن الثورة نتاج عدة عوامل موضوعية لابد من توافرها، وحقيقة أن سعدا لم يستطع الحصول على استقلال مصر الكامل، ولكن هذا لم يكن بسبب تقصير منه ، بل لأن القوى المعادية لمصر كانت أكبر من قدراته ومن قدرات أى زعيم مصرى فى ذلك الوقت.

ومضت الحركة التاريخية المصرية فى تصحيح المسار بمقدار ما سمحت به الظروف ثم أخذت تسير مسرعة أحيانا فى الطريق الصحيح. وفى للاتجاه غير الصحيح فى أحيان أخرى ومما يحمد لهذه المدرسة أنها نجحت فى تغيير منهج الدراسات التاريخية المصرية من

دراسة المعارك الحربية وتاريخ الحكام الذين تقلدوا أريكة الحكم في مصر، والتسبيح بحمدهم وإبراز محاسنهم، وتبرير أخطائهم إلى دراسة أحوال الشعب المصرى الاجتماعية والاقتصادية، ودوره في صنع الأحداث بدرجة ساعدت على إحياء الماضي في الأذهان في صورة تمس الحياة الحقيقية للشعب المصرى من خلال تاريخه الحديث.

ومن خلال ذلك برزت الصيحات لإعادة كتابة تاريخ مصر القومي بدأها الدكتور محمد فؤاد شكرى في كتابه بناء دولة محمد على - السياسية الداخلية (٢) فيقول في تصديره للكتاب «كنا وما نزال نعتقد أن تاريخنا القومي، والحديث منه خاصة في حاجة ملحة إلى أن يكتب على ضوء جديد فقد تآزرت عوامل شتى على مسخه وتشويهه حتى لم تعد تبدو منه غير صورة مضطربة المعالم والسمات، وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر في ذلك التاريخ لكشف ما خفي من حقائقه، وتفصيل ما أجمل من دقائقه في حدود الأمانة العلمية التي تستهدف تسجيل الحوادث وتفسير البواعث، تسجيلا يطابق الواقع وتفسيرا لا تحامل فيه ولا محاباه، ولما كان هذا الاتجاه السليم في دراسة تاريخنا القومي لم يجد الطريق أمامه حتى الآن معبدة ممهدة فمن الواجب أن

تتضافر الأيدى، وتتساند الجهود لإزالة ما يكتنف هذا الطريق من صعاب وعقبات» كما أوضح أنه أسهم بنصيب واضح من تلك الجهود عن طريق تأليفه لهذا الكتاب [٣] خاصة وأنه تعرض فيه لأحوال مصر الداخلية من النواحى الاقتصادية والثقافية والإدارية.

واستمر الدكتور شكرى فى كتاباته بعد ذلك على هذه الوتيرة ففى كتابه «عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر [٤] الذى صدر فى عام ١٩٥٢ رسم شكرى صورة واضحة لأحوال المجتمع المصرى، ولحياة المصريين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية.

وفى كتابه «مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١ [٥] ساير هذا الاتجاه بشكل واضح أيضا.

يضاف إلى ذلك أنه قام بتدريس الفكر الاشتراكى بما فى ذلك الفكر الماركسى كجزء من تاريخ أوروبا فى القرن التاسع عشر منذ أوائل الأربعينيات من هذا القرن لطلابه بقسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) حيث لفت أنظار طلابه لأهمية هذا الفكر وطريقة تناوله وقارن بينه وبين النظريات السياسية الأوروبية الأخرى [٦] .

أما عن الصيحة الثانية فقد برزت بعد إعلان الميثاق الوطنى فى ٢١ من مايو ١٩٦٢ والذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر إلى

المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، وانحصرت فى مهاجمة الملكية والإقطاع والاستعمار والتركيز على مبادىء الثورة الستة وإثبات أن الشعب هو المعلم الأكبر الذى اجتاز رواسب المجتمع الإقطاعى والرأسمالى إلى المجتمع الإشتراكى والتحول العظيم(٧) وما أعقب ذلك من إقرار المجلس الأعلى للجامعات فى يوليو ١٩٦٢ برنامجا للدراسة يقوم على ما يسمى بالمقرر القومى حيث بدأ أساتذة التاريخ الحديث فى الجامعات المصرية يدرسون ثورة ٢٣ يوليوالاشتراكية العربية وغيرها ضمن المقررات القومية التى فرضت عليهم ويتغنى بعضهم بمكاسب الثورة وإنجازاتها وتشويه تاريخ زعماء الوفد وغيرهم من المغضوب عليهم رغبة فى التقرب من السلطة الحاكمة فذكر بعضهم أنه «بقيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ انتصرت أسطورة العدالة الاجتماعية (٨).

ولم يقتصر الأمر فى ذلك على أساتذة التاريخ الحديث بل تعداه إلى بعض أساتذة العصور الوسطى(٩) واساتذة كلية الحقوق(١٠) فألفوا الكتب عن ثورة يوليو ، وقاموا بتدريسها لطلابهم ضمن المقررات القومية.

وبالنسبة للصيحة الثالثة فقد ظهرت بعد قوانين يوليو الاشتراكية فى عام ١٩٦١ وقد تبنتها الجمعية المصرية للدراسات

التاريخية فى نوفمبر ١٩٦٥ وعقدت لها أربع ندوات مفتوحة حول موضوع إعادة التاريخ القومى، وفتحت من أجل ذلك الطريق للمناقشات التي اشترك فيها الكثير من المتخصصين، ومن ضمن ما طرح فى هذه الندوات هل نبدأ تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى أم من الحملة الفرنسية ، ولماذا لم نكتب تاريخنا القومى من وجهة نظر اشتراكية[١١] خاصة وأن تاريخ الشعب المصرى كقوى اجتماعية لم يكتب.

ويذكر الدكتور عبد العظيم رمضان فى تعليقه على هذه الندوة أنه ورغم أن مصر فى تلك الفترة كانت تقود حركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر إلا أن مفهوم إعادة كتابة التاريخ القومى فى أذهان الغالبية العظمى من المشتركين كان قاصرا على التاريخ المصرى وليس التاريخ العربى[١٢] .

وفى أعقاب ذلك برزت المدرسة المادية فى تفسير التاريخ وتبناها فى جامعة القاهرة الدكتور محمد أنيس، ومهد لها بمقالات فى مجلة الكاتب عام ١٩٦٥ ، وبدراساته التى ألقاها على طلابه بمعهد الدراسات الاشتراكية بمصر الجديدة[١٣] كما برزت الكتابات فى تاريخ مصر الاجتماعى وسارت الأمور على هذا المنوال حتى وفاة الرئيس عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ ، وبعدها برزت عدة اتجاهات

مهمة منها الدعوة لإعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق لجنة رسمية يتم تكليفها من قبل الدولة.ويكون لها القول الفصل والحكم القاطع فيما تكتبه، ومنها أيضا قرار الرئيس السادات برفع الرقابة على الكتب والصحف.

وبالنسبة للموضوع الأول فقد قام الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام آنذاك بتشكيل لجنة بهدف جمع وثائق حكم عبد الناصر والتاريخ لهذه الفترة وكان ذلك بعلم الرئيس السادات ، وعقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات ثم توقفت أعمالها نتيجة لاختلاف وجهات النظر بين هيكل رجل عبد الناصر الذى أراد إبراز الدور الناصرى من خلال الكتابة عنه والسادات الذى أراد إضعافه بأن تبدأ اللجنة أعمالها بالتعرض لهزيمة يونيو ١٩٦٧ وتحليل أسبابها ، وفى أعقاب ذلك شكل الرئيس السادات لجنة أخرى برئاسة نائبه محمد حسنى مبارك انتقلت رئاستها بعد ذلك لآخرين[١٤] وكان من أبرز قوانين هذه اللجنة عدم الاطلاع على الوثائق الرسمية إلا بعد مرور خمسين عاما على صدورها مما وقف حجر عثرة أمام دراسة تاريخ مصر المعاصر دراسة أكاديمية، وأدى إلى تجميد دور بعض المؤسسات العلمية مما آثار العديد من التحفظات لدى المؤرخين، ولا نتردد فى الحكم إذا قلنا أن هذه اللجنة كانت

شكلية وأن دورها تسبب في الكثير من التساؤلات لذلك لم يقدر لها الاستمرار ، ولم تستطع أن تكتب تاريخ مصر في النصف الأخير من هذا القرن كما كانت تبتغى، وجاء اغتيال الرئيس السادات فأنهى تواجدها ولم نعد نسمع عنها شيئا ، وتحملت الجامعات مرة أخرى مسئولية كتابه تاريخ مصر بطريقة موضوعية.

ومن البديهى القول أن كتابة تاريخ مصر لا يجب أن يصدر بها توجيهات رسمية حتى لا تفقد موضوعيتها خاصة وأن الناس أصبحوا يشكون فى كل الكتابات الموجهة وبالتالى يجب أن تترك مثل هذه الأمور للجامعات والمراكز البحثية للانفتاح على الحقيقة بكافة جوانبها حتى يمكن تحليل أحداث تاريخنا بطريقة يتوخى فيها الموضوعية والنزاهة العلمية.

لقد مضى الوقت الذى كان يكتب فيه تاريخ مصر من القصور والقلاع المحصنة، كما أنه قد مضى الوقت الذى أصبح فيه التاريخ حكراً على قلة موثوق بها من جهة معينة خاصة وأن الشعوب فى مراحل يقظتها يزداد اهتمامها بتاريخها وتستطيع أن تميز بين الغث والثمين منه.

أما عن الموضوع الثانى والخاص بقرار الرئيس السادات برفع الرقابة على الكتب والصحف فكان من الإنجازات المهمة التى أدت

إلى السير بتاريخ مصر المعاصر خطوات كبيرة إلى الأمام ، فقد حظرت الثورة الكتابة عن بعض الزعامات خاصة الوفدية وكانت الكتابة عنها من الأمور الشائكة، كما ظل الحديث عن بعض الفترات من تاريخ مصر المعاصر من الأمور الشائكة أيضا حتى أصدر الرئيس السادات قراره برفع الرقابة عن هذه المحظورات مما أفسح المجال للخوض فى كافة جوانب التاريخ المصرى الحديث وشخصياته المختلفة، ولم يعد هناك أى اعتراض على دراسة أى شخصية من زعماء مصر السياسيين قبل الثورة ، ولا على إنصافه وتقييم مواقفه.

ومن المعوقات التى أقلقت بال المدرسة التاريخية المصرية فى الفترة الأخيرة ذلك الطوفان من المؤلفات حول الناصرية معها أو عليها والذى كان على حساب الدراسات المتأنية والموضوعية لتاريخ مصر المعاصر، ولكن ذلك المعوق لم يقدر له أن يعيش طويلا نظراً لأنه من الصعب تقييم أحداث عصر نعيش فيه ونشارك فى أحداثه ولم تكتمل حلقات تطوره بعد، فضلا عن أن جانبا من حقائقه وأسراره مازال بعيدا عن أيدى الباحثين لذلك عادت دراسة تاريخ مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين إلى الجامعات مرة أخرى.

يضاف إلى ذلك أن معوقًا آخر ظهر من خلال الفترة الأخيرة

وتزايد بشكل واضح وتمثل ذلك المعوق فيما يسمى بالمذكرات التى صدرت بأقلام بعض السياسيين أو غيرهم ممن شاركوا فى صناعة تاريخ مصر المعاصر أو شاهدوا بعض أحداثه فكتبوا ذكرياتهم أو مذكراتهم أو ما ادعوه بأنه كذلك بشكل لونوا وزخرفوا فيه مواقفهم، وانهالوا طعنا فى الآخرين المخالفين لهم، واجتهدوا فى بعض تفسيراتهم بشكل يدعو إلى الريبة وضرورة إعادة النظر فيما كتبوه ونظرا لأن العديد منها ابتعد بشكل كبير عن قواعد منهج البحث العلمى وأهدافه فنحن لا نقبل هذه الكتابات بوصفها تاريخًا، وإنما بوصفها رؤية من أصحابها لبعض الوقائع قابلة للنقد والتحليل خاصة وأن المنهج العلمى فى كتابة التاريخ يقتضى التسلح بالحيدة التاريخية وعدم الجنوح تجاه فكرة معينة أو أخرى مسبقة.

والسؤال المطروح : هو هل من المفيد استغلال التاريخ لتأييد مصالح سياسية معينة أم أن من حقنا أن نستهجن كل محاولة ترمى إلى استخدام التاريخ فى تحقيق أغراض أو تبرير اتجاهات بعض الساسة؟.

الواقع أنه رغم أن المؤرخ يجب أن يكون عادلاً ونزيهًا لا يداهن ولا يرائى فإنه يصعب عليه أن ينتزع نفسه من المحيط الذى يعيش فيه خاصة وإن كان ذلك يمس قضايا وطنه أو مصير أمته ، فحتى

بعض المشاهير من الكتاب والمفكرين صعب عليهم ، ذلك ففولتير على سبيل المثال ، لم يتورع فى تسخير علمه فى مناوأة رجال الدين ، وحتى هيوم فى كتابه «تاريخ انجلترا» تعاطف بشكل واضح مع حزب المحافظين لدرجة أن ما كتبه كان عبارة عن مجرد نشرة مسهبة من نشرات حزب المحافظين.

وعلى أى حال فإنه رغم المجهود التى بذلتها المدرسة التاريخية المصرية التى شقت طريقها بخطوات متقدمة لدرجة أن تاريخنا لم يعد حكرا على دراسات المستشرقين بل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة أن الباحث الأوروبى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع إلى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه.

هذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى والسير على قواعده قد أصبح أمراواقعا ومعلما رئيسيا لا يستطيع أحد أن ينكره أو يتجاهله ، كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضخما من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر الحديث فى كافة مناحيه.

ومع كل ذلك فإن المدرسة التاريخية المصرية لا تزال فى حاجة إلى

وقفة صريحة مع نفسها لتقويم تجربتها، وإلى وضع النقاط على الحروف عن طريق النقد الهادف والبناء من داخلها خاصة وأنها أعرف من غيرها بنفسها، وتستطيع إكمال كل نقص وسد كل ثغرة بينها ، خاصة وأن قواعدها لا تزال أجنبية رغم أنها مغروسة فى تراب الوطن، فرغم نجاحها فى تمصير الدراسات التاريخية المصرية فإن معظم أفرادها مازالوا يعتمدون حتى الآن على تيارات المدارس الأوروبية فى تفسير التاريخ المصرى ودراسته، كما أنهم لم يتمكنوا من تطوير مناهجهم البحثية وما يتفق مع متطلبات العصر.

لذلك فنحن فى حاجة إلى مدرسة تاريخية وطنية مصرية تلتزم بالمنهج العلمى وقواعده، أقدامها مغروسة فى تراب الوطن، وتلفح عقولها وفكرها نسمات العصر وتياراته[١٥] بما فيه من تأثيرات فكرية وتغيرات عالمية.

ولكن هل يتحقق ذلك فى ظل الخلافات غير العلمية بين بعض أفرادها وفى ظلم الاعتقاد أن النقد يعتبر ضربا من الحرب بين الناقد والمنقود.

هوامش:

١ـانظر. المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، الميثاق ٢١ من مايو ١٩٦٢.

٢ـصدر عن دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٨ وشارك فى تأليفه عبد المقصود العنانى، وسيد محمد خليل.

٣ـانظر التصدير ص (أ).

٤ـنشرته مكتبة الخانجى فى عام ١٩٥٢.

٥ـنشرته جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨.

٦ـد. على بركات: المقال السابق ص ٨٣.

٧ـالميثاق الوطنى: الباب الأول تحت عنوان «نظرة عامة».

٨ـزينب راشد وآخرون: ثورة ٢٣ يوليو والتطوير الأيديولوجى.

٩ـمن هؤلاء الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

١٠ـمن هؤلاء الدكتور سليمان الطماوى.

١١ـللتفاصيل انظر المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث عشر ١٩٦٧ تحت عنوان «ندوة إعادة كتابة التاريخ القومى موجز أعده الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ص ٣٤٥ ـ ٣٦٩.

١٢ـعبد العظيم رمضان: علم التاريخ بين الموضوعية والذاتية محاضرة ألقيت بالموسم الثقافى للجمعية التاريخية فى ١٩ مارس ١٩٧٩ ص ٢٩.

١٣ـطبعت هذه المقالات والدراسات بعد ذلك فى كتاب أسماه صاحبه المجتمع المصرى من الاقطاع حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

١٤ـضمن تعليق د. يونان لبيب على المحاضرة التى ألقاها صاحب هذه الدراسة بكلية البنات جامعة عين شمس فى ١٥ / ١٢ / ١٩٩٢ تحت عنوان مدرسة التاريخ المصرى الحديث فى القرن العشرين .

١٥ـ د. عبد الخالق لاشين: ملاحظات نقدية حول منهج الكتابات التاريخية في مصر المعاصرة. دراسة مقدمة إلى «ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ ـ ١٩٥٢» ص ٨٤.

الفصل الخامس:
أبرز رواد التاريخ الحديث
من الجامعيين

تحمل عبء تطوير الحركة التاريخية فى مصر أساتذة أعلام ومؤرخون ثقات كان لهم فضل الريادة والأستاذية المبرزة، وستظل أسماؤهم مقرونة بأعمالهم فى خدمة النهضة التاريخية فى مصر، وستظل مؤلفاتهم نبراساً يهتدى به من يأتى بعدهم ويكفى أن نذكر من هؤلاء «محمد شفيق غربال» رائد الحركة التاريخية فى مصر و«محمد صبرى السربونى» المؤرخ والأديب الذى عاش معظم حياته العلمية مبعداً عن وظائف التدريس الجامعى نظرا لأنه قال إن الملك فؤاد لا شعبية له و«محمد فؤاد شكرى» صاحب العديد من المؤلفات التى يشار إليها بالبنان- ومع ذلك لم يجد ثمن الدواء عندما اشتد به المرض- و«حسن عثمان» المؤرخ الفنان المولع بالأدب الانسانى خاصة الإيطالى منه و«أحمد عزت عبد الكريم» الذى ارتبط بتلاميذه برابطة الفكر والعلم وأخذ بيدهم إلى الأمام و«عبد الحميد البطريق» صاحب الينبوع الدافق من الخلق والإنسانية و«محمد أنيس» صاحب الحس التاريخى المرهف الذى تخطى الحواجز وعالج العديد من الأمور التى كانت محظورة فى تاريخ مصر، وأبرز دور الشعب المصرى فى صنع أحداث بلاده، و«أحمد عبد الرحيم مصطفى» الذى

فتح آفاق المعرفة والدراسات الأوروبية أمام طلابه وفيما يلى نعرض لهؤلاء الأعلام، ودورهم فى بناء المدرسة التاريخية المصرية، وفى تمصير حركة التاريخ المصرى، وفى فتح الأبواب الواسعة فى مجال الاستقراء والاستنتاج.

الأستاذ محمد شفيق غربال

١٨٩٤ـ ١٩٦١

ولد محمد شفيق غربال بمدينة الإسكندرية فى عام ١٨٩٤م ونشأ وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارسها ثم اختار الالتحاق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة حيث وجد فيها ـ كما يذكر ـ المعهد الذى يصله بالدراسات الإنسانية ـ وتخرج فيها عام ١٩١٥ ثم أوفدته الحكومة المصرية فى بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث بجامعة ليفربول بإنجلترا إبان الحرب العالمية الأولى.

ومع فداحة الأخطار التى كان يتعرض لها العالم فى خلال هذه الفترة، ورغم مصاعب السفر فى خلال تلك الآونة ، فإن غربال لم يتردد فى الذهاب إلى إنجلترا ليواصل دراسته للتاريخ هناك [١] وقد استطاع أن يثبت مقدرته فحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف فى عام ١٩١٩وعاد إلى مصر ليعمل مدرسا بإحدى المدارس الثانوية بالإسكندرية لمدة ثلاث سنوات أوفد بعدها مرة أخرى إلى إنجلترا للدراسة للحصول على الماجستير بجامعة لندن ثم بمعهد البحوث التاريخية التابع لهذه الجامعة. من خلال ذلك التقى بالمؤرخ

البريطاني الشهير «أرنولد توينبي» الذى كان يشرف على بحوث الدراسات العليا هناك، ويذكر توينبي أنه منذ لقائه الأول به وجد فيه طالبًا موهوبًا وأنه تعلم من شفيق غربال أكثر مما علمه ، وأنه تنبأ بأنه سيكون فى مستقبل حياته باحثًا وأستاذًا ، كما تنبأ له بمسلكه الأخلاقى الذى تميز به، وبكونه موضوعى التفكير، مستقلاً فى الرأى ذا حزم وعزم فيما يتصل بالعمل الذى يتناوله[٢] .

ومن المعروف أن توينبي أشرف على رسالة غربال للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٢٤ وكانت بعنوان The beginning of the Egyptian question and the rise of Mehemet Ali وبعد أن عاد غربال إلى مصر فى عام ١٩٢٥ عين مدرسًا للتاريخ الحديث فى مدرسة المعلمين العليا، وهناك بدأ فى تدريس تاريخ الحضارة الإسلامية والكتابة فى هذا المجال[٣] ثم ما لبث أن رقى بها أستاذًا للتاريخ الحديث فى عام١٩٣٦ فكان بذلك أول مصرى يتولى هذا المنصب بالجامعة خلفًا للمؤرخ الإنجليزى «جرانت» ومن هنا بدأ غربال يشق طريقًا طويلاً فى خدمة الدراسات التاريخية المصرية، وفى نقل الإشراف على هذه الدراسات من يد القصر الملكى والمؤرخين الأجانب إلى يد الجامعة فبدأ فى تكوين المدرسة التاريخية المصرية، وتمصير الدراسات الخاصة بالتاريخ المصرى

وخاصة بعد إنشاء الدراسات العليا للماجستير والدكتوراة بالجامعة وإشرافه وتوجيهه للبحوث التاريخية.

وقد تمكن غربال بفضل مقدرته العلمية ، ودقة ملاحظة وقوة تأثيره على طلابه، أن تكون له الريادة الفكرية للمدرسة التاريخية فأقبل عليه تلاميذه بشغف، وأخذ يمنحهم من علمه وفكره ما ينير لهم السبيل دون أن يضن على أحد منهم بما يعلمه أو يصد عن بابه طالب علم، فدفع ذلك تلاميذه إلى السعى للحاق به والسمو إلى قرب قمته عن طريق الحرص على الإجادة وتوخى الدقة[٤] ولم تقتصر جهود غربال فى الجامعة على الناحية العلمية بل تعدتها إلى نواحى النشاط الاجتماعى حين صار وكيلا للاتحاد العام لطلاب الجامعة المصرية[٥] وبذلك كان لغربال فضل عظيم فى توجيه أجيال متعاقبة من تلاميذه الذين أخلصوا له الإجلال والتقدير وامتد فضله عن طريقهم إلى العديد من أبناء هذه الأمة[٦] .

أما عن الرسائل العلمية التى أشرف عليها غربال فهى متعددة وقد ارتبط جلها بالعصر العثمانى وعصر محمد على ويرجع ذلك إلى أنه بسبب إهمال المؤرخين دراسة هذه الفترة فى ذلك الوقت دعا غربال طلابه إلى الاهتمام بدراسة التاريخ العثمانى باعتباره مدخلا لدراسة التاريخ المصرى الحديث ووجههم كذلك إلى الاهتمام

بدراسة تاريخ القرن التاسع عشر بصفة عامة، وعصر محمد على بصفة خاصة نظرا لأن نبض الحياة المصرية قد اشتد فى ذلك العصر، وكانت التطورات السريعة والمتلاحقة التى وقعت بمصر ، خلاله قد أحدثت فيها ما يشبه الثورة فى كافة مناحى الحياة.

نتيجة لذلك خرج على يد غربال العديد من الدراسات الأكاديمية فى هذه الموضوعات نذكر منها الدراستين اللتين قدمهما محمد رفعت رمضان ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراة وهما «ثورة على بك الكبير» و«مصر والدولة العثمانية دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٥٠ - ١٨٦٣».

والدراسة التي قدمها حسن عثمان للماجستير تحت عنوان «فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان».

والدراستين اللتين أعدهما «أحمد الحتة» للماجستير والدكتوراة «الفلاح المصرى فى عهد محمد على و«تطور الزراعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر» والدراستين اللتين قدمهما أحمد عزت عبد الكريم ونال بهما الماجستير والدكتوراة وهما «تاريخ التعليم فى عصر محمد على[٨] و «تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق».

والدراسة التى أعدها أبوالفتوح رضوان للماجستير وعنوانها

«تاريخ مطبعة بولاق» والدراسة التي قدمها محمد محمد توفيق للماجستير تحت عنوان «مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثماني[٩] في مصر» ، والدراسة التى أعدها فائق جبرة للماجستير تحت عنوان «ضرائب الأطيان المصرية فى عهد محمد على» والدراسة التى قدمها أمين عفيفى للدكتوراة بعنوان «تجارة مصر فى عهد محمد على».

والدراسة التى قدمها عياد دوس للماجستير بعنوان «الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على» والدراسة التى قدمها عبد العزيز الشناوى للماجستير تحت عنوان «السخرة فى حفر قناة السويس» ولغربال مؤلفات ليست بالكثيرة، ولا بالضخمة ، ولكن ما كتبه يقترن دائما باسمه خصوصا وأنه كان يرى من الحقائق ما لايراه غيره، وإذا كتب تاريخا صاغه فى لفظ أنيق فيه فطانة وبعد نظر ، وحسن إدراك مع دعابة لطيفة تجعل من يقرأ له يحس أنه ليس مع مؤرخ أو فليسوف، وإنما مع فقيه من فقهاء التاريخ[١٠] .

ومن أبرز مؤلفات غربال رسالته للماجستير «بدايات المسألة المصرية وظهور محمد على[١١] » والتى تعد حدثا علميا استرعى أنظار الأساتذة والباحثين، وخاصة لأنها اتسمت باستقراء الأحداث والفحص العلمي والمقارنات ، والناحية التحليلية وكثرة المصادر والأسانيد، كما اتسمت بالحياد فى تقويم الأشخاص والبعد عن

التحامل والعواطف.

وقد استطاع غربال فى هذه الدراسة تناول التطورات السياسية فى مصر منذ الحملة الفرنسية حتى وصول محمد على إلى الباشوية، وأثبت أن المسألة المصرية كانت جزء مهما من المسألة الشرقية، وأنه لا يمكن فهم هذه المسألة إلا إذا ربطنا بينها وبين ما كان يجرى فى الدولة العثمانية وأوروبا وهى الطريقة التى سار عليها أستاذه توينبى فى مؤلفاته وهى أنه لا يمكن للباحث أن يدرك كنه حقيقة تاريخ أمة من الأمم إذا هو قصر بحثه على تاريخ هذه الأمة واكتفى بتتبع الحوادث التى وقعت فيها وحدها ، خصوصا وأن حوادث العالم متشابكة فلا تقع حادثة فى بلد من البلدان إلا امتدت آثارها إلى البلدان الأخرى بدرجات متفاوتة قد تكون قوية أحيانا، وغير مؤثرة فى أحيان أخرى.

وتظل هذه الفترة بالذات محور اهتمام غربال ففى عام ١٩٣٢ كتب بحثا بعنوان «الجنرال يعقوب والفارس لاسكارس» أوضح فيه مشروع استقلال مصر الذى حمله معه يعقوب حنا بعد خروج الفرنسيين من مصر».

وفى الثلاثينيات من هذا القرن نشر غربال دراسة تحت عنوان «مصر عند مفرق الطرق ـ رسالة حسين افندى الروزنامجى»

وتشتمل هذه الدراسة على تحقيق مخطوط بعنوان «ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين افندى أحد أفندية الروز نامة في مصر العثمانية» وهو عبارة من أسئلة موجهة إلى المسيو ستيف مدير مالية مصر - في خلال الحملة الفرنسية - إلى حسين أفندى حول أحوال الفلاحة في مصر ونظام الإلتزام والضرائب، وبعض النواحي المالية وإجابات حسين أفندى عليها[١٢].

وقد مهدت دراسة هذا المخطوط الطريق لكل من تصدى لتاريخ مصر العثمانية بالدراسة ، وأكدت أن شفيق غربال كان محققا من الطراز الأول ، خاصة وأنه أضاف إلى المخطوط من الشروح والتعليقات ما أوضح فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى وإيمانه بدور مصر الحضارى.

ويستمر غربال في دراسته عن هذه الفترة فيخرج كتابا بعنوان « محمد على الكبير[١٣] » وفيه وصف للمناخ الذى كانت تعيشه مصر قبيل عصر محمد على، ونجاح محمد على في إقامة سلطة مركزية تجمع كل القوى المتصارعة في إطار واحد، وقيامه بحركات إصلاحية وعمرانية واسعة في شتى المناحى حتى عادت مصر كما كانت مهدا للحضارة، كما وصف الصفوة المثقفة التى أرسلها

محمد على إلى أوروبا لدراسة العلوم الحديثة وعادت إلى مصر لتطبيق العلم على العمل بأنها ساعدت فى النهوض بالزراعة والصناعة وبناء الجيش والأسطول وأخذت عبقريتها تدب فى جسم مصر وروحها كما تدب الخميرة فى العجين، وأوضح أن ما قام به محمد على من إصلاحات فإن ما كان يقوم به الفرنسيون لو امتد حكمهم فى مصر، ثم أرجع نجاح محمد على فى إصلاحاته وفشل السلطان العثمانى محمود الثانى فى الإصلاحات التى قام بها فى تركيا إلى أن محمد على كان يعتمد على ثلاثة أسس وهى : القوة، والعلم، والمال، فى حين اعتمد السلطان العثمانى على القوة العسكرية وحدها.

أما عن مساوىء السخرة والاحتكار وقصر المناصب العليا على الارستقراطية العثمانية وغيرها فقد بررها غربال بأنه كان لابد من التضحية بجيل أو جيلين فى سبيل بناء حكومة قوية ومعمرة فى مصر.

وأما عن مواقف محمد على من السلطنة العثمانية وأوروبا فقد تمكن غربال بفضل اتساع ثقافته ، وتمكنه من أساليب الكتابة التاريخية إلى ربط تاريخ محمد على بالأوضاع العامة فى الدولة العثمانية وأوروبا، وطبيعة المؤامرات الدولية التى أحاطت به كما

رأى أن محمد على وهو قائد عثمانى مسلم كان لابد له من مساعدة الخليفة العثمانى على إصلاح دار الإسلام، وعلى الاحتفاظ بها مصونة ضد غزوات أعداء الإسلام، وأنه ظل على إيمانه بهذا الموقف حتى فقد الثقة بالسلطان بعد صلح كوتاهية فى عام ١٨٣٣ وبدأ يفكر فى الانفصال عن الدولة العثمانية، وإعلان استقلال ما يسمى «عربستان» أى البلاد العربية عنها، ولكنه كان يتردد فى اتخاذ هذه الخطوة خشية ما يترتب عليها من المحاذير.

وعند تحليلنا لما كتبه غربال عن محمد على نجد أنه تأثر تأثرا واضحا بأستاذه توينبى فى إيمانه بدور الصفوة المبدعة فى مجالات النشاط البشرى، وبنظريته عن فكرة التحدى والاستجابة Chal-lenge and response حين تطرق إلى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب، يضاف إلى ذلك أنه دافع عن كل أعمال محمد على وإنجازاته على حين أن هناك العديد من المآخذ على محمد على وبعض أعماله التى كان يجب عليه توضيحها لا تبريرها.

وإلى جانب ذلك نجد للأستاذ غربال دراسة قيمة تحت عنوان «تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية» الجزء الأول ، بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ - ١٩٣٦[١٤] وهو كما يرى صاحبه فى مقدمته «محاولة

لتركيب صورة واضحة من الحوادث ، والوقائع والسياسات والخطط والبواعث والأغراض والأماني والأحلام والشهوات التي توالت على مصر، والتي يتكون منها تاريخ العلاقات بين مصر وانجلترا».

ويلاحظ في هذا الكتاب بصفة عامة أنه بحث علمي مدعم بالوثائق والتحليلات العلمية البعيدة عن التحيز، المعروضة بأسلوب مشوق جذاب ، وفي فصول هذا الكتاب تعرض غربال للمفاوضات المصرية البريطانية بصفة عامة، وبين كيفية نشأتها وكيف رضى بها الإنجليز والمصريون بوصفها وسيلة لتحقيق الأماني وصيانة المصالح، وتعرض للأحداث التي سايرت المفاوضات ، وقدم وصفا موجزا للسياسة العامة للاحتلال تجاه المصريين، ثم تطرق إلى العلاقات المصرية البريطانية إبان الحرب العالمية الأولى بصورة مبدعة، ووصف المبررات التي استندت إليها انجلترا كي تفرض حمايتها على مصر. وموقف الزعماء المصريين من ذلك، كما تعرض المؤلف للتحفظات الأربعة التي صحبت انتهاء الحماية في فبراير ١٩٢٢، وتوقف عند عقد معاهدة ١٩٣٦، ومع أن كتاب الأستاذ غربال يعتبر أثرا فريدا من نوعه من حيث الموضوع وطريقة عرضه وتدعيمه بالوثائق، وكثرة التحليلات المدعمة بوجهات النظر المختلفة، التي تؤكد فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصري،

فإنه مما يؤخذ على هذا الكتاب أن صاحبه لم يتعرض كثيرا للظروف الدولية العامة ذات التأثير المباشر فى العلاقات المصرية البريطانية، وربما يكون قد أجل كتابه ذلك للجزء الثانى من الكتاب الذى كان يعتزم إصداره ولكنه لم ير النور فقد توفى دون أن ينتهى من كتابته.

وعلى كل حال ، فإن لهذه الدراسة مغزى مهما وهى أنها كانت المحاولة الأولى من جانب غربال للكتابة فى القضايا المعاصرة والتعرض للحركة الوطنية المصرية بعد أن كان القرن التاسع عشر وحده يحتل مكان الصدارة من اهتماماته.

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ألقى غربال عشرة أحاديث باللغة الإنجليزية فى البرنامج الأوروبى بالإذاعة المصرية فى عام ١٩٥٤ [١٥] عن تكوين مصر ، وفيها تحدث عن محبوبته ذات الأحرف الثلاثة وهى مصر، فأوضح أن مصر هبة المصريين لا هبة النيل كما قال هيردوت، لأن النيل الذى تقع مصر على ضفتيه قد قطع آلاف الأميال قبل أن يصل إلى مصر ومع ذلك فلا توجد غير مصر واحدة على طول مجراه، أقامها المصريون بكدهم وعرقهم، فهم الذين فلحوا الأرض وسقوها وزرعوها، وهم الذين أقاموا السدود والعمران فى شتى أرجائها، ولولا جهودهم هذه لتحولت مياه النيل إلى مستنقعات وأماكن خربة تنتشر منها الملاريا والأوبئة،

ومن هنا فإن البشر هم الذين صنعوا مصر ، وهؤلاء البشر الذين فعلوا ذلك هم المصريون.

كما أثبت غربال فى أحاديثه أيضا أن مصر مهد الحضارة التى تجمعت حولها كل الأحداث، وأن موجات الغزاة التى وفدت إليها لم تستطع أن تفت فى عضدها أو تؤثر فى شخصيتها.

ونظرا لأهمية هذه الأحاديث فقد جمعت فى كتاب صدر فى القاهرة باللغة الإنجليزية فى عام ١٩٥٥ ثم ترجم إلى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية فى عام ١٩٥٧ ، كما ترجمته «كارمن رويث برافو» الباحثة بقسم الدراسات السياسية بكلية الآداب جامعة مدريد إلى الأسبانية (١٦).

أما عن آخر ما كتبه غربال فكان بعنوان «منهاج مفصل لدراسة العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم ، وقد بين فيه العوامل التاريخية التى أثرت فى بناء الأمة العربية وحددها فيما يلى:

١- الأثر العثمانى فى الأمة العربية.

٢- الغزو الأوروبى وأثره فى الأمة العربية.

٣- التطور الداخلى للأمة العربية.

وشرح كذلك ظروف وقوع العالم العربى تحت الحكم العثمانى

والظروف التى أدت إلى الغزو الأوروبى للأقطار العربية، والنتيجة التى خرج بها غربال من دراسته لهذا الموضوع تتلخص فى أن عوامل التدافع والتصادم بين الأمة العربية والقوى الغازية لها انجلت عن ظهور النهضة العربية الحديثة ، وإلى جانب ذلك فإن لغربال جهودا كبيرة فى مجال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبخاصة فى مجال التوجيه والمراجعة والإشراف على نقل عدد من أمهات الكتب التاريخية اللازمة لتثقيف الجيل العربى وإفادة الدارسين والباحثين[١٧] كما أن له العديد من البحوث والمقالات التاريخية المنشورة فى المجلات العلمية[١٨] وفى الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية[١٩] وفى تقديمه لكتب تلاميذه وأصدقائه ، وفضلا على ذلك فله عدد كبير من الأحاديث الإذاعية فى موضوعات تاريخية متنوعة منها موضوعات فى التاريخ الإسلامى ، وسلسلة أخرى عنوانها «العالم الإسلامى من المحيط إلى الخليج» لو جمعت فى صورة مدونات لكانت تراثا ضخما من المؤلفات.

وبعد أن تعرضنا لمؤلفات غربال ، يتضح لنا مدى قدرته وتمكنه من أصول فن التاريخ، وإدراكه لحقائق تاريخ بلده، يضاف إلى ذلك أن كتاباته تتحلى بالعمق ويتجلى فيها الموضوعية وعدم إلقاء الأحكام جزافا وأنه وإن كان قد تأثر بمدرسة توينبى كثيرا فإنه لم

يخضع فى كثير من الأحيان لفلسفة تاريخية معينة ، بل كان يأخذ من كل تفسير بقدر طبيعة الدراسة التى يتعرض لها والملابسات التى تحيط بها ، وحينما يتعرض لإحدى القضايا الشائكة التى تتعدد الآراء فيها ، كان فى معظم الأحيان لا يفرض على القارىء رأيا بعينه ، بل كان يستشهد بآراء من تعرض لهذا الموضوع ليبحث القارىء معه عما هو أقرب من الموضوعية وأحيانا كان يبدى رأيه فى همس هادىء أبعد ما يكون من التكلف ، وأقرب إلى اللمسات الفكهة الإنسانية المهذبة .

وعلى كل حال لم تكن مؤلفات غربال ومصنفاته العلمية وحدها كل ما قدمه ، بل لعل أهمها تلاميذه الذين تشربوا ثمرات فكره ، ونبضات عقله فقد سأله يوما أحد الأجانب عن آخر مؤلفاته وكان فى مجلس العلم من تلاميذه فأشار إليهم قائلا :

هؤلاء هم كتبى[٢٠] .

هذا عن غربال وجهوده المتعددة فى المجالات التاريخية أما عن أنشطته العلمية الأخرى والمناصب المتعددة التى تولاها فقد انتخب شفيق غربال وكيلا لكلية الآداب فعميدا لها فى مايو ١٩٣٩ م وحتى مارس ١٩٤٠[٢١] .

وفى عام ١٩٤٠ نقل غربال من الجامعة إلى وزارة المعارف ليبدأ

مرحلة جديدة فى خدمة التربية والتعليم، وهى خدمة وطنية جليلة، وظل هناك حتى ديسمبر ١٩٤٢ يعمل وكيلا مساعدا بالوزارة، ثم عاد إلى منصبه بالجامعة لإدارة دفة المدرسة التاريخية.

وفى يناير ١٩٤٥ نقل إلى وزارة المعارف مستشاراً فنيًا فوكيلاً لها إلى جانب تعيينه أستاذا غير متفرغ بكلية الآداب فى فبراير ١٩٤٩ وأتاح له ذلك الالتقاء بطلابه والاستمرار فى مدرسته التاريخية ثم نقل وكيلاً لوزارة الشئون الاجتماعية لفترة أعيد بعدها إلى وزارة التربية والتعليم حيث نهض بنصيب كبير فى أعمال لجان المناهج بالوزارة[٢٢] .

وفى خلال عمل غربال بوزارة التربية كان له دور بارز فى حركة تمصير المقررات التاريخية بالمدارس، كما كانت الكتب الدراسية التى أسهم فى وضعها بمثابة النواة التى اهتدى بضوئها الطلاب والكتاب من بعده[٢٣] .

وإلى جانب ذلك لمس غربال عن قرب مشكلات المجتمع المصرى والحياة المصرية بشكل عام.

وقد قدم غربال للدراسات التاريخية فى مصر خدمات أخرى جليلة تمثلت فى إنشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والنهوض بها[٢٤] ، وإنشاء متحف الحضارة المصرى فى عام ١٩٤٩

وهو من أعظم مآثرنا العلمية، وكان المشرف على لجانه المختلفة يوجهها بآرائه وتحقيقاته كذلك مثل غربال الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية، فقد ترأس وفد مصر إلى الجمعية العمومية لليونسكو فى عام ١٩٤٨، وانتخب عضوا بالمجلس التنفيذى لهذه الهيئة عدة سنوات فظل يمثل الشرق الأوسط لدى هذه المنظمة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥١.

ويضاف إلى ذلك أن هيئة اليونسكو اختارته فى عام ١٩٥١ لعضوية لجنة من اثنى عشرة مؤرخا من أبرز مؤرخى العالم ليكونوا مستشارين لها فى شئون تاريخ العالم وهو مشروع المؤلف الضخم الذى تكفلت به اليونسكو.

وبالإضافة إلى ذلك كان غربال عضواً بمجمع اللغة العربية فى الفترة بين عام ١٩٥٦ وسنة وفاته(١٩٦١)، كما كان عضوا بالمجمع العلمى المصرى، والجمعية الجغرافية، والمجلس الأعلى للآثار، ومركز تسجيل الآثار المصرية القديمة، وجمعية الآثار القبطية، ولجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ورئيس الشعبة التاريخية للجنة الثقافة التابعة لجامعة الدول العربية.

هذا إلى جانب أنه رأس مجلس مديرى الموسوعة العربية الميسرة

فيما بين عامى ١٩٥٩ - ١٩٦١[٢٥] .

ورغم مشاغل غربال فى وظائفه التى استنفدت الكثير من وقته ظلت صلته بالدراسات التاريخية مستمرة واستمرت مدرسته التاريخية القائمة على حب البحث والتزام المنهج العلمى قائمة[٢٦] .

وبعد تقاعده تولى منصب مدير معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية فبعث فيه الحركة والنشاط، ووثق علاقاته بالهيئات العلمية والجامعية التى لم تعرف قبل غربال أن هناك معهدا بهذا الاسم، كما نهض المعهد فى عهده نهضة علمية كبيرة[٢٧] .

يضاف إلى ذلك أن غربال عمل على توجيه طلابه بالمعهد توجيها علميا فأخذ يشرف على عدد كبير من الرسائل التاريخية فى المعهد تتناول تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر حتى خرجت عى يديه موضوعات عن العرب والترك (١٩٠٨ - ١٩١٦) و«تاريخ الوحدة العربية حتى عام ١٩٤٥ و«المسألة المراكشية ١٩٠٢ - ١٩١٢» و «اليمن فى عهد الإمام يحى ١٩١١ -١٩٤٨» وغيرها.

وظل غربال يشغل منصبه فى هذا المعهد بجدارة وهمة حتي يوم وفاته فى ١٩من أكتوبر ١٩٦١ بعد مرض قصير لم يمهله إلا أياما

فذهب إلى جوار ربه فبكاه أصدقاؤه وتلاميذه ومقدرو علمه وعارفو فضله[٢٨].

ومما سبق يتضح أن شفيق غربال كان مؤرخا وعالما من الطراز الأول يستقرى الحضارات كما يستقرى الوثائق والنصوص، وأنه مصرى أصيل عمل في تواضع ورحابة أفق على النهوض بالدراسات التاريخية فأرسى قواعدها ، ووجهها التوجيه العلمي السليم، كما يتضح أن جهوده لم تقتصر على إنعاش الدراسات التاريخية في مصر ، بل تعداها إلى المشاركة في الحركة الفكرية بكل جوانبها وأبعادها ، ومما يحمد له أنه لم يتملق السراى الملكية كثيرا رغم إعجابه بشخصية محمد على، فكان بحق المثل الأعلى للأستاذ الجامعي الذي يحق لمصر أن تفتخر به.

الدكتور محمد صبرى السربونى
١٨٩٤(٢٩) - ١٩٧٨

محمد إبراهيم صبرى الشهير بالسربونى[٣٠] من جيل العمالقة ذلك الجيل الذى حمل راية التنوير ، وكان بمثابة المصابيح الهادية فى زمن لم يميز معظم أفراده بين النور والظلمة ولا يفرق بين النعمة والنقمة.

وقد ولد الدكتور صبرى فى مدينة المرج بالقليوبية[٣١] وتعلم فيها القراءة والكتابة ثم تلقى دراسته فى القاهرة فحصل على الابتدائية من مدرسة النحاسين ، ثم التحق بالخديوية الثانوية ، وفشل فى الحصول على البكالوريا منها ثم تحقق له ذلك عن طريق نظام المنازل.

وبعد أن حصل على البكالوريا سافر فى عام ١٩١٣ على نفقته إلى فرنسا للدراسة ، والتحق بجامعة السربون وتخصص فى دراسة التاريخ الحديث بغرض الحصول على درجة الليسانس التى كانت تكلف من يطلبونها من المصريين عناء ثقيلا خاصة وأنهم كانوا يكلفون بدراسة اللاتينية ليؤدوا فيها امتحانا تحريريا ، ولم تكن

اللاتينية تدرس فى مصر لا فى المدارس الثانوية ولا فى المدارس العالية وكان على الطلبة المصريين مجاراة زملائهم من الطلاب الفرنسيين فى هذه اللغة التى لم يسمعوا بها قبل وصولهم إلى فرنسا على حين كان الطلاب الفرنسيون يدرسونها فى مدارسهم الثانوية، ثم يدرسونها فى الجامعة قبل أن يتقدموا لامتحان الليسانس(٣٢)

وعلى أى حال فقد تقدم صبرى لامتحان الليسانس فى عام ١٩١٨ وهو نفس العام الذى تقدم فيه الدكتور طه حسين لهذه الدرجة، ونجح طه حسين ولم يوفق محمد صبرى فى هذا العام لرسوبه فى اللاتينية(٣٣).

وفى أثناء وجود صبرى فى باريس التقى بأعضاء الوفد المصرى الذى حضر إلى مؤتمر الصلح للدفاع عن حقوق مصر وعرض مطالبها، وعمل سكرتيرا لسعد زغلول فترة وجوده بباريس ثم اختلف مع الوفد وتفرغ لدراسته.

وبعد أن حصل صبرى على دكتوراة الدولة من جامعة السربون عاد إلى مصر فى عام ١٩٢٥ حيث عمل مدرسا للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا ثم فى الجامعة المصرية عند افتتاحها ونظرا لأنه كان من غير أهل الثقة لدى القصر الملكى الذى كان يكن له الكثير من الكراهية، خصوصًا وأنه كان قد قال عن الملك فؤاد بأنه ملك بلا

شعبية ـ نقل من الجامعة إلى دار العلوم فى عام ١٩٢٧ ثم ابتعد عن السلك الجامعى فعمل مديراً للبعثة التعليمية فى جنيف وتولى إدارة المطبوعات المصرية بالنيابة وفى عام ١٩٥١ عين مديراً لمعهد الوثائق والمكتبات التابع للجامعة المصرية (٣٤) .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو خرج فى حركة التطهير إلى المعاش نتيجة لاتهامه بالتزوير في نتيجة امتحان مسابقة القبول بمعهد الوثائق.

وللدكتور صبرى مؤلفات عديدة فى التاريخ والآداب والفكر وعن مؤلفاته التاريخية نذكر أن معظمها كتب بالفرنسية وقد علل الدكتور صبرى ذلك بقوله أننا إذا كنا قد أصدرنا كل كتبنا التاريخية أولا بلغة أوروبية كالفرنسية مثلا فما ذلك إلا لأن هذه اللغة لغة علمية كثيرة التداول ، ولأن الأمانة العلمية، وقوة الحكم والتقدير متوفرتان عند الأوروبيين، ولأن مصدر تشويه الحقائق ونشرها شرقا وغربا هو أوروبا نفسها[٣٥] وقد عاهد القراء على أن ينشر بالعربية كل ما كتبه بغيرها، وبدأ فعلا ينشر تاريخ الإمبراطورية السودانية ولكن يبدو أن المتاعب التى تعرض لها بعد ذلك قد جعلته يتوقف عن هذه المهمة.

وفيما يلى نعرض للمؤلفات التاريخية :

١ـ الثورة المصرية الذى صدر الجزء الأول منه بالفرنسية فى عام ١٩١٩ تحت عنوان La Révolution Egyptienne وقدم له أولار Aulard أستاذ الثورة الفرنسية بالسربون ويذكر الدكتور صبرى أنه ألف هذا الكتاب بتشجيع من سعد زغلول[٣٦]

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن صاحبه أبرز مظاهر كفاح الشعب المصرى، وتماسك وحدته الوطنية من خلال الثورة ، وأثبت الفظائع التى ارتكبها الإنجليز ضد الوطنيين المصريين، كما نشر به بعض الصور لمظاهرات النساء ورجال الدين، وجنازات الشهداء مما كان له أصداء واسعة فى الرأى العام الأوروبى.

٢ـ المسألة المصرية: وقد صدر الجزء الأول منه بالفرنسية فى عام ١٩٢٠ والجزء الثانى فى عام ١٩٢١ ، وتناول الجزء الأول القضية المصرية منذ حملة بونابرت علي مصر إلى ثورة ١٩١٩ أما الجزء الثانى فقد ركز على لجنة ملنر ومقاطعة المصريين لها وتبرز أهمية هذا الكتاب فى أن صاحبها نجح فى إبراز وجهة النظر المصرية أمام الأوروبيين.

٣ـ نشأة الروح القومية فى مصر La Genése de L'espirt na-tionnel Egyptien وهذه الدراسة هى التى حصل بها الدكتور

صبرى على الدكتوراة فى عام ١٩٢٤ من جامعة السربون، وتتجلى أهميتها فى أن صاحبها أرخ بنشأة الروح القومية فى مصر منذ عصر محمد على إلى قيام الثورة العرابية بروح وطنية ورؤية جديدة[٣٧]، فأوضح أن نشأة الروح القومية فى مصر لم تبدأ مع الحملة الفرنسية كما يزعم الكثيرون، بل إلى حركة على بك الكبير الذى أعلن انفصال مصر عن الدولة العثمانية، وحاول أن يكون تعامل الدول الأخرى مع مصر دون وسيط[٣٨]، وفتح الشام والحجاز بصفته حاكما لدولة مصر المستقلة.

٤ـ تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم، وقد صدر هذا الكتاب فى عام ١٩٢٦ وفيه ربط السياسة الإنجليزية والعثمانية والأوروبية فيما يعرف بالمسألة الشرقية، كما أوضح وجهة النظر المصرية تجاه الثورة العرابية[٣٩].

٥ـ الثورة الفرنسية ونابليون، وفيه عرض للمراحل المختلفة التى مرت بها الثورة الفرنسية، وسياسة فرنسا الداخلية والخارجية فى أثناء حكم نابليون.

٦ـ الإمبراطورية المصرية فى عهد محمد على والمسألة الشرقية L'Empire Egyptien Sous Mohamed Ali Et La Question d'orient (1811 - 1841)

وقد سجل فى هذا الكتاب الضخم المكون من حوالى ٦٠٠ صفحة أهم حقبة في تاريخ المسألة الشرقية ، تلك الحقبة التى تمكن فيها محمد على بمساعدة ابنه ابراهيم من رفع اسم مصر عالميا، وأبرز فيه دور مصر فى هذه المسألة ومحاولات انجلترا إفشال هذا الدور حتى تم عقد معاهدة لندن ١٨٤٠م.

٧ـ الإمبراطورية المصرية فى عهد إسماعيل والتدخل الإنجليزى الفرنسى L'Empire Egyptien Sous Ismail et L'ingérence Anglo francaise 1863- 1879

وقد صدر هذا الكتاب فى باريس باللغة الفرنسية عام ١٩٣٣ وفيه تحدث عن تاريخ مصر فى عصر إسماعيل، والتوغل الأوروبى فى إفريقية، وتعرض لمسألة قناة السويس من جوانبها الخفية وفى هذه الدراسة اعتمد السربونى على وثائق محفوظات سراى عابدين ووثائق الأرشيف النمساوى.

٨ـ مصر فى افريقية الشرقية ـ هرر وزيلع وبربرة.

وقد صدر فى عام ١٩٣٩ وفيه أوضح دور مصر فى نشر الحضارة والمدنية وتعاليم الإسلام الصحيحة فى هذه البلاد ، كما وقف على نتيجة مهمة، وهى أن العمران المصرى فى هذه المناطق رغم قصر حكم المصريين لها قد تفوق على العمران الإنجليزى المصرى فى

السودان رغم طول أمده .

٩ـ الإمبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر .

وترجع قصة هذا الكتاب إلى رغبة محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء فى إعداد مذكرة عن القضية السودانية، يمكنه الإستفادة منها من خلال عرضه للقضية فى مجلس الأمن ، وتكليف السربونى بإعداد هذه المذكرة التي سعد بها لأنها حسب قوله لم تكن مسألة وطنية فحسب ، بل هى أكثر من ذلك فهى أمانة علمية قبل كل شىء[٤٠] وقد تطورت هذه المذكرة وأصبحت كتابا بالفرنسية تحت عنوان «السودان المصرى ١٨٢١ ـ ١٨٩٨» ثم ترجمت بعد ذلك إلى العربية، وأضيف إليها بعض الموضوعات ، وحملت عنوان «الامبراطورية السودانية» وفى يقيننا أن عنوان هذا الكتاب يحتاج إلى إعادة نظر، لأنه لو طبقنا مقومات مفهوم الامبراطورية على السودان لما وجدنا شيئا يتسق مع هذا الاسم خاصة، وأن السودان كان جزء من ممتلكات مصر فى ذلك الوقت .

وعلى أى حال فقد بين السربونى فى هذه الدراسة الصلات الوطيدة بين مصر والسودان، وتطرق إلى الأطماع الأوروبية التى تهدف إلى السيطرة عليه، وتقطيع أوصاله، ومما يؤخذ على ما كتبه السربونى فى هذه الدراسة قوله عن التوسع المصرى فى إفريقية بأنه

احتلال وكان من الممكن أن يطلق عليه فتوحات أو توسع خاصة وأن كلمة احتلال[٤١] دائما ما تطلق على الأوروبيين الذين يستولون على البلاد الشرقية.

١٠ـ أسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨م.

أصدر السربونى هذا الكتاب بعد تأميم قناة السويس فى عام ١٩٥٦، وقد أوضح فيه أحقية سيادة مصر على القناة كما أكد أن بريطانيا هى التى خرقت اتفاقية ١٨٨٨ فى أثناء احتلالها لمصر، وأن هذه الاتفاقية كانت تعطى لمصر حقها الكامل فى القناة، وقد أهدى السربونى هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر مؤمم القناة. والغريب أن السربونى فى مقدمته لهذا الكتاب يحاول مغازلة الرئيس عبد الناصر والتقرب منه بشكل واضح فيقول يجب على الكتاب أن يحتذوا فى كتاباتهم خطب عبد الناصر فى رصانتها واتزانها[٤٢]، وقد شكره عبد الناصر على إهدائه وتمنى له التوفيق فى أبحاثه ودراساته.

١١ـ فضيحة السويس

وقد صدر فى عام ١٩٥٨ مذيلا بوثائق مهمة تدين دى لسبس وتكشف خططه، وتشير إلى المؤامرات الدولية التى حيكت ضد مصر نتيجة لعودة حقوقها فى القناة.

وإلي جانب ذلك فقد قدم السربونى للعديد من الكتب المهمة ومن أبرزها مذكرات أحمد عرابى «كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية» وكان من أوائل المصريين الذين دافعوا عن هذه الثورة وزعيمها فقال فى مقدمته للمذكرات «كانت الثورة العرابية أول حركة قومية قام بها المصريون بعد عدة قرون استسلموا فيها للغاصب حتى خيل للناس أنهم خلقوا للضيم كما خلق غيرهم للحكم والسلطان[٤٣] ومع أن هذا الكتاب صدر في عهد الملك فؤاد فلم يتورع صبرى السربونى فى مهاجمة والده إسماعيل بقوله «كان المصريون يشكون حقا من حكومة إسماعيل المطلقة التى كانت ترهقهم بضرائبها وأحكامها الجائرة[٤٤] كمااتهمه بالتفريط فى حقوق مصر بقوله «ترك إسماعيل مصر مثقلة بالديون وترك موارد البلاد ومرافقها فى قبضة الشركات الأجنبية تستغلها لحسابها، وترك الإدارة المصرية فى أيدى الأوروبيين مما جرح المصريون في عزتهم القومية».

وهكذا كتب صبرى السربونى تاريخ وادى النيل بروح وطنية خالصة، وبرؤية علمية خالية من القيود وغير مقيدة بوجهة نظر حكومية أو غيرها فكانت كتاباته ذخرا لمصر الذى دافع عن قضاياها ، ولتاريخ مصر الذى شابته بعض المؤثرات سواء من القصر

أو الأجانب، فأرخ لتاريخ مصر فى القرن التاسع عشر، ودافع عن قضايا وطنه دفاع العالم المتمكن القادر على إبراز الأحداث التى صنعت المسيرة العلمية لمدرسة التاريخ الحديث.

ولم يقتصر دور السربونى على تأليف الكتب بل كلفته الحكومة بالعديد من البحوث، منها البحث الذى كلفته به وزارة المعارف عن «نظارة حسين فخرى ومبدأ تعيين الوزراء[٤٥]»، يضاف إلى ذلك أنه قام بوضع مشروع لمرسوم ملكى عن إنشاء معهد فاروق الأول للثقافة العلمية العليا بهدف إيجاد ثقافة قومية فى البلاد تتفق مع روح العصر ومظاهر التقدم الحديث، ودراسة عبقرية الشرق وفلسفته وتاريخه وآدابه، والعناية فى الوقت نفسه بدراسة عبقرية الغرب والمقارنة بينهما.

ويبدو أن الدكتور صبرى قد قدم هذا المشروع بصفة شخصية دون أن يطالبه أحد به [٤٦]، وعرض على اللجنة القومية للاحتفالات الخاصة بذكرى محمد على الكبير المئوية ١٩٤٩ وكان مصيره الحفظ فى الأدراج المغلقة.

يضاف إلى ذلك أن السربونى كان من رواد الأدب ونقاده خاصة وأنه كان يرى فى التاريخ الأدبى استمرارا للتاريخ السياسى والاجتماعى كما أنه كان مغرما بالشعر والشعراء ومن يرجع إلى

الشوقيات المجهولة التي جمعها في جزءين كبيرين في مطلع الستينيات يشعر بأنه استملك طرائق البحث وأدواته كما أنه كان مفكراً اجتماعياً متفهماً لأوضاع زمانه، ومتشرباً لروح عصره ونتيجة لذلك تعرف على أشياخ الحركة الأدبية فتوطدت صلته بإسماعيل صبرى، وأحمد شوقى، وخليل مطران وغيرهم ومما أضافه للمكتبة الأدبية نذكر:

١ـ أدب وتاريخ

وقد صدر في عام ١٩٢٧ عن دار الكتب المصرية وهو مقسم إلى كتب، الكتاب الأول محمود سامي البارودى، والكتاب الثانى إسماعيل باشا صبرى، والكتاب الثالث تاريخ الحركة الاستقلالية في إيطاليا، والكتاب الرابع مختارات من مقالاته التي ظهرت في الصحف من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢٧، وقد نشر في مقدمة الكتاب الأول الخاص بمحمود سامي البارودى رسالة من أمير الشعراء أحمد شوقي يقرظ فيها هذا الكتاب.

٢ـ الشوامخ ، وقد صدر في أربعة أجزاء عن دار الكتب المصرية في الفترة ما بين عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ وانفرد الجزء الأول بامرىء القيس، والثانى بالشعر الجاهلي خصائصه وأعلامه والثالث بذى الرمة والرابع بأبى عبادة البحترى وقد قرظ خليل مطران شاعر

القطرين الجزء الأول من هذا الكتاب.

٣ـ شعراء العصر، وقد صدر في جزءين ما بين عامي ١٩١٠-١٩١٢.

٤ـ في السياسة والأدب والاجتماع، وقد نشر فيه أهم المقالات والأبحاث التي قام بنشرها من خلال عشرين عاما من سنة ١٩٢٧ حتى عام ١٩٤٨.

ومع كل ذلك فإن السربوني لم يتمتع بشهرة واسعة كما تمتع بها من هو أقل منه خبرة ومقدرة، ربما لأنه لم يعرف كيف يسبح مع التيار، وربما لأنه كان يدافع عما يعتقد أنه حق، ويحاول أن يأخذ الأمور عنوة واقتدارا في كثير من الأحيان مما حجب عن الكثيرين سحر شخصيته ورونقها وعطاءها، ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه من القلائل الذين اجتمعت فيهم جيل البعث الذى مهد الطريق لبناء مصر المعاصرة[٤٧] وإذا كان البعض قد أخذ عليه أنه لم يستطع تكوين مدرسة تاريخية من تلاميذه كما فعل غربال ، فالرد على ذلك أنه لم يعمل بالجامعة فترة طويلة، كما أن عمله بمدرسة المعلمين أو بدار العلوم لم يكن ليتيح له مثل هذا الأمر.

لقد تبرم السربوني بالناس في آخريات حياته، وضاق صدره بهم، وساء ظنه فيهم، وأصبح من السهل إثارته لأوهى الأسباب،

وفى مساء الأربعاء الموافق الثامن عشر من يناير ١٩٧٨ صعدت روحه إلى بارئها ومن العقوق أن يمضى منسيًا فى عصر ضل فيه الوفاء وقل الأوفياء، وفى يقيننا أن نشر مذكراته المخطوطة سيكون فيه تكريم له وإضاءة مهمة لتاريخنا المعاصر.

الدكتور محمد فؤاد محمد شكرى

١٩٠٤ - ١٩٦٣

من مؤرخى التاريخ الحديث والمعاصر المرموقين، والذين أفنوا ذاتهم من أجل ارتقاء الحركة التاريخية فى مصر شخصيات مغمورة بالنسبة لجيلنا الحالى رغم أهمية ما خلفته تلك الشخصيات من آثار امتلأت بها أرفف المكتبة التاريخية، وكل من حاول الكتابة فيها تعثر لندرة المادة العلمية التى يمكن أن يجمعها عنها ومن هؤلاء الدكتور محمد فؤاد شكرى.

ولد محمد فؤاد شكرى فى مدينة حلوان بالقاهرة فى ٢٧ من أغسطس ١٩٠٤ من أسرة حلبية الأصل قاهرية الموطن، ونظرا لوفاة والده وهو فى سن مبكرة تبناه خاله حسن بك مياس واعتنى بتربيته.

وقد تلقى الدكتور شكرى تعليمه فى مدرسة حلوان الابتدائية ومدرسة السعيدية الثانوية ثم تخرج فى مدرسة المعلمين العليا، ونظرا لتفوقه فى دراسته وحصوله على الدرجات التى تؤهله لاستكمال دراسته العليا فى الخارج أوفدته وزارة المعارف فى بعثة إلى

إنجلترا لمدة ثلاث سنوات للتخصص فى تاريخ القرون الوسطى بجامعة ليفربول بهدف اعداد مدرسين للمدارس الثانوية التابعة لوزارة المعارف[٤٨] ، وهناك استطاع أن يغير تخصصه إلى التاريخ الحديث ، وأن يحصل على الدكتوراة فى موضوع بعنوان «الرق فى السودان فى عصر إسماعيل [٤٩]» وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ وبعد انتهاء دراسته وعودته إلى مصر عمل مدرسا بمدرسة شبرا الثانوية فترة ثم نقل إلى الجامعة المصرية فى أكتوبر من عام ١٩٣٦ .

وفى عام ١٩٣٧ تقدم الأستاذ محمد شفيق غربال رئيس قسم التاريخ بمذكرة إلى عميد كلية الآداب يقترح فيها ترقية الدكتور شكرى إلى درجة مدرس فئة (أ) نظراً لأنه يؤدى عمله فى الكلية بكل أمانة و إخلاص [٥٠]»

وقد وافق مجلس الكلية على هذا الاقتراح، واستمر الدكتور شكرى يزاول عمله بالجامعة باحثًا ومعلمًا حتى حصل على درجة الأستاذية فى عام ١٩٥٢ وفى خلال تلك الفترة ضم إلى الوفد المصرى كمستشار للقضية الليبية من خلال عرضها على هيئة الأمم المتحدة كما انتدب للعمل مع وزارة الخارجية فى خلال فترة تحرير ليبيا.

وقد جمع الدكتور شكرى إلى جانب غزارة المادة عمق الفكرة

وأصالة الرأى لا يقتنع بالسطحية فى معالجة الأمور، وإنما يغوص فى أعماق المادة العلمية ليخرج بالثمين من الأفكار وإلى جانب ذلك كان أستاذا معلما بكل معانى الكلمة يوجه تلاميذه بالرأى السديد والعلم الواسع والخبرة الأصيلة، يعرض فكره ورأيه فى حرية، ويدير المناقشات والجلسات العلمية والتى كان يحضرها لفيف من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد ظهر كل خميس يضيف من خلالها من علمه ما يفتح الآفاق بين الباحثين (٥١).

وحول منهجه ورأيه فى دور المؤرخ وفلسفة التاريخ يرى الدكتور شكرى أن مهمة المؤرخ تنبع من تحرى الحقائق أولاً وذلك عن طريق أن يكلف المؤرخ نفسه مشقة التنقيب عن تفاصيل ودقائق الوقائع التى يريد أن تستند عليها أحكامه ، أو يجرى عليها تعليقاته حتى يستطيع ربطها ربطًا صحيحًا (٥٢).

وبالنسبة لتفسير التاريخ وفلسفته فإنه يرى أن تفسير التاريخ عملية مستمرة، وذلك فى ضوء ما هو متجدد دائما من تيارات فكرية ناشئة من تراكم الحقائق المستكشفة من بطون الوثائق والأسانيد والتى هى كذلك منبعثة من تطوير المجتمع فى شتى مناحيه(٥٣) .

وعن فلسفة التاريخ فهو يرى أنها تعنى التفسير السليم

والصحيح الذى يجعل ممكنا إدراك الغاية من الأحداث التى وقعت، ولا يجب إطلاقا أن تكون مجرد استصدار أحكام مبسترة أو إبداء ملاحظات وآراء سريعة قد تكون عليها مسحة من الطرافة فى بعض الأحيان ولكنها فى كثير من الأوقات تكون متعارضة مع الحقيقة(٥٤).

وحول هذا المنهج خرجت على يدى الدكتور شكرى عشرات الرسائل العلمية الجادة والمتنوعة فى موضوعاتها واتجاهاتها، والعديد من المؤلفات التى يشار إليها بالبنان.

ومن الرسائل العلمية التى أشرف عليها الدكتور شكرى نذكر رسالة مصطفى أبو حاكمة للماجستير (دراسة علاقة فلسطين بمشروعات محمد على وإبراهيم فى الشام» (٥٥)ورسالتى محمد عبد الرحمن برج للماجستير والدكتوراة «حياد قناة السويس، منشأ فكرة الحياد وتطورها من وقت الامتياز الأول لنهاية الحرب العالمية الأولى ١٧٥٤ - ١٩١٩ (٥٦) » و«أهمية قناة السويس الاستراتيجية والسياسية وتأثيرها على العلاقات بين مصر وبريطانيا ١٩١٥ - ١٩٥٤ (٥٧) » ورسالتى السيد محمد رجب حراز للماجستير والدكتوراة «انتشار النفوذ الإيطالى فى ساحل البحر الأحمر العربى والسودان الشرقى وإفريقيا الشرقية فى القرن التاسع

عشر وتأسيس مستعمرتى أرتريا والصومال [٥٨] و«انتشار النفوذ البريطانى فى شرق افريقيا ووسطها فى القرن التاسع عشر [٥٩] » ورسالة يوسف خليل جاد الله للدكتوراة «تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢ ـ ١٩١٩ [٦٠] » ورسالة محمود حلمى مصطفى للماجستير «التنظيمات الإدارية والحكومية وتأثيرها فى مصر فى الفترة ما بين ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ [٦١] » ورسالة محمد صديق سلجوقى «تأسيس دولة الأفغان الحديثة [٦٢] » ورسالة ليلى الصباغ للماجستير «احتلال العثمانيين لسوريا وبداية سوريا العثمانية [٦٣] » ورسالة نصيف صليب للدكتوراة «تاريخ العلاقات بين مصر وأثيوبيا وأثرها على السودان الشرقى فى الفترة ١٨٦٢ ـ ١٨٧٩ [٦٤] » ورسالة أحمد فريد على للدكتوراة «تاريخ العلاقات المصرية الإنجليزية وأثرها فى تطور الحركة الوطنية ١٩١٤ ـ ١٩٥٢ [٦٥] ».

وبالنسبة لمؤلفات الدكتور شكرى العديدة والمتنوعة فتشمل خمسة عشر كتابا منها خمسة فى تاريخ مصر وخمسة فى تاريخ السودان وثلاثة فى تاريخ أوروبا واثنان فى تاريخ ليبيا وفيما يلى نعرض لبعضهم :

١ ـ عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر [٦٦].

وقد أوضح الدكتور شكرى فى هذه الدراسة أن الحملة الفرنسية

على مصر كانت أول تجربة استعمارية من نوعها قامت على أسس مغايرة لتلك التى شيدت عليها الدول الاستعمارية فى السنوات السابقة مستعمراتها وأنها كانت أول تجربة للحكم الأجنبى الأوروبى صادفتها مصر فى القرن التاسع عشر، كما عنى بإبراز شخصية جام مينو الذى اكتملت فى عهده المشاريع والنظم الاستعمارية الفرنسية الجديدة ومدى رد الفعل الذى حدث بين المصريين نتيجة لأساليب الحياة الجديدة التى شاهدوها.

والمتفحص لهذه الدراسة يرى أن المؤلف قد عنى باستقصاء الحقائق التى اتصلت بأصول هذه الحملة وتعمق فى بحث النتائج التى ترتبت عليها، هذا إلى جانب اعتماده على مجموعة من الوثائق والأسانيد الأصلية التى لم يسبقه أحد إلى نشرها.

والشيء اللافت للانتباه والمضحك المبكى فى نفس الوقت قيام دار الفكر العربى بنشر هذا الكتاب عند وفاة صاحبه بعنوان آخر هو «الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر» وتقديم الدكتور بدوى عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين جامعة الأزهر له.

٢-الحملة الفرنسية وظهور محمد على (٦٧).

وقد ربطت هذه الدراسة تاريخ الحملة الفرنسية على مصر بتاريخ

الاستعمار الفرنسي الحديث وأبرزت ما أحدثته هذه الحملة فى حياة الشعب المصرى من تغييرات متعددة ، وتطرقت إلى الأسباب التى أدت إلى فشل هذه الحملة ، كما تعرضت للطريقة التى وصل بها محمد على إلى حكم مصر ، واستغلاله لكافة الظروف التى مكنته من الاستئثار بها .

٣ـ مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ ـ ١٨١١ (٦٨)

وتتناول هذه الدراسة تاريخ مصر من خلال السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر أى منذ خروج الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٨٠١ إلى قيام مذبحة القلعة فى عام ١٨١١ .

وقد أرجع الدكتور شكرى سبب اختياره لهذه الفترة إلى أنها مليئة بالأحداث ذات الأثر الحاسم فى تاريخ مصر حيث شهدت بداية التنافس الإنجليزى الفرنسى على الاستئثار بالنفوذ السياسى فى مصر .

وقد قسم الدكتور شكرى دراسته إلى ثلاثة أجزاء شمل الجزء الأول منها فترة الفوضى السياسية بعد خروج الفرنسيين من مصر وظهور محمد على ، وتناول الجزء الثانى ولاية محمد على ، والمشاكل التى واجهته فى بداية حكمه ، وتطرق إلى حملة فريزر على مصر وفشلها ، أما الجزء الثالث فتناول سياسة محمد على بعد

انفراده بالسلطة ووصوله إلى منصب الباشوية، ودعم أركان حكمه بإقصائه للمشايخ والقضاء على المماليك.

٤ـ بناء دولة مصر محمد على ـ السياسة الداخلية (٦٩)

وقد عالج هذا الكتاب سياسة محمد على الداخلية، وأحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والحربية في عهده في محاولة لاستجلاء الجوانب الغامضة واستكمال ما أغفلته المؤلفات الأخرى، ومناقشة ما ورد فيها من آراء.

وإلى جانب ذلك يشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الوثائق التاريخية الأصلية التي ترسم صورة واضحة لأحوال مصر في ذلك الوقت ومن أهمها تقرير الدكتور بورنج Bowring الخبير البريطاني بشئون الشرق الأوسط والمستخرج من سجلات مجلس العموم المحفوظة في Public Record office والذي يقدم مادة طيبة للمؤرخ حول عصر محمد على.

٥ـ ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها (٧٠)

ويرجع تأليف هذا الكتاب إلى أن الدكتور شكري شهد مولد دولة ليبيا عن كثب وأسهم بنصيب كبير في النشاط السياسي الذي كان يتوقف نجاحه أو إخفاقه على ظفر القطر الليبي بوحدته واستقلاله أو حرمانه منها، وكان لزاما عليه أن يعرض للحقيقة

والتاريخ كل ما لديه من وثائق وأسانيد للإحاطة بالتيارات والدوافع التى ساعدت على تشكيل كل ما وقع من حوادث فى تلك الفترة.

٦ـ السنوسية دين ودولة [٧١]

وقد حاول الدكتور شكرى فى هذه الدراسة إثبات الدور المهم المؤثر الذى قامت به هذه الحركة الدينية فى ليبيا سواء فى الدين أو السياسة، فقد عملت على اقتفاء أثر السلف الصالح بتعميم التعليم الدينى ووسيلتهم إلى ذلك إنشاء الزوايا التى تعد بمثابة دور عبادة ومراكز حياة وعمل ونظام، بمعنى أن هذه الدعوة لم تقتصر على العبادة والتصوف بل دعت أيضا إلى العمل المنتج والنشط حتى يعيش أفرادها من كدهم وعرقهم، كما تعرضت هذه الدراسة أيضا لوقوف السنوسيين ضد بعثات التنصر والمحاولات الاستعمارية للهيمنة على البلاد الإسلامية.

٧ـ مصر والسيادة على السودان ـ الوضع التاريخى للمسألة[٧٢]

وفى هذه الدراسة تناول الدكتور شكرى العلاقات المصرية السودانية منذ الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على إلى عقد الوفاق الثنائى بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ وفى ثنايا ذلك حاول إزالة ما علق بالأذهان عن مساوىء الحكم المصرى فى السودان مستندا فى ذلك على الوثائق والأسانيد التى لا تنفى ذلك فحسب،

بل أنها لتدل دلالة واضحة على أن حكم المصريين للسودان كان عادلا يهدف إلى تحقيق الخير للسودانيين، والسير بهم إلى مراقى التقدم والحضارة.

ومع كل ذلك و رغم غزارة المادة العلمية فى هذا الكتاب فيبدو أن الدكتور شكرى لم يكن موفقا فى اختياره لعنوان الكتاب، خصوصا وأن كلمة السيادة تعد كريهة لدى أبناء مصر والسودان على السواء وشعوب الأرض قاطبة.

٨ـ مصر والسودان ـ تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ ـ ١٩٨٨ (٧٣)

وتتناول هذه الدراسة تاريخ وادى النيل شماله وجنوبه وذلك منذ أن تأسست الوحدة السياسية فى مطلع القرن التاسع عشر إلى الاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢ وضياع السودان ثم استرجاعه وإنشاء نظام الحكم الثنائى فى السودان بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ ، تلك الاتفاقية المشهورة التى هولت انجلترا رسميا حق الاشتراك فى إدارة شئون الحكم فى السودان ورفع العلم الإنجليزى إلى جانب العلم المصرى، وتعيين حاكم عام للسودان بناء على طلب الحكومة البريطانية مما أدى إلى استنكار مصر لتلك الاتفاقية وسخط الصحف العربية على ما اعتبرته سلبا

لحقوق مصر الإدارية في السودان.

والكتاب في مجمله يسجل أحداث البلدين الشقيقين بطريقة علمية مؤيدة بالوثائق والأسانيد.

٩ـ الصراع بين البرجوازية والإقطاع ١٧٨٩ - ١٨٤٧ (٧٤)

وقد عالج الدكتور شكرى في هذه الدراسة المكونة من جزئين، الصلة بين منشأ الفكرة القومية والمذهب الحر من ناحية البرجوازية أو الطبقة المتوسطة التى خاضت غمار نضال عنيف ضد الإقطاعيين والحكومات المطلقة السلطة والطبقات الإرستقراطية في المجتمع الأوربى من ناحية أخرى، كما أوضح أن الثورة الفرنسية وإمبراطورية نابليون كانتا بمثابة التجربة الحاسمة لاختبار قدرة البرجوازية على الوصول إلى قمة السلطة، وتحطيم بقايا الإقطاع في كافة أنحاء أوروبا، ثم تعرض للأسباب التى أدت إلى سقوط الإمبراطورية النابليونية وبعث الملكية والنظام الإقطاعى من جديد، والذى كان يمثل نظامه أصدق تمثيل الوزير النمساوى مترنخ.

والكتاب في مجمله محاولة جادة لسد فراغ في المكتبة العربية حول دراسة تاريخ أوروبا القرن التاسع عشر على يد أستاذ متخصص خاصة وأن الاعتقاد السائد بين أساتذة الجامعات المصرية وقتذاك هو أن الأووروبيين أولى وأحق بتدوين تاريخهم مما جعل معظمهم

يؤثرون النقل والترجمة على التصنيف والتأليف.

واستمر الدكتور شكرى فى إثراء المكتبة التاريخية العربية حتى أصيب بتصلب فى الشرايين، وأقعده مرضه الشديد عن مزاولة عمله، ورغم أن مجلس الجامعة وافق على سفره للعلاج فى الخارج فإن اللجنة الطبية بوزارة الصحة رأت أن علاجه متوفر فى مصر ولا داعى لسفره، وحددت له مبلغا لمساعدته على تكاليف العلاج، وبعد أن نفد هذا المبلغ لم يجد الدكتور شكرى ثمنا للدواء ، ولم تمهله منيته ليستكمل دراساته فانتقل إلى جوار ربه فى ٢٤ / ١١ / ١٩٦٣ بعد حياة علمية حافلة، ورغبة من جامعة القاهرة فى مساندة أحوال أسرته المعيشية قامت بشراء مكتبته الزاخرة بألف من الجنيهات ، ولكن مع الأسف قامت مصلحة الضرائب بحجز جزء كبير من هذا المبلغ.

ورغم أنه كان يجب على الجمعية التاريخية - التى تمثل المؤرخين المصريين على كافة اتجاهاتهم - القيام بتأبينه بشكل يتلاءم مع مكانته العلمية ، فإن شيئا من ذلك لم يحدث واقتصر الأمر على نعيه فى سطور قليلة ومقتضبة فى المجلد الحادى عشر للمجلة عام ١٩٦٣ (٧٥) على حين قامت الجمعية بتأبين غيره من المؤرخين بما يتناسب مع مكانتهم.

وقد يجرنا ذلك إلى التطرق للحديث عن الموضوعية والذاتية لدى بعض المؤرخين وهل العلاقات الإنسانية والخلافات الشخصية مع الآخرين يمكن أن تطغى على ما عداها من الأمور أم أن موضوعية المؤرخ تقتضى تجرده من العواطف الذاتية والتحيز الشخصى.

الواقع أن خلافات الدكتور شكرى مع الأستاذ غربال وتلاميذه من المؤرخين كان لها أكبر الأثر فى ابتعاد شكرى عن أنشطة الجمعية التاريخية ، وفى عدم حصوله على حقه من التكريم ليس فى حياته وحسب بل بعد مماته أيضا.

وهكذا طويت سيرة عالم ضليع، وأستاذ كرس حياته لخدمة الحركة التاريخية تأليفا وتدريسا وكان جزاؤه النكران، وعلى أى حال فقد خسرت الجامعات المصرية والعربية بوفاته خسارة جسيمة.

الدكتور حسن عثمان

١٩٠٨ ـ ١٩٧٣

يمثل الدكتور حسن عثمان نمطا فريدا من المؤرخين المصريين فقد كان فنانا بالدرجة التى كان بها مؤرخا وأديبا ، عشق عصر النهضة الأوروبية ، وقد أدى عشقه وتعلقه بهذا العصر إلى إيجاد مدرسة مصرية متميزة فى الأدب الإنسانى والفنى والاجتماعى ، مدرسة تقوم على المنهج العلمى فى التاريخ وتدعو إلى الجمع بين الفن والأدب والتاريخ وإدخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الموسيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة فى كليات الآداب بهدف خدمة الدراسات الإنسانية والتى من بينها التاريخ[٧٦] .

وإلى جانب ذلك كان حسن عثمان من الرعيل الأول الذى أبرز أهمية ترجمة المؤلفات التاريخية من الإيطالية إلى العربية وجعلها من اهتمامات الباحثين .

تلقى حسن عثمان دراسته الجامعية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ونهل من ينابيع العلم على يد الرعيل الأول من علماء

مصر، وقد عرف من خلال دراسته باجتهاده وإخلاصه ونشاطه الدائب فى طلب العلم، وإلى جانب ذلك كان يتصف بعدة صفات كريمة لعل أبرزها عزة النفس وآنفة الطبع، ولم يكن حصوله على الليسانس فى التاريخ بدرجة الامتياز فى عام ١٩٢٢ إلا ثمرة لكفاحه من أجل الوصول إلى التفوق، ورغم ذلك عين فى السنة نفسها مدرسا بمدرسة إمبابة الابتدائية بالجيزة [٧٧] ثم حصل حسن عثمان على درجة الماجستير بإشراف شفيق غربال فى عام ١٩٣٤ فى موضوع كان يبدو غريبا فى ذلك الوقت وعنوانه «فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان» وكان بذلك أول من نال درجة الماجستير فى التاريخ الحديث بالجامعة المصرية وبعدها أرسل فى بعثة إلى إيطاليا فى عام ١٩٣٥م للحصول على الدكتوراة فى تاريخ الشرق الأدنى من جامعة روما وكانت بعثته هذه موفقة غاية التوفيق، خاصة وأن البعثات فى ذلك الوقت كانت مقصورة على انجلترا وفرنسا ، وبعد أن درس اللغة الإيطالية استهوته مظاهر النهضة الإيطالية وآدابها وفنونها فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر[٧٨] فدفعه ميله إلى الأدب والفن إلى دراسة «دانتى» أحد أعلام عصر النهضة الإيطالية[٧٩] ولكن أستاذه لم يوافقه على ذلك فى أول الأمر لسببين:

١- سوء تقدير الجامعة المصرية للدكتوراة الإيطالية.

٢-أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث هو مجال بعثته.

ولكن هذه المعارضة لم تستمر طويلا ، فبعد أن أرسل حسن عثمان إلى أستاذه غربال ترجمته للجحيم ، بدأ يتفهم مدى شغف تلميذه بدراسة تراث «دانتي» ومبلغ معاناته في إتمام هذا العمل فكتب إليه في السادس من نوفمبر ١٩٥٩ يقول «كنت سعيدا من أجلك - فقد لقيت على ما يظهر الكثير من أجل «دانتي»، وإن إتمام العمل الذى يصحب الإنسان عمرا نوع من فك الرقبة - فهنيئا لك نعمة الحرية، وبقى - بعد أن تتم ما تبقى من «دانتي» أن تدخل (فى اعتبارك) ما اكتسبت من نظرته للإنسان ، وعلى كل حال فلكل يوم شأنه، ولنجعل اليوم يوم ارتياح لشأن تم وللغد شئونه[٨٠].

وحصل حسن عثمانه على الدكتوراة من جامعة روما فى ديسمبر ١٩٣٨ ، وعين فى أعقابها مدرسا مساعدا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وبقى كذلك حتى نقل إلى كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى عام ١٩٤٢ ليشغل وظيفة مدرس فى التاريخ الحديث، وفى مارس ١٩٤٧ رقى إلى وظيفة أستاذ مساعد وبقى بها إلى أول ديسمبر ١٩٥٠ ، ثم نقل إلى معهد الدراسات السودانية بجامعة القاهرة أستاذا لكرسى تاريخ السودان وآثاره.

وفى عام ١٩٦٤ تولى منصب رئيس المعهد، وبقى إلى أن أحيل إلى المعاش فى عام ١٩٦٨ ، وظل يشغل وظيفة أستاذ تاريخ السودان حتى وفاته فى ٢٩من أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أشرف الدكتور حسن عثمان على عدد قليل جدا من الرسائل وبخاصة فى أثناء عمله بمعهد الدراسات الإفريقية نذكر منها الرسالة التى أعدها «جميل اسحق عبيد» للدكتوراة وعنوانها مديرية خط الاستواء فى الفترة من ١٨٩٢ - ١٩٦٣ .

وللدكتور حسن عثمان العديد من المؤلفات المتنوعة باللغات العربية والإيطالية والإنجليزية وإن كان معظمها يدور حول الشاعر الإيطالى «دانتى» وتلك الأبحاث هى:

١ـ البحر الأحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والمماليك.

٢ـ دير الأنبا أنطونيوس

وقد نشر البحثان فى كتاب بعنوان «رحلة كلية الآداب إلى ساحل البحر الأحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلى برياسة الأستاذ شفيق غربال».

٣ ـ «كيف يكتب التاريخ»، سبع مقالات بمجلة الرسالة[٨١] .

٤ـ البحر مناجاة أدبية[٨٢] .

٥ـ فخر الدين الثانى أمير لبنان وبلاط تسكانا (١٦٠٥ ـ ١٦٣٥) عرض ونقد كتاب الأب بولس قرالى مع تقديم وثائق جديدة لم تنشر عنه[٨٣].

٦ـ سافونا رولا (أربع مقالات)[٨٤].

٧ـ سوريا ولبنان فى التاريخ المعاصر ـ عرض ونقد لكتاب ألبرت حوارنى[٨٥].

هذا عن أبحاثه ودراساته المتنوعة، أما أبحاثه عن «دانتى» فهى كثيرة نذكر منها:

١ـ دانتى اليجييرى: حياته وشخصيته[٨٦].

٢ـ فرنتشسكا دار يمينى عند دانتى اليجييرى ـ ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من «الجحيم[٨٧]»

٣ـ فاريثاتا دلى أوبرتى وكاڤالكانتى دى كاڤالكانتى فى جحيم دانتى ـ ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم[٨٨].

٤ـ أوجو لينو دى لاجيرار دسكا فى جحيم دانتى ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم[٨٩].

٥ـ الأنشودة الخامسة من مطهر دانتى، ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من المطهر[٩٠] وإلى جانب ذلك كان لقيام

حسن عثمان بالتدريس فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية أثره فى دراسته للكوميديا الإلهية إذ أخذ يهتم بإبراز ما ذكره دانتى عن إفريقية، ونتيجة لذلك كتب ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع، أولها «إفريقية فى جحيم دانتى» وقد قام فيه بترجمة بعض النصوص الواردة فى هذا الموضوع وقدم لها بالعديد من التعليقات والشروح(٩١).

أما الثالث فكان بعنوان «إفريقية فى فردوس دانتى» وهو عبارة عن ترجمة لبعض النصوص من الفردوس وتحليلها والتعليق عليها.

وكتب الدكتور حسن عثمان بحثا بالإنجليزية بعنوان

Dante in Arabic , In the seventy third annual report of the Dante society of America. Widener library, Harvard University, Cambridge Massachuseets U.S.A, 1955.

كما كتب مقدمة بالإيطالية والعربية لكتاب الأستاذ «طه فوزى» عن دانتى اليجييرى الذى صدر فى القاهرة

Dante eil Mondo Arabo, Nella Rivista "Fattie Notizia" de lla pirelli agosto 1967.

أما الكتب التى ألفها أو ترجمها فهى:

١ـ رسالته للماجستير المعنونة «فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان» نوقشت بالجامعة فى عام ١٩٣٤ ولم تنشر حتى الآن.

2- Fakhr-ud - Din II Emero del libano ele sue Rela Zionicon l'occidente, con documenti Inediti, P. 1 Roma , 1938.

وهى رسالته للدكتوراة التى حصل عليها من جامعة روما فى عام ١٩٣٨ ولم تنشر إلى الآن[٩٣] .

٣ـ تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) وقد نشره بالاشتراك مع الأستاذ محمد محمد توفيق فى كتاب «المجمل فى التاريخ المصرى[٩٤] الذى أصدره بعض أعضاء هيئة التدريس[٩٥] بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فى عام ١٩٤٢ وفيه تعرض إلى الفتح العثمانى لمصر، والحكومة والإدارة فى مصر العثمانية، وبعض النواحى فى تاريخ مصر العثمانى.

٤ـ منهج البحث التاريخى وقد صدرت منه طبعات عديدة كان أولها فى عام ١٩٤٣ ، وهذا الكتاب من المؤلفات ذات الأهمية القصوى لدى الباحثين، وخاصة أن صاحبه اعتمد فيه على خلاصة ما ورد فى العديد من المؤلفات الأوروبية والأمريكية والعربية الخاصة بمناهج البحث، كما أنه استرشد فيه ببعض ما كتبه علماء المسلمين

في الرواية والحديث.

٥ـ سافونا رولا: الراهب الثائر، وقد صدر عن دار الكاتب المصرى بالقاهرة فى عام ١٩٤٧ وحاز به صاحبه على جائزة الدولة فى عام ١٩٤٩م.

٦ـ على أن أهم عمل قام به حسن عثمان هو ترجمته للكوميديا الإلهية والتى قام بنشرها فى الفترة من ١٩٥٩ ـ ١٩٧٢ وقد صدر منها.

أ ـ النشيد الأول «الجحيم» فى عام ١٩٥٩.

ب ـ النشيد الثانى «المطهر» فى عام ١٩٦٤.

جـ النشيد الثالث «الفردوس» فى عام ١٩٧٢.

وقد زودت هذه الترجمات بمقدمة وتحليل وشروح وتعليقات.

بطريقته فى ترجمة الكوميديا، هى أن يجمع فى النص المترجم بين روح البيان العربى والمحافظة على المعنى.

ونتيجة للجهود المضنية التى بذلها الدكتور حسن عثمان وبخاصة فى ترجمة أمهات الأدب الإيطالى ـ فى مجال الدراسات الدانتية ـ إلى العربية حصل على العديد من الجوائز منها.

١ـ ميدالية «أوسكار دا ماليا» الذهبية الدولية فى عام ١٩٦٥ بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لميلاد دانتى (بالاشتراك مع أساتذة

آخرين)

٢ـ جائزة الدولة التشجيعية فى فن الترجمة مع وسام المعارف من الدرجة الأولى.

٣ـ جائزة اللجنة الوطنية الإيطالية الدانتية من فلورنسا فى ٣٠ من ابريل ١٩٦٦ .

٤ـ جائزة وزارة الخارجية الإيطالية فى روما فى ٢٨ من يوليو ١٩٦٦.

٥ـ الميدالية الذهبية من المجمع العلمى للعلماء الدانتيين فى روما فى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ (بالاشتراك مع أساتذة آخرين) .

٦ـ الميدالية الذهبية من «جمعية دانتى اليجييرى» فى بالرمو فى ١٥ من ديسمبر ١٩٦٦ .

٧ـ الدكتوراة الفخرية من جامعة بالرمو بصقلية فى ٨ من مايو ١٩٧٣.

وإلى جانب ذلك اشترك الدكتور حسن عثمان فى العديد من المؤتمرات الدولية منها :

١ـ المؤتمر الدولى الدانتى فى فلورنسا فى أبريل ١٩٦٥ .

٢ـ المؤتمر الدولى الدانتى فى افينون فى أكتوبر ١٩٦٥ .

يضاف إلى ذلك أنه كان عضوا فى العديد من الجمعيات العلمية

نذكر منها عضويته بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وجمعية دانتي بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة، وعضويته الفخرية فى المجمع العلمي للعلماء الدانتيين في روما[٩٦].

وكانت آمال الدكتور حسن عثمان العلمية كبارا، فقد كان ينوى قبل وفاته أن يفرغ للقيام بدراسة عن العلاقة بين الموسيقى والأدب في عصر دانتي، ومن المشروعات التى راودته، وشغلت تفكيره أيضا ترجمة أعمال بترارك، ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق شيئا من ذلك.

وتقضى مشيئة الله أن تنعيه مصر فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ فى خلال انتصاراتها فى معارك اكتوبر، وفى يوم وداعها لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فيضيع نبأ وفاته فى زحمة الأحداث[٩٧].

الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

١٩٠٩ - ١٩٨٠

ولد الدكتور عزت عبد الكريم فى شبين الكوم محافظة المنوفية فى ١٩ من يونية عام ١٩٠٩ وأتم تعليمه الابتدائى بمدرسة قنا الابتدائية عام ١٩٢٢ والثانوى بمدرسة الزقازيق الثانوية فى عام ١٩٢٦ حيث حصل على شهادة البكالوريا (أدبى) وفى أعقاب ذلك التحق بكلية الآداب قسم التاريخ بالجامعة المصرية ورغم أن الدراسة ، لم تكن سهلة هينة فى مطلع حياة كلية الآداب فقد بز أقرانه فى الدراسة ، خاصة وأنه كان أسبقهم فى ارتياد المكتبة بعد انتهاء المحاضرات فى كل يوم، وظلت المكتبة والاطلاع فيها جزء لا يتجزء من حياته، كذلك كمنت فيه منذ دخوله الجامعة بذرة الفكر العميق، وظلت البذرة تؤتى ثمرها على مدى الأيام[٩٨].

وبعد تخرجه من كلية الآداب فى عام ١٩٣٠ حصل على دبلوم معهد التربية فى عام ١٩٣٣ ثم تابع دراسته العليا فحصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٣٦ بإشراف الأستاذ محمد شفيق غربال وكان موضوع رسالته «تاريخ التعليم فى عصر محمد على»

ثم كان أول من ينال درجة الدكتوراة في التاريخ من خريجي الجامعة وكان ذلك في عام ١٩٤١ وكان موضوع رسالته «تاريخ التعليم في مصر منذ أواخر عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق» وكانت بإشراف غربال أيضا فأغنى ذلك المكتبة العربية بأضخم بحث في تاريخ التعليم أصبح المرجع الأول في ذلك الحقل في شتى الجامعات.

وقد عمل عزت عبد الكريم بالتدريس في جامعة فؤاد الأول منذ ١٩٣٨ ثم نقل إلى جامعة إبراهيم باشا الكبير (عين شمس) منذ إنشائها في عام ١٩٥٠.

وقد اجتمعت في عزت عبد الكريم كل سمات المؤرخ من حيث يقظة الضمير العلمي، وعدم التحيز و وسماحة النفس وإدراك المواقف والربط بين الأحداث ، وحس المؤرخ يضاف إلى ذلك نبل خلقه، وذكاؤه المتوقد، وكل هذه الصفات جعلت منه ينبوعا دافقا من العلم والخلق ، وسفرا شع ضياؤه على المدرسة التاريخية الحديثة فلا غرو إذا أحاطه تلاميذه بهالة مضيئة من مشاعر الحب والتقدير ، سواء في ذلك من تلقوا عنه، ومن قرأوا له، ومن اتصلت أسبابهم بأسبابه، ومن أفادوا منه عن قرب في محاضراته أو عن بعد في كتبه وأبحاثه.

ونتيجة لذلك دعى للتدريس وإلقاء المحاضرات ومناقشة الرسائل

الجامعية في كثير من الجامعات العربية والأجنبية في دمشق، وبنغازى، والخرطوم، وبيروت ، والكويت، ووهران، فأكسبه هذا سمعة علمية مرموقة في مختلف المؤسسات العملية العربية، وعمل أستاذا زائرا في جامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٢ وأتيح له حضور عدد من المؤتمرات العلمية في التاريخ: مؤتمر التاريخ والآثار في المغرب عام ١٩٥٨ ومؤتمر التاريخ الآسيوى في الهند عام ١٩٦١ ومؤتمر التاريخ الدولى في بغداد عام ١٩٧٣[٩٩] ومؤتمر الحضارة العربية بالجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٥[١٠٠].

هذا بالإضافة إلى قيامه بالتدريس بمعهد البحوث والدراسات العربية منذ إنشائه ، وفي كل هذه المجالات تميز الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بسمات الأستاذ العالم من اهتمام بمحاضراته وبحوثه، وتوثيق علاقته الأبوية بطلابه الذين ترك فيهم آثارا باقية كان يغذيها استمرار صلاته بهم بعد التخرج من الناحية العلمية والناحية الاجتماعية.

ولعل ما يضاف إلى رصيده العلمي، إنشاءه لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس في عام ١٩٥٥ للإشراف المتواصل على أبحاث تلاميذه بالدراسات العليا، وتدريبهم على أصول البحث

العلمي وتوجيههم إلى المادة التاريخية الأصيلة ، وبقى مواظبا فى شتى الظروف على عقد هذه الجلسة العلمية مساء كل يوم خميس، حتى صار السمنار الذى يحمل اسمه سمة مميزة وبارزة فى مجال العلاقات الجامعية والعمل العلمي، وصار له فى مختلف الجامعات المصرية والعربية تلاميذ ومريدون يشغل معظمهم منصب الأستاذية فى هذه الجامعات .

وقد وجه الدكتور عزت عبد الكريم تلاميذه فى الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر ومن الرسائل التى خرجت على يديه فى هذا المجال نذكر : رسالتى الدكتور عبد العزيز نوار للماجستير والدكتوراة «داود باشا والى بغداد ١٨١٦ - ١٨٣١ و«تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ١٨٣١ - ١٨٧٢ » ورسالتى الدكتور جمال زكريا قاسم للماجستير والدكتوراة «دولة البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٦٨١ - ١٧٤١ ورسالتى الدكتور السيد مصطفى سالم للماجستير والدكتوراة «اليمن فى عهد الإمام يحيى» و«الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ - ١٦٣٥ ورسالتى الدكتور يونان لبيب رزق للماجستير والدكتوراة «العلاقات الخارجية للدولة المهدية فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى» و«السودان فى عهد

الحكم الثنائى الأول» ورسالة عمر على إسماعيل للماجستير «انهيار الأسرة القرمانية في ليبيا ١٨٢٧ ـ ١٨٣٥م».

وإلى جانب ذلك فقد شجع الدكتور عزت تلاميذه على طرق تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى والاهتمام بدراسة البناء الاجتماعى للأمة المصرية فى العصر الحديث فكتب رؤوف عباس الحركة العمالية فى مصر «١٨٩٩ ـ ١٩٥٢» للماجستير والملكيات الزراعية الكبرى وأثرها فى المجتمع المصرى ١٨٣٧ ـ ١٩١٤ للدكتوراة ، وكتب محمود متولى الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها.

ومما يجدر بالذكر أيضا أن الدكتور عزت عبد الكريم أسهم اسهامات جادة منذ سنوات طويلة فى إعداد المناهج التاريخية للمدارس الثانوية فشارك فى وضع بعض الكتب المدرسية وكان أهمها كتاب فى «تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر»، والكتاب الذى شارك الدكتور البطريق والدكتور أبو الفتوح رضوان فى تأليفه تحت عنوان «تاريخ مصر الحديث» والذى كان جديدا إذا ما قيس بكل الكتب المدرسية التى كتبت قبله[١٠١].

وفى مجال التأليف والترجمة نجد للدكتور عزت عبد الكريم مؤلفات تقترن باسمه منها «تاريخ التعليم فى عصر محمد على»

و«تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق (في أربعة أجزاء) كما شارك في تأليف كتاب «تاريخ أوروبا الاقتصادي» و«المجمل في تاريخ مصر العام».

ولعل آخر كتبه كان كتابه «دراسات في تاريخ العرب الحديث» وفيما يلي نعرض لهذه المؤلفات:

١ـ تاريخ التعليم في عصر محمد علي (١٠٢) .

وقد ملأت هذه الدراسة فراغا كبيرا في ميدان دراسة التربية والتعليم بمصر خاصة وأنها مدعمة بالوثائق في كل فصل من فصولها حيث استعان المؤلف بمصادر متعددة أهمها لوائح التعليم والدفاتر المصرية والتركية والوثائق المختلفة الخاصة بإصلاح التعليم وكتب المعاصرين.

كما تتميز هذه الدراسة بقدرة صاحبها على الموازنة والمقارنة بين المصادر ومحاولة كشف ما بها من غموض.

٢ـ تاريخ التعليم منذ أواخر حكم محمد علي إلى أوائل عهد توفيق ويتكون من ثلاثة أجزاء وجزء خاص بالوثائق واللوائح التعليمية(١٠٢) ويعالج الجزء الأول تاريخ التعليم في مصر في عصري عباس وسعيد من ١٨٤٨ إلى ١٨٦٣ ويفرد المؤلف بعد ذلك التعليم الأولي والابتدائي بين عامة الناس، خاصة بعد أن طالب

مجلس شورى النواب بتعليم أبناء الشعب، ووضعت الخطط فى لائحة رجب الشهيرة فى عام ١٨٦٧ لتحقيق ذلك.

وفى الجزء الثانى عالج عزت عبد الكريم الإصلاحات الخاصة بتنظيم التعليم والخطط الدراسية وتعرض بشكل واضح للتعليم التجهيزى والعالى وللبعثات التى تم إيفادها إلى أوروبا.

وقد شجعت وفرة المعلومات فى هذا الموضوع المؤلف على الخوض فى تفاصيل عديدة منها: تعرضه لذكر أسماء نظار المدارس وموظفى الديوان وأسماء المدارس الأجنبية وغيرها وكان يمكنه الاكتفاء بذكر معظم هذه البيانات والإحصاءات فى الجزء الخاص بالملاحق و يضاف إلى ذلك أنه لم يتعرض بالمقارنة بين ما حدث للتعليم فى مصر من تطوير وما كان يسود أوروبا من تقدم فى ذلك الوقت ، كما أنه لم يعالج بعض الاتجاهات الثقافية التى تمخض عنها ذلك العصر كحركة ظهور الوعى القومى فى الميدان التعليمى ، وأثر نشاط الجاليات الأوروبية فى النهضة العلمية بمصر.

ومع أن هذه الدراسة أشبه بتقويم للتعليم، ومع أنها تعد دراسة مهمة فى تاريخ مصر الاجتماعى الوصفى، فإنها أيضا كشفت لنا حقائق جديدة ومهمة ، عرضها صاحبها بطريقة تميزت بحسن التعليل والتدليل مع الاهتمام بالتفاصيل.

- تاريخ أوروبا الاقتصادى

ويستشف من هذه الدراسة تمكن الدكتور عزت عبد الكريم من المزج الدقيق بين التطور الاقتصادى فى أوروبا الحديثة وتاريخها السياسى والاجتماعى.

- تاريخ مصر من الحملة الفرنسية إلى نهاية عصر اسماعيل ١٧٩٨-١٨٧٩.

وقد نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب «المجمل فى تاريخ مصر العام» الذى صدر فى عام ١٩٤٢ بقلم مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة فؤاد الأول، وهى عبارة عن دراسة مهمة يرجع إليها الدارسون لتطور مصر الحديثة والراغبون فى تتبع المعالم الأساسية فى هذا التاريخ، وقد برزت فيها العوامل التى تضافرت على تشكيل تاريخ مصر فى هذه الفترة وهى شخصية ولاة مصر وموقف الدولة العثمانية، وسياسة الدول الأوروبية بإزاء مصر، ونشأة الشعور القومى[١٠٤].

- العرب والسياسة الدولية

دراسة أصدرها المكتب الثقافى لحزب البعث العربى بسورية عرض فيها الدكتور عزت لنشوء الوعى القومى عند العرب وأثره فى إيجاد رابطة الجامعة العربية، وضرورة اتباع سياسة حيادية تجاه

التيارات السياسية الدولية [١٠٥] .

- دراسات في تاريخ العرب الحديث

ويضم هذا الكتاب ست دراسات في تاريخ العرب الحديث سبق نشر أربع منها ، أما الدراستان الخامسة والسادسة فلم يسبق نشرها وهذه الدراسات الست رغم تنوعها من حيث الموضوع والزمان والمكان فإنها ترتبط بإطار واحد هو إطار التاريخ العربى الحديث منذ بدايته في فترة الفتوح العثمانية حتى حرب يونيو ١٩٦٧ وآثارها ، فإذا كان عنوان الفصل الأول هو «العلاقات بين الشرق العربى وأوروبا فى القرنين السادس عشر والتاسع عشر» فإن عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب «المعالم الرئيسية فى تاريخ القضية الفلسطينية» وبين هذا وذاك تناول فصول الكتاب دراسات منوعة من تاريخ العرب الحديث فى المشرق والمغرب ، فعن المشرق تناول الفصل الثالث «دمشق فى التقسيم الإدارى لسورية فى العهد العثمانى» وتناول الفصل الثالث «دمشق فى منتصف القرن الثامن عشر» ودرس الفصل الرابع «نهضة مصر فى القرن التاسع عشر» أما عن المغرب فقد تناول الكتاب فى فصله الخامس المسألة الجزائرية فى السياسة الدولية منذ تأسيس النيابة إلى حملة ١٨٣٠ .

وفى مجال التحقيق العلمى أصدر الدكتور عزت عبد الكريم

تحقيقا لحوليات الكاتب الدمشقى الشيخ البديرى الحلاق الذى صور الحياة الاجتماعية فى دمشق فى القرن الثانى عشر الهجرى، الثامن عشر الميلادى، وقد صدر تحقيقه لهذه المخطوطة بمقدمة طويلة شملت حوالى ستين صفحة بين فيها أهمية الموضوع وعرض للمواد التى تحويها الحوليات (١٠٦) .

وفى هذا المجال أيضا نشر فى حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عن التنظيم الإدارى بسورية فى العصر العثمانى هذا إلى جانب بحوث أخرى نشرت فى مجلات وحوليات علمية منفردة فى أصول المسألة الجزائرية» و«التغيير الاجتماعى لمجتمع القاهرة فى القرن التاسع عشر، وأزمة الفكر العربى فى مطلع العصر الحديث والجبرتى مؤرخ مصرى على مفترق الطرق والتأليف التاريخى فى مصر بين التقليد والتجديد» .

وفى مجال الترجمة أسهم الدكتور عزت عبد الكريم فى ترجمة كتاب «البندقية جمهورية أرستقراطية (١٠٧)» لشارل ديل(١٠٨) والذى تعرض لنظام البندقية السياسى وتطورها التاريخى، وتطرق إلى العوامل التى كونت عظمتها ثم الأسباب التى أدت إلى انحلالها وقد بذل الدكتور عزت جهدا بارزا فى انتقاء المصطلحات اللازمة للتعبير عن مكنون المعانى التى أرادها الكاتب، ووفى شروط الأمانة

فى النقل فجاءت الترجمة دقيقة وممتعة، يضاف إلى ذلك قيامه بمراجعة بعض الترجمات المهمة التى أثرت المكتبة العربية فى موضوعات لها أهميتها ، ساعده فى ذلك تمكنه العلمى، وإلمامه الواسع بأساليب اللغتين العربية والإنجليزية وقد عرف عنه الدقة والحرص فى هذا المجال(١٠٩).

وإلى جانب ذلك أصدر الدكتور عزت عبد الكريم سلسلة «المكتبة التاريخية» ذلك المشروع العلمى الذى قام على أساس تكوين سلسلة من الدراسات التاريخية بأقلام المتخصصين فى شتى فروع المعرفة التاريخية ليستفيد منها طلاب الجامعات وكل صاحب حظ من ثقافة، وقد أخذ هذا المشروع طريقه إلى الظهور فى يونيو ١٩٥٨ ، وصدر الدكتور عزت كل كتاب من هذه المجموعة بمقدمة علمية شاملة (١١٠).

ونتيجة لجهود الدكتور عزت عبد الكريم المثمرة ودوره فى خدمة الدراسات التاريخية ثم اختياره رئيسا للجمعية التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥ - ١٩٧٦ وقد بذل فيها من جهده ووقته خاصة فى مجال تنظيم الندوات ، والمواسم الثقافية ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها فى تاريخها، ويرجع نجاح هذه الندوات إلى الجهود التى كان يبذلها فى الترتيب والتنظيم والإدارة الحكيمة، وإلى

خبرته وولعه الشديد بأن تأتى ثمار هذه الندوات يانعة [١١١] فقد حرص على إقامة ندوة سنوية لمناقشة حياة مؤرخ من أعلام مؤرخى مصر وسيرته ومنهجه وأعماله العلمية على نحو علمى يليق بمكانته وذلك بهدف إحياء ذكرى أعلام المؤرخين، وحتى يتوفر لمثل هذه الندوات الإمكانات المالية والإعلامية وغيرها شارك المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى هذه الندوات ، وقد بدأت هذه الندوات بندوة عن المؤرخ «تقى الدين المقريزى» فى الرابع من مايو ١٩٦٦ وتلتها ندوة عن المؤرخ «القلقشندى» ثم ندوة عن المؤرخ «عبد الرحمن ابن عبد الحكم» وندوة عن «أبى المحاسن بن تغرى بردى» وتبعتها الندوة العلمية عن «ابن إياس» ثم احتفلت الجمعية فى عام ١٩٧٤ بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة المؤرخ «عبد الرحمن الجبرتى».

ويضاف إلى ذلك أن الدكتور عزت عبد الكريم دفع الجمعية إلى المشاركة فى العديد من المناسبات العلمية والقومية ، فقد أقامت الجمعية ندوة مصطفى كامل بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد الزعيم مصطفى كامل.

ولم تقتصر ندوات عزت عبد الكريم على الجمعية التاريخية، بل أقام فى سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الذى يعتبر لبنة

من لبناته العديد من المؤتمرات السنوية فنظم السمنار ندوة «وثائق تاريخ العرب الحديث » وندوة «البحر الأحمر فى التاريخ وندوة «الثورة العرابية بمناسبة مرور مائة عام على قيامها».

هذا عن الدكتور عزت عبد الكريم الباحث والمعلم والمؤرخ وهناك مجال آخر برز فيه وهو التطبيق العلمى لأفكاره ولأستاذيته فى مجال أوسع حين تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ثلاث سنوات ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ شهدت فيها الكلية آثار جهوده وعلاقاته بطلبته وأعضاء هيئة التدريس، فقد كان قدوة فى الانكباب على العمل فى دقة وإحاطة واسعة، وقد أهله ذلك لتولى وكالة جامعة عين شمس، ثم تعيينه مديرا للجامعة نفسها فى عام ١٩٦٨ حتى أحيل إلى المعاش فى العام التالى:

ولم تقتصر جهوده فى خدمة التعليم الجامعى على جامعة عين شمس ، وإنما امتدت إلى التعليم الجامعى بصفة عامة فاختير رئيسا للجنة قطاع الدراسة والعلوم الإنسانية بالمجلس الأعلى للجامعات وهى اللجنة التى أشرفت على تطوير الدراسة بكليات الآداب، ودار العلوم فى سنتى ٦٨ ـ ١٩٦٩ كما كان أيضا مقررا للجنة الدائمة لفحص إنتاج أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية.

وقد شارك الدكتور عزت عبد الكريم فى نشاط «المجلس الأعلى

لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية عدة سنوات، فكان عضوا به، كما عمل عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس وظل الدكتور عزت ملتصقا بقاعات الدرس معتزا بأستاذيته قبل كل شيء، وعندما داهمه المرض، وكلت قواه الجسدية، ظل كما هو صاحب الذهن الصافي، والمنهج الفكرى السليم يتحامل على نفسه، ويرأس حلقات البحث بضمير يقظ، وحافظة واعية، وحاسة نقد عميقة.

وهكذا كان للدكتور عزت عبد الكريم الأثر الكبير فى تكوين جيل كبير من دارسى التاريخ الحديث وأساتذته فى شتى البلدان العربية طوال مدة تربو على الأربعين عاما قضاها فى حماسة وصبر كبيرين فكان نعم الأستاذ والموجه لتلاميذه والناهلين من علمه.

هذا إلى جانب أنه ترك الدنيا فى عام ١٩٨٠ بعد أن خلف وراءه تراثا مهما للأجيال القادمة، واستطاع بذلك أن يترك بصماته على مسار تاريخنا الحديث.

الدكتور عبد العزيز الشناوى

رغم أن الأستاذ الجامعى يعد مثقف الأجيال وشاحن قلوبها إلى المثل العليا والأفكار المتجددة، فإن عدم شعوره بالأمن على نفسه، وإحساسه بظلم وقع عليه قد يجعله حادا فى تصرفاته حتى مع أقرب الناس إليه، وهذا فى تصورى هو المدخل الذى يمكن أن نقترب به من الدكتور الشناوى عندما نكتب عنه وعما قدمه لتاريخ مصر الحديث والمعاصر.

ولد الدكتور عبد العزيز الشناوى بمدينة الإسكندرية فى عام ١٩١١ وتخرج من كلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٤ وحصل على الدبلوم العالى فى التربية عام ١٩٣٦ ، وعلى درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) فى عام ١٩٤٨ تحت إشراف المؤرخ محمد شفيق غربال، وفى عام ١٩٥٣ حصل على درجة الدكتوراة من جامعة الإسكندرية تحت إشراف الدكتور محمد مصطفى صفوت وكانت بعنوان: «السخرة فى حفر قناة السويس - عصر إسماعيل».

وعن حياة الدكتور الشناوى العلمية فقد عمل مدرسا بالمدارس

الثانوية عقب حصوله على دبلوم التربية، كما عمل مدرسا بمعهدى أسيوط والإسكندرية للمعلمين.

وبعد حصوله على الدكتوراة انتقل إلى العمل فى السلك الجامعى فعين أستاذا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية المعلمين بالقاهرة ثم أستاذا ورئيسا لقسم التاريخ بها.

وللدكتور الشناوى مع قادة ٢٣ يوليو تجارب مريرة أودت به إلى السجن والتعذيب غير الإنسانى لفترة، خاصة بعد اتهامه خطأ بإخفاء بعض الوثائق الخاصة بقناة السويس والتى كانت يريد بها الرئيس عبد الناصر أن يثبت للعالم أحقية مصر فى القناة من خلال أزمة التأميم.

وبعد انتهاء أزمته مع رجال الثورة وخروجه من السجن تقدم لشغل وظيفة أستاذ كرسى التاريخ الحديث التى كانت جامعة الأزهر قد أعلنت عنها فى عام ١٩٦٤ بعد صدور القرار الجمهورى بتطوير الدراسة فى هذه الجامعة، ووقع عليه الاختيار لشغل هذه الوظيفة بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة، ولما أنشىء قسم التاريخ بكلية البنات الإسلامية فى عام ١٩٦٩ انتدب انتدابا كليا للتدريس به.

وللدكتور الشناوى مؤلفات عديدة منها ما ساير فيه مدرسة

رانكة الألمانية من حيث تفصيل الأحداث ، ومنها ما ساير فيها التيار الإسلامى خصوصا بعد عمله بجامعة الأزهر.

وحول التيار الأول كتب الشناوى رسالته للدكتوراة «السخرة فى حفر قناة السويس» وفيها تعرض لتاريخ السخرة فى حفر القناة فى عصر سعيد وبواعث معارضة إسماعيل لهذا النظام، ورفض الشركة لذلك، وتدخل الحكومة الفرنسية وتحكيم الإمبراطور نابليون الثالث بإلغاء السخرة فى حفر القناة فى نظير أن تدفع مصر للشركة أموالا طائلة، واستكمالا لهذا الموضوع كتب الشناوى بحثا بعنوان « ما تكلفته مصر فى إنشاء قناة السويس » ونشرته المجلة التاريخية فى عام ١٩٥٧ كما كتب دراسة مستفيضة بعنوان «قناة السويس والتيارات السياسية التى أحاطت بإنشائها » وقام معهد البحوث والدراسات العربية بنشرها فى عام ١٩٧١.

ومع أن الاتجاه السائد بين أساتذة الجامعات المصرية فى ذلك الوقت هو التركيز على الدراسات الخاصة بتاريخ مصر والعالم العربى، فقد اهتم الدكتور الشناوى بدراسة تاريخ أوروبا منذ مطلع العصور الحديثة بحجة أن تاريخ أوروبا الحديث لايزال يحتل مكانا بارزا فى خطط الدراسة بأقسام التاريخ فى الجامعات، وأنه من غير المقبول أن يترك الطلاب يعتمدون اعتمادا أساسيا فى دراسة التاريخ

الأوروبى الحديث على مؤلفات أساتذة أجانب غير مبرئين من عوامل التعصب أو التحيز أو النظرة الاستعلائية (١١٢).

وفى هذا الاتجاه أيضا كتب الشناوى «حادث جريدة البوسفور اجيبسيان - أزمة سياسية بين مصر وفرنسا فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى (١١٣) »، وفيه صور أحوال مصر فى السنوات الأولى للاحتلال، وعدم ركون الشعب المصرى إلى الاستكانة والخضوع، وانطلاق العديد من الصحف المصرية فى التنديد بالاحتلال وتعرضها لشتى صفوف الاضطهاد على يد نوبار، ولما كان الفرنسيون فى مصر أكثر الأجانب سخطا على الاحتلال فقد انطلقت الصحافة الفرنسية المحلية فى مصر تعبر عن هذا السخط.

وتثير المتاعب أمام الاحتلال وعملائه، وكانت جريدة البوسفور اجبسيان فى مقدمة هذه الصحف، ونتيجة لذلك أمرت الحكومة المصرية بإلغاء الجريدة وإغلاق مطبعتها، مما أثار أزمة سياسية حادة وأدى إلى تدخل الحكومة الفرنسية فى الأمر ومطالبتها بترضية مناسبة مما دفع الحكومة المصرية للجوء إلى الباب العالى من خلال الأزمة.

وفى النهاية أذعن نوبار للنصيحة البريطانية فتوجه فى الثالث من مايو ١٨٨٥ إلى دار القنصلية الفرنسية بالقاهرة، وقدم اعتذارا

رسميا ، كما أمر رجال الشرطة بإزالة الأختام عن باب المطبعة ، وتسليم المبنى إلى مندوب قنصلية فرنسا وعلى هذا الأساس عادت الجريدة إلى الظهور.

والواقع أن جريدة البوسفور لم تكن سوى مظهرا من مظاهر الصراع بين بريطانيا وفرنسا بهدف العمل على عودة النفوذ الفرنسى إلى مصر ، وإقامة نظام دولى يكفل مصالح أوروبا فى مصر .

هذا نموذج من كتابات الشناوى التى ساير فيها كتابات المدرسة الألمانية من حيث الاهتمام بتقصى الحقائق وإبرازها وتدعيمها بالأسانيد التاريخية .

والجدير بالذكر أن أبرز تلاميذ الشناوى الذين سايروا هذا المنهج هو الدكتور محمود صالح منسى ، فقد أشرف الدكتور الشناوى على رسالته للدكتوراة وكان موضوعها «الشرق العربى إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩٢٠» كما أشرف الدكتور محمد فؤاد شكرى على رسالته للماجستير وكانت بعنوان «امتياز حفر قناة السويس فى عهد سعيد وصلة ذلك بأعمال السان سيمونيين وجهود فرديناند دى لسبس لشق طريق مائى فى برزخ السويس ، وكلاهما من أصحاب اتجاه مدرسة رانكة .

وبالنسبة للتيار الثانى فيبرز فى المؤلفات التالية :

١ـ دور الأزهر فى الحفـاظ على الطابع العـربى لمصـر إبان الحكم العثمانى

وفى هذه الدراسـة أوضح الشـناوى أن دور الأزهر فى الحفـاظ على الطابع العربى، كان نتاج عدة عوامل تضافرت معا فى الإبقاء على الوجـه العـربى لمصـر [١١٤] منهـا عـوامل ذاتيـة انبـثـقت من الأزهر نفسـه، ومن رسـوخ مركزه فى الحياة المصرية بحيـث طبعـها بطابع خاص، وغدا الأزهر جزء لا يتجزأ من الحياة العامة فى مصر سواء فى النواحى السياسية أو الدينية أوالعلمية أو الاجتماعية، ومنها عوامل أخرى تتصل بما يمكن أن نطلق عليه فلسفة الحكم العثمانى، فقد كان الأزهر الحصن الحصين للغة العربية، وكان علماؤه ومجاوروه هم حـراس هذا المعـقل، حـافظوا على التـراث الحـضـارى الفكرى الإسلامى، وبخاصة اللغة العربية لسانا وأدبا وسط ظروف متناهية فى قسوتها وظلامها وعسفها، واستطاعوا طوال ثلاثة قرون رد اللغة التركية عن التسلل إلى المجتمع المصرى.

٢ـ صور من دور الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسية على مصر.

وفى هذه الدراسـة تطرق الشـناوى إلى فـتـرة التـرابط العـربى والإسلامى بين الشعوب العربية حيث تطوع مجاهدون من الحجاز وطرابلس وغيرها للجهاد ضد الفرنسيين.

واستكمالا لهذا الاتجاه صدر للدكتور الشناوى فى يوليو ١٩٦٧ كتاب بعنوان «عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية [١١٥]» وفيه وصف عمر مكرم بأنه «زعيم ينتمى إلى الدوحة النبوية الشريفة» وبأنه كان مسلما فى عقيدته ، أزهريا فى ثقافته ، عربيا فى أصالته ، عثمانيا فى نزعته.

وعلى ضوء ذلك تعرض الشناوى لكفاح عمر مكرم ونضاله بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، ووقوفه بجانب الشعب المصرى كلما اشتدت عليه مظالم الحكام ومساندته لمحمد على من خلال توليته حكم مصر ، ودوره الواضح فى مقاومة حملة فريزر ، ومعارضته لمحمد على عندما حاد ـ من وجهة نظره ـ عن جادة الصواب وخرج على ما اتفق عليه.

وفى بداية الثمانينيات من هذا القرن أصدر الشناوى كتابه الشهير «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» وهوعبارة عن موسوعة في أربعة أجزاء [١١٦] شملت ٢٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، وفيها تغنى بأمجاد الدولة العثمانية التى اجتاحت جيوشها الإسلامية أقاليم شاسعة فى جنوبى شرق أوروبا ووسطها وأحرزت باسم الإسلام انتصارات خاطفة وباهرة.

و رغم أن المؤلف ذكر فى مقدمة كتابه أن دراسته عبارة عن دراسة

علمية موضوعية محايدة [117] فنحن نرى أن دراسته بعيدة عن الحياد ، خاصة وأن عنوان الكتاب نفسه يؤكد ذلك، وقد كان يمكنه أن يضع فى خاتمة كتابه ما توصل إليه من أن الدولة العثمانية مفترى عليها أم لا بدلا من أن يضع ذلك عنوانا لدراسته وعلى غلاف كتابه وعلى أى حال فقد شملت هذه الدراسة جوانب عديدة ومكثفة ، تطرق فيها صاحبها إلى التاريخ الحديث والمعاصر فى الشرق والغرب، وإلى التاريخ الإسلامى في العصور الوسطى، وإلى النظريات والنظم السياسية وإلى القانون الدولى العام والعلاقات الدولية، فضلا عن قواعد الشريعة الإسلامية من حيث تعدد الزوجات واقتناء الجوارى، وعمليات الخصاء وغيرها وإلى جانب ذلك فللدكتور الشناوى دراسة بعنوان «الأزهر جامعا وجامعة فى جزئين من ٨٨٠ صفحة وفيها أوضح الدور العلمى والسياسى للأزهر منذ إنشائه حتى ثورة ١٩٥٢ فوصفه بأنه قلعة إسلامية وقفت فى وجه الحملة الفرنسية التى كانت بمثابة أول غزو عسكرى مسيحى أوروبى فى التاريخ الحديث لولاية عربية إسلامية ووقف فى مواجهة الحملة الإنجليزية على مصر فى عام ١٨٠٧ ووقف علماؤه إلى جانب الثورة العرابية [118] كما وقفوا إلى جانب المشتركين فى ثورة ١٩١٩ وأفسدوا كل محاولات الإنجليز للتفرقة بين المسلمين والأقباط.

عبد الحميد محمد البطريق

فى بدايات هذا القرن وبالتحديد فى السادس والعشرين من أغسطس ١٩٠٨ م ولد عبد الحميد البطريق بالإبراهيمية محافظة الشرقية فى أسرة تنتمى إلى البرجوازية الريفية وهى الطبقة التى كان ينتمى إليها معظم قادة النهضة الفكرية فى مصر فى أوائل القرن العشرين، فوالده كان تاجراً ومن كبار الملاك الزراعيين الذى تركزت أملاكهم فى الإبراهيمية وأجداده تولوا عمدية بلبيس من أيام محمد على..

وبعد أن تلقى عبد الحميد البطريق دراسته الأولية فى الإبراهيمية انتقل إلى الزقازيق فأكمل بها دراسته الإبتدائية والثانوية وهناك قابل رفيق صباه أحمد عزت عبد الكريم وتوطدت أواصر الصداقة بينهما، وبعد أن انتهى من دراسته الثانوية التحق بالجامعة المصرية حيث حصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ فى عام ١٩٣٠ وعلى دبلوم معهد التربية العالى فى عام ١٩٣٢ وبعدها التحق بوزارة المعارف حيث عين مدرساً بمدرسة فاروق الأول الثانوية.

ونظراً لأن التاريخ والكتابة التاريخية قد استهوياه منذ مطلع

شبابه ، فقد التحق بالدراسات العليا في الجامعة، وحصل على الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) في عام ١٩٤٣ وكانت رسالته بعنوان «محمد على في بلاد العرب» ونالها بمرتبة الشرف الأولى، وكانت من أولى الرسائل التي أشرف عليها المؤرخ محمد شفيق غربال وسرعان ما لمع اسم عبد الحميد البطريق بصفته أحد الباحثين المصريين الجادين فأرسلته الجامعة في بعثة إلى بريطانيا لاستكمال دراسته وهناك تتلمذ على أيدى كبار المؤرخين الأوروبيين أمثال Dodwell وبرنارد لويس واستطاع الحصول على دكتوراه الفلسفة Ph.d من جامعة لندن في عام ١٩٤٧ وكان عنوان رسالته ARABIA under Ottoman and Egyptian Rule 1810 - 1841.

وبعد عودته من البعثة في عام ١٩٤٨ عين الدكتور البطريق في كلية البنات بالزمالك، وبعد أن انضمت هذه الكلية إلى جامعة عين شمس عين أستاذاً مساعداً في كلية البنات جامعة عين شمس ، واستمر في التدرج بالمناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية ، وإلى رئاسة قسم التاريخ بنفس الكلية.

ولم يقتصر نشاط الدكتور البطريق داخل أروقة الجامعة بل برزت له العديد من الأنشطة العلمية والمهام القومية خارجها فانتدب مديرا

لتحرير مجلة الإذاعة فى عام ١٩٥٣، وتولى رئاسة البعثة التعليمية بالمملكة المتحدة، وعمل مستشارا ثقافيا بسفارة مصر فى لندن من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٢ وهناك أعانه حسه التاريخى على أن يهتم اهتمامًا خاصًا بتتبع المواقف الحاسمة فى تاريخ أوروبا والتى ارتبط معظمها بمصائر الشعوب، فكتب بعض الدراسات فى التاريخ الأوروبى نذكر منها «تاريخ أوروبا من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا(١١٩)» و «التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر (١٢٠)» (بالإشتراك) و«التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٦٠ (١٢١)»

ومما يحمد للدكتور البطريق خلال فترة تواجده بالمملكة المتحدة مساندته المستمرة لطلاب البعثات خاصة فى فترة قطع العلاقات بين مصر وبريطانيا نتيجة للعدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ حيث ساند فكرة بقائهم حتى إتمام دراستهم حتى لا يتعرض مستقبلهم العلمى للخطر، وكان المصرى الوحيد الذى ظل يرعى مصالح مصر فى لندن فى خلال فترة قطع العلاقات يضاف إلى ذلك قيامه بإلقاء بعض المحاضرات عن مصر والعالم العربى بدعوة من بعض الجامعات الإنجليزية خاصة مانشستر وليدز وليفربول.

وبعد عودة الدكتور البطريق من لندن فى عام ١٩٦٢ انتدب

مستشاراً لسلسلة كتب «اخترنا لك» كما أعانته إجادته الفائقة للغات الأجنبية خاصة الإنجليزية على انتدابه لرئاسة تحرير مجلة آراب أوبزرفر Arab observer وفى عام ١٩٨٢ عين الدكتور البطريق أستاذاً متفرغًا للتاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس، واستمر فى عطائه العلمى فاختير عضواً بالمجالس القومية المتخصصة «لجنة التاريخ والحضارة» وعضوا بالمجلس الأعلى للثقافة لجنة التاريخ والآثار ، وعضوا بلجنة التحكيم لجائزة الدولة التشجيعية، وعضوا باللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمى لترقية أساتذة الجامعات المصرية، وعضوا باللجنة الدائمة لترقية أساتذة الأزهر.

يضاف إلى ذلك قيام الدكتور البطريق بالمشاركة فى تطوير الكتب التاريخية التى تقررها وزارة التربية والتعليم على طلابها فوضع بالاشتراك مع الدكتور عزت عبد الكريم والدكتور أبو الفتوح رضوان كتابا عن تاريخ العرب فى العصر الحديث لطلاب السنة الثالثة من التعليم الثانوى؟ كما شارك أيضا فى تأليف جديد فى تاريخ مصر الحديث وكان جديدا بالفعل إذا قيس بكل الكتب المدرسية التى كتبت قبل تأليف هذا الكتاب [١٢٢] ومما يحسب له فى هذا المجال أيضا قيامه باستخدام طريقة المشروع فى دراسة التاريخ

وتدريب طلابه وطالباته بجامعة عين شمس على هذه الطريقة[١٢٣].

وحول اهتمام الدكتور البطريق بالوثائق المصرية، فقد شارك فى دعم المجلس الأعلى للوثائق التاريخية، وقام فى عام ١٩٦٤ ضمن لجنة مكونة من الدكتور أحمد عزت عبد الكريم والدكتور محمد حمدى البكرى بتقييم مذكرات بعض زعماء مصر السياسيين خاصة محمد فريد وسعد زغلول، فاطلع عليها وكتب تقييم لها قبل أن يطلع عليها أحد من الباحثين.

وللدكتور البطريق العديد من البحوث والملفات سواء فى المنهج أو فى تاريخ مصر أو العالم العربى أو الإسلامى ومن هذه الدراسات نذكر «المنهج والكتاب فى تدريس التاريخ [١٢٤]» إبراهيم باشا فى بلاد العرب [١٢٥]» و«محمد على ومشروع غزو العراق [١٢٦]»و «من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠ [١٢٧]»

و «الأمة العربية [١٢٨]» و«الوهابية عقيدة ودولة [١٢٩]» و«أشراف الحجاز فى الوثائق المصرية ١٨١٣ - ١٨٤٠ [١٣٠]» و«من التأميم إلى العدوان [١٣١] » و«الجنوب العربى فى مطلع القرن التاسع عشر [١٣٢]» و«باكستان فى ماضيها وحاضرها[١٣٣]» و«وثائق الحكم المصرى فى الجزيرة العربية ١٨١٩ - ١٨٤١ [١٣٤] » والوجود المصرى فى الخليج العربى وأثره فى السياسة البريطانية

١٨٣٦ ـ ١٨٤٠ »[١٣٥].

هذا عن البحوث المنشورة بالعربية أما عن البحوث المنشورة بالإنجليزية فنذكر :

1- Egyptian - Yemeni Relations and their implications for British pokicy in the Red Sea.

(published in political and social change ın modern Egypt London (1968).

2- modern Egypt

(a historıcal synopsis)(1956)

ونتيجة للجهود العلمية التى بذلها الدكتور البطريق فقد لقى من تكريم الدولة ورجال الثقافة ما هو جدير به ، فقد كرمته الدولة حينما منحته وسام الاستحقاق من الطبقة الثالثة فى عام ١٩٥٤ ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى فى عام ١٩٦٨ وكان من مظاهر تكريمه حصوله فى عام ١٩٨١ على نوط الكلية الحربية الذهبى مع شهادة تقدير لأبحاثه العلمية.

الدكتور محمد أحمد أنيس

١٩٢١ - ١٩٨٦

المؤرخون نوعان: نوع تصنعه الظروف، ونوع يستطيع أن يصنع الظروف، النوع الأول يقتصر دوره داخل حدود الحرم الجامعي، ولا يزيد فكره على مجرد معلومات موضوعه بين دفتي كتبه، أما النوع الثاني فهو موهوب لديه ملكة النقد والفحص والاستقراء والأفق الواسع وكثيراً ما يسبق فكره عصره، والدكتور محمد أنيس من النوع الثاني، فإنه كان مؤرخًا يملك القدرة على إدراك المواقف، ويحترم فكره ويصون نفسه عن الامتهان، لا يداهن ولا يرائي ويتحلى بسلامة الفكر وصواب الحكم وعمق الإيمان بقضايا أمته، وكان على استعداد لمواجهة أعتى التحديات والمخاطر في سبيل الدفاع عن حق يعتقده أو فكرة يؤمن بها، أو من أجل الدفاع عن مظلوم سلب حقه، أو اعتدى على فكره دون يأس أو كلل أو استسلام يضاف إلى ذلك أنه قاد مدرسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في مصر لا بقلمه وفكره فحسب، وإنما بأعصابه وشرايينه حتى أخذت هذه المدرسة تدلو بدلوها ضمن المدرسة

التاريخية المصرية.

وقد ولد الدكتور محمد أنيس فى ٢١ / ٨ / ١٩٢١ بشياخة الغريب قسم الدرب الأحمر أحد أحياء القاهرة الشعبية لأسرة من الحرفيين يعملون فى بناء وترميم المساجد بمعنى أن أسرته لم تكن بعيدة عن شظف العيش [١٣٦] وإن كانت قد عرفت طريقها إلى التعليم.

وبعد أن أنهى محمد أنيس دراسته الابتدائية التحق بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية [١٣٧] ومن خلال ذلك شارك فى المظاهرات الكبيرة التى قامت احتجاجا على «تصريح هور» فى عام ١٩٣٥.

وبعد أن حصل أنيس على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) فى عام ١٩٤٣، وكان الأول على دفعته، أوفدته الجامعة فى بعثة دراسية إلى لندن لدراسة التاريخ الحديث وهناك احتك بالمجتمع الإنجليزى عن قرب وشاهد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى خلفتها الحرب العالمية الثانية فى بريطانيا، ووصول حزب العمال إلى قمة السلطة فى عام ١٩٤٥ بما يحمله من مبادىء وأفكار اشتراكية، وتطلع الإنجليز إلى تغييرات اجتماعية جذرية، وبروز الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى كقوة ذات تأثير على مجريات الأحداث العالمية.

يضاف إلى ذلك مشاركته فى الحلقات الثقافية حول مناهج

البحث وفلسفة التاريخ والمدارس المختلفة التى لعبت دورا فى تفسيره[١٣٨] كل ذلك جعل أنيس ينفتح على الفكر الاشتراكى ويقرأ فيه بنهم وحب شديدين.

ومن خلال ذلك تمكن محمد أنيس من الحصول على درجة الدكتوراة، من جامعة برمنجهام في مايو ١٩٥٠، وكان موضوع رسالته يدور حول الصراع على البحر الأحمر كطريق للمواصلات فى القرن الثامن عشر.

The development of the British interests in the late 18th century.

وبعد أن أتم الدكتور أنيس رسالته عاد إلى مصر ليعمل مدرسا للتاريخ الحديث بجامعة القاهرة، وفى خلال ذلك أثبتت عقليته الواعية المتفتحة وحسه التاريخى المرهف القدرة على التمييز بين ما يدور حوله، كما استطاع بدقة ملاحظته وحرية فكره أن يتخطى الحواجز ، ويعالج الكثير من الأمور التى كانت تعد محظورة فى ذلك الوقت، ففى الخمسينيات من هذا القرن حينما كانت مصر تنتقل من العصر الملكى إلى العصر الجمهورى، وكان كل صاحب رأى يعد خطراً فى نظر السلطة كانت محاضرات الدكتور أنيس الجريئة بالجامعة تطرح القضايا الشائكة التى كانت تجول بخواطر

الطلاب حول الماضى والحاضر والمستقبل والعلاقة بين الوطنية والحرية والسيادة والاستقلال ، وعلاقة مصر بالعالم العربى بصفتها مركز الثقل فى المنطقة العربية وكان الدكتور أنيس يطرح الأسئلة التى تبحث عن إجابات ليشحذ همم طلابه، ويستثير نفوسهم، ويدفعهم إلى التفكير من أجل البحث معه عن الحقيقة، ثم يقوم بمناقشة ما طرحه من أسئلة من جميع نواحيها فى لغة سهلة تتميز بعفوية الحركات وحسن الاستطراد وبساطة الطرفة والجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والأسلوب الذى يفضى إلى تفهم هذه الحقائق. وبعد أن يضع الدكتور أنيس النقاط على الحروف يخرج طلابه من قاعات الدرس وهم يشعرون أنهم أصبحوا أقدر على فهم وتفسير الأحداث التى تلاحق وطنهم، لذلك أحبه طلابه وقدروا فيه فكره ومقدرته ودقة ملاحظته وصفاء ذهنه واتساع خياله وإدراكه للمواقف هذا فضلا عن روحه المرحة.

وحين تعرض الدكتور أنيس لمضايقات السلطة التى كانت تلاحقه، وتمهد لفصله من الجامعة فى عام ١٩٥٤ أضرب تلاميذه فى قسم التاريخ عن الدراسة دفاعا عن أستاذهم واحتجاجا على ما يحاك ضده، ونتيجة لإلحاح طلابه عاد إلى قاعة الدرس ليلقى محاضراته، وليرفع عاليا راية القيم الجامعية الحقة[١٣٩].

وحين وقع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وكانت الجامعة لا تزال مفتوحة، والطلاب ينتظرون محاضرة أستاذهم ، دخل الدكتور أنيس قاعة المحاضرة ولم يقل غير كلمات محدودة: ليس الآن وقت الكلام، وإنما هو وقت النضال، وليس عندى ما أقوله سوى دعوتكم جميعا للخروج فى هذه اللحظة، والانضمام إلى مراكز التدريب.

وهكذا خرج الطلاب يبحثون عن تلك المراكز التى كان يجرى اعدادها على عجل [١٤٠].

لقد أحب الدكتور أنيس مصر وعشق تاريخها، فعبر بقلمه وفكره عن قضايا وطنه، ووجه درس التاريخ الاجتماعى والاقتصادى ـ وبخاصة بعد وصوله إلى كراسى أستاذية التاريخ فى جامعة القاهرة ـ وهو الدرس الذى يرى أنه المحرك الأول لتسيير التاريخ هو الشعب ومن هنا حاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بإبراز دور المقاومة الشعبية، ورد اعتبار الشعب المصرى وسيرته فى صنع الأحداث، ومقاومة الوطنيين للنفوذ الاستعمارى بكافة أشكاله، وإبراز دور الحركات الوطنية فى مواجهة الاحتلال، كما تصدى لدور المدرسة الاستعمارية التى ترى أن استمرار حركة التغريب هى الطريقة المثلى للحاق الشرق بالغرب، وأن مواكبة الغرب والتبعية له ضرورة حيوية

لإنقاذ الشرق من براثن التخلف.

وانطلاقًا من ذلك وجه الدكتور أنيس تلاميذه فى الدراسات العليا إلى التركيز على دراسة الحركات الوطنية فى مصر، وثورات التحرر فى العالم العربى، ودراسة القوى الاجتماعية، ودورها فى مواجهة الاستعمار والمتمثلة فى الحركات العمالية والطلابية والفلاحية وطبقة المثقفين ، وقد خرجت على يديه عشرات الرسائل فى هذا المجال نذكر منها: رسالتى الدكتور عبد العظيم رمضان للماجستير والدكتوراة «تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦» و«تطور الحركة الوطنية فى مصر من إبرام معاهدة ١٩٣٦ إلى بداية الحرب العالمية الثانية» ورسالة الدكتور على بركات للدكتوراه «تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨٤٦ - ١٩١٤ ورسالة الدكتور مصطفى النحاس جبر للماجستير «سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ - ١٩١٤ ورسالة الدكتورة نوال راضى للماجستير «الحركة العمالية وأثرها فى تطور التاريخ السياسى فى مصر ١٨٩٩ - ١٩٣٠ ورسالة الدكتور عبد المنعم الجميعى للماجستير الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى» ورسالتى الدكتور عادل غنيم للماجستير والدكتوراة «الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ و«الحركة

الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب الثانية » ورسالة الدكتور إسماعيل ياغى للماجستير «حركة رشيد علالى الكيلانى» ورسالتى الدكتور عبد الأمير العكام للماجستير والدكتوراة «تاريخ حزب الاستقلال العراقى ١٩٤٦ - ١٩٥٨ » و«الحركة الوطنية فى العراق ١٩٢١ - ١٩٣٣ » ورسالة عبد الله جندى أيوب للماجستير « كفاح الأمير عبد القادر الجزائرى ضد الفرنسيين فى الجزائر» ورسالة أحمد صدقى الدجانى للماجستير «نشأة الحركة السنوسية و نموها فى القرن التاسع عشر » ورسالة عبد الفتاح أبو علية للماجستير «الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ - ١٨٩١ » ورسالة خيرية قاسمية للماجستير «الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨ - ١٩٢٠ » وأغلب الظن أن فترة طويلة ستمضى حتى يمكن دراسة المجالات التى دعا إليها الدكتور أنيس وفتح أبوابها ومد آفاقها خاصة وأنه كان يخوض غمار الأفكار الصعبة ولا يقتنع باليسير الهين دون أن يكل عزمه أو يفتر إزاء ما يلقى من صعاب.

قد يقول البعض أن دراسة الحركات الوطنية وحركات التحرر تتسم فى بعض الأحيان بالحماسة وتدفق العواطف القومية مما يكون له أثره على موضوعيه الباحث[١٤١] وقد يقول البعض الآخر أن تأثير القومية فى الدراسات التاريخية تقترب بالباحث من الذاتية

على حساب الحقيقة العلمية ، ومع تسليمنا بكل ذلك فإنه يمكن القول أن الدراسات التى قام بها الدكتور أنيس أو أشرف عليها كانت فى جلها تخاطب العقل وتعتمد على الوثائق والمصادر الأصلية التى تعد المادة الأساسية لكتابة التاريخ. وأنها أسهمت بصورة واضحة فى غرس وطنية مستنيرة وفى تغذية الشعور الوطنى لدى المصريين ، وفى إحياء ماضيهم الوطنى بكل عناصره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن أبرز القضايا التى تجشم الدكتور أنيس المتاعب من أجل تحقيقها قضية المحافظة على الوثائق المصرية ودراستها والبحث عن المغمور منها وقد تمكن من تحقيق ما يلى:

أولا: استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية إلى الخارج

ثانيا: تأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر(١٤٢) بهدف

تجميع وثائق التاريخ من داخل المركز وخارجه للإفادة بها فى إعداد دراساتهم وقد تمكن هذا المركز من خلال إشراف الدكتور محمد أنيس عليه فى الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٥ من جمع شتات الوثائق المتعلقة بعصر الملك فؤاد وترتيبها وفهرستها ولعل أهمها تقارير الأمن والمراسلات بين البلاط الملكى وغيره من الجهات فى الخارج والداخل، هذا بالإضافة إلى تسجيل ما لدى السياسيين

القدامى من معلومات مثل ذكريات عبد الفتاح عنايت الذى كان مشتركا فى إحدى خلايا الجهاز السرى فى أثناء ثورة ١٩١٩ وعبد العزيز على الذى لعب دورا فى نفس الثورة وذكريات بعض الشهود العيان الذين عاشوا أحداث حركة اللواء الأبيض بالسودان فى عام ١٩٢٤.

وقد قطع هذا الاتجاه شوطًا طويلاً، غير أن هذا المركز أخذ يتعثر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، وبروز دعوة إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق لجنة رسمية يتم تكليفها من قبل الدولة ويكون لها القول الفصل والحكم القاطع فيما تكتبه .

أما عن مؤلفات الدكتور أنيس وآثاره العلمية فقد كانت تعبر أصدق تعبير عن إيمانه بقدرات الشعب المصرى الخلاقة، ومحاولاته المستمرة للوقوف ضد ظالميه ومغتصبى حقوقه فمن يقرأ دراساته وأبحاثه فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر يجد فيها (بانوراما) لإنتاجه الفكرى الذى يرقى فوق أسلوب سرد الحوادث والوقائع ويتميز بالأصالة، ويقوم على الدراسات المهضومة التى تخاطب العقل، وتتغزل فى حب مصر والدفاع عن حقوقها بطريقة محببة للعقل والنفس معا ويشعر بأنه يقرأ لمؤرخ قادر على توصيل الحدث ونقله بطريقة صحيحة مؤثرة وكأنه يعيش فى العصر الذى يتحدث

عنه وكأن الحدث يتمثل أمامه.

لقد ظل الدكتور أنيس فى كتاباته يدعو إلى نفض تراب النسيان الذى تراكم على صفحات الكفاح الوطنى سعيا وراء الأسرار والخفايا المجهولة، وبحثا عن التراث الفكرى والحضارى فى أحشاء التاريخ ، كما أنه طرق بابا جديدا للوصول إلى ما هو غير متاح فى الكتب والوثائق المستهلكة ألا وهو الحصول على مذكرات السياسيين الذين شاركوا فى الأحداث ثم دراستها واستخلاص ما بها من أسرار وأخبار، والربط بينها وبين شتات المتفرقات التاريخية والحقائق المضطربة المتنازعة بحثا عن الحقيقة الواضحة الأركان وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير.

ومع أن اهتمامات الدكتور أنيس تركزت فى دراسة تاريخ مصر المعاصر والبحث فى دهاليز هذا التاريخ عن شخصياته المحركة فإنه لم يغفل أيضا دراسة الحكم العثمانى للوطن العربى وأثره.

وتناول الدكتور أنيس فى كتاباته التاريخ الأوروبى فى محاولة منه لإبراز أهمية التفسير الاقتصادى فى فترة انتقال أوروبا إلى العصور الحديثة.

وفيما يخص تاريخ مصر المعاصر أصدر الدكتور أنيس كتابا بمناسبة اشتراك مصر فى مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ وكان عنوانه

«المؤتمر الآسيوى الأفريقى» أوضح فيه أسباب انتهاج مصر لسياسة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى، وفى عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية أصدر الدكتور أنيس كتابا بعنوان «دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية ، أوضح فيه أن الوحدة العربية هى السبيل الأمثل لحركة النضال الوطنى فى العالم العربى، وأن مصر قلب العروبة النابض ورائدة الكفاح ضدالاستعمار ستظل مركز الثقل فى العالم العربى.

وفى عام ١٩٦٢ أصدر الدكتور أنيس كتابا تحت عنوان «صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل» أنفرد فيه بنشر رسائل جديدة لمصطفى كامل كان قد كتبها فى الفترة من ٨ من يونيو ١٨٩٥ إلى ١٩من فبراير ١٨٩٦ وتوضح معظمها علاقته بالخديو ، هذه الفترة المبكرة من حياته الوطنية وفى أثناء دراسته للحقوق فى فرنسا.

وقد أبرزت هذه الدراسة صفحة جديدة من حياة مصطفى كامل حرصت مدرسة الحزب الوطنى على التكتم عليها وهى أن الخديوية هى التى كانت تنفق على رحلة مصطفى كامل فى أوروبا عام ١٨٩٥.

وفى عام ١٩٦٣ نشر كتابه «دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩»

وهو يحوى المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية وهى توضح العديد من النقاط الغامضة، خلال اشتعال الثورة ودور عبد الرحمن فهمى فى ضم العمال من خلال الثورة، وبشكل أزاح الستار عن جوانب مهمة من نضال الوفد الذى سعى لتحقيق استقلال مصر بكافة الطرق والسبل العلنية والسرية معا.

وفى عام ١٩٧٢ نشر كتابه «٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى» وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها فى الأهرام فى عام ١٩٦٧ وتتمثل قيمة هذا الكتاب فى أن صاحبه فتح للمؤرخين بابًا جديداً باعتماده على الوثائق البريطانية فى تحديد مسئولية الوفد فى هذه الحادثة وربطه للأحداث فى إطارها الدولى، وبحكم فكره التقدمى استطاع أن يثبت أن الأمر يرجع إلى رغبة بريطانيا فى الاستناد إلى قوة شعبية ممثلة فى حزب الوفد، وهذه الرغبة دفعتها إلى ما حدث وهذا يؤكد فى النهاية نفى المزاعم التى ترددت حول عمالة النحاس للإنجليز وتورطه فى الأمر.

وفى عام ١٩٧٢ أيضا صدر له كتاب بعنوان «حريق القاهرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مرة، وهو عبارة عن مقالات كان قد نشرها بالأهرام فى عام ١٩٦٩ وقد حصر فيه مسئولية حريق

القاهرة فى المخابرات البريطانية والقصر الملكى.

وفى عام ١٩٧٣ نشر أوراق حسن باشا نشأت تحت عنوان «صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد» وقد تعرض فيه للدور الذى لعبه الملك فؤاد لمنع الخديو عباس من العودة إلى مصر.

وفى عام ١٩٨٤ نشر الدكتور محمد أنيس مجموعة محاضراته التى كان قد ألقاها على طلاب المعهد العالى للدراسات الاشتراكية فى عام ١٩٦٥ فى كتاب تحت عنوان «تطور المجتمع المصرى من الإقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو.

هذا عما كتبه الدكتور أنيس فى تاريخ مصر المعاصر، وأما فيما يخص التاريخ العثمانى فقد تعرض فى كتابه «الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤ - ١٩١٤» لمسئولية الدولة العثمانية عن تخلف العالم العربى، وكان ممن يرون أن النظام العثمانى نظام إقطاعى، وأن العثمانيين سيطروا على العالم العربى بقوة السلاح، وأنهم جنس غريب عن العرب، ولم يفكروا قط فى العمل لمصلحة العرب.

كما كتب الدكتور أنيس دراسة بعنوان «مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى[١٤٣]» تعرض فيه لكتابات المؤرخين المصريين من

خلال هذه الفترة، وناقش محتويات هذه الكتابات والمدارس التى ينتمي إليها أصحابها ، وإلى جانب ذلك نجد له ثلاث دراسات عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى عاصر أجزاء من تاريخ مصر العثمانية وهى «الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار[١٤٤] » وحقائق جديدة عن عبد الرحمن الجبرتى مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية [١٤٥] ، وقد اعتمد فيها على عدد من الوثائق المحفوظة بدفتر خانة المحكمة الشرعية بالقاهرة[١٤٦] و«الجبرتي ومكانته فى مصر العثمانية، وأسباب تدهور التأليف التاريخى فى العصر العثمانى وقد قسم المؤرخين فى هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام وهى :

مدرسة المؤرخين التقليديين، ومدرسة التراجم ، ومدرسة الأجناد ، ثم بدأ يوضح مميزات الجبرتى على غيره من المؤرخين، وكيف كتب مؤلفاته، وأهمية هذه المؤلفات في ميزان التاريخ.

وأما عن كتابات الدكتور أنيس في التاريخ الأوروبى، فقد ركز فيها على أثر التاريخ الاقتصادى فى انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى الحديثة ، ففى كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع الدكتور سعيد عاشور تحت عنوان «النهضات الأوروبيةفى العصور الوسطى وبداية الحديثة » انفرد بدراسة تحت عنوان «النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر » وفيها تعرض لصرامة نظام الطبقات فى أوروبا

العصور الوسطى بحيث أضحى الإنسان معه خاضعا فى كل نواحى حياته المهمة لمجموعة ضخمة من العادات والتقاليد الموروثة داخل طبقته حتى إذا ما ظهرت النهضة أخذت حواجز التقاليد العتيقة فى الانهيار[١٤٨] .

وفى كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع الدكتور محمد فؤاد شكرى تحت عنوان «أوروبا فى العصور الحديثة من النهضة الإيطالية حتى الثورة الفرنسية[١٤٩]» حاول ربط التكوين السياسى لأوروبا الحديثة بانتعاش النشاط التجارى بها فى أعقاب الحروب الصليبية ، وظهور الطبقة الوسطى الذى لعب دورا مهما فى هدم النظام الإقطاعى والقيام بعملية الكشوف الجغرافية وحركة الإصلاح الدينى.

وفى كتابه الذى نشره فى عام ١٩٧٨ تحت عنوان «تاريخ أوروبا بين الحربين العالميتين » تعرض فى جزء كبير منه للثورة الروسية الكبرى فى عام ١٩١٧ وسيطرة البلاشفة على الحكم وظهور الاتحاد السوفيتى، وطريقة بناء الدولة السوفيتية [١٥٠] .

وفى مجال دراسة الوثائق شارك الدكتور أنيس فى كتاب تحت عنوان «نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر » وقد اختار الفترة المعاصرة التى تبدأ بإعلان الحماية حتى مشروع تمويل السد

العالى فى عام ١٩٥٨ وذلك بغرض توعية الطلاب بقضايا بلادهم[١٥١] .

وهكذا يتضح لكل من يتصفح مؤلفات الدكتور أنيس بعناية أنه لم يركز اهتمامه على الأحداث السياسية والوقائع الحربية التى كان ينصرف إليها أغلب اهتمامات مؤرخى عصره بل اهتم بإبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعقلية وغيرها من مظاهر الحياة الإنسانية، فكان حكمه على الأحداث شاملا ومتزنا ، وكانت طريقته فى هذا المجال نبراسا يحتذى به، هذا إلى جانب الابتعاد عن السرد التاريخى والاهتمام بالجانب التحليلى، الكشف عن كل ما هو جديد من الوثائق ونقدها .

ومن المعروف أن آراء الدكتور أنيس لم تقتصر على كتبه فحسب، بل هناك مقالاته التاريخية والسياسية العديدة فى الصحف والمجلات وهى تحمل إشعاعات فكره، ولو أنها جمعت لشكلت تراثا مهما وعن هذه المقالات نذكر :

أولا : المقالات التاريخية

للدكتور أنيس دراسات تاريخية مهمة فى الصحف والمجلات المصرية والعربية نذكر منها :

«وثائق الثورة العرابية» التى نشرت فى مجلة الكاتب على

حلقات[١٥٢] ، و«الصراع بين الخليفة والورثة[١٥٣] » (محمد فريد وعلى فهمى كامل) و«الحزب الجمهورى ١٩٠٧ - ١٩٠٨[١٥٤] » و «سعد زغلول وضمير الأمة المصرية[١٥٥] » و«الأوراق الخاصة للورد كيلرن - السنة الأولى للمندوب السامى[١٥٦] ، والنحاس ومعاهدة ١٩٣٦[١٥٧] » وحادث ٤ فبراير ١٩٤٢[١٥٨] ، وحريق القاهرة[١٥٩] و« لماذا سمح الإنجليز للملك فاروق بإقالة حكومة الوفد بعد الحرب الثانية[١٦٠] و « ٢١ فبراير فى التاريخ المصرى[١٦١] » و«أزمة الحركة الوطنية إبان الحرب العالمية الأولى [١٦٢] » و«الاحتلال البريطانى والحركة الوطنية - مؤامرة شبرا ١٩١٢[١٦٣] » و«شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصرى الحديث[١٦٤] ».

وتكمن أهمية هذه الدراسات فى أن صاحبها يعد من المؤرخين المصريين القلائل الذين بذلوا جهدا كبيرا فى خدمة تاريخ مصر المعاصر والكتابة فيه من خلال وثائقه.

ثانيا : المقالات السياسية

وحول المقالات السياسية التى كتبها الدكتور أنيس فى الصحف والمجلات المصرية والعربية ، فهى عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : «العدوان الإمبريالى والثورة الاجتماعية[١٦٥] » و«الوحدة

الوطنيــة الفلسطينيــة[١٦٦] » و«ثورة على ضــفــاف النيل[١٦٧] » و«مسئوليـة الشعب بعد عبد الناصر[١٦٨]» و«الأبعاد التاريخية لمعركة الصمود الراهنة[١٦٩] » و«إسرائيل - هل اقتربت نهاية بن جوريون[١٧٠] » و«شئون عربية» حقيقة إلغاء القاعدة الأمريكية بالظهران[١٧١] » و«الثورة الدائمة[١٧٢] ».

وهكذا جعل الدكتور أنيس من تاريخ مصر قضية جماهيرية وعامة يشارك فيها كافة أبناء الشعب ، هذا عن نشاط الدكتور أنيس داخل مصر ، أما خارجها فقد عمل أستاذا بجامعات الجزائر والعراق واليمن الشمالية ، كما عمل مستشارا ثقافيا لإمارة أبو ظبى ومن خلال ذلك قدم آثارا واضحة للعيان سواء بالإسهام فى إنشاء قسم من أقسام التاريخ أوإصدار مجلة علمية أو كتابة بعض المقالات التاريخية فى الصحف.

ومما سبق يتضح أن التاريخ عند الدكتور أنيس لا يعدو أن يكون محاولة للإجابة عن بعض المشكلات التى تواجه مصر لذلك كانت طريقته فى المعالجة هى تحديد المشكلة ثم محاولة إيجاد الحلول لها بطريقة تتميز بالأصالة والعمق.

إن مشكلة الدكتور أنيس أنه عاش فى عصر شديد التعقيد ملىء بالتحديات ، عصر تفشت فيه الأنانية ، وانعدم فيه الوفاء والإخلاص

، فمع أنه عاش مرحلة انتقال مصر من الملكية إلى الجمهورية وعاصر فترة الناصرية بما لها وما عليها فإنه تعذب بأخطائها ، ومع أنه احترم أفكار رجالات الثورة فإنه لم يسترح إلى كثير ممن نسبوا أنفسهم إليها ، ومع أنه تعرض للكثير من العنت وسوء الفهم حتى من جانب بعض المقربين إليه ، فإنه كان يتميز بالسماحة وصفاء القلب ، وكان رده على هؤلاء هو الابتسامة ، وفتح أبواب الحوار لإزالة أى خلافات دون مجاملة فى الحق أو فى موقف يعتقده.

لقد صوره أعداؤه وبعض من لا يعرفونه جيدا كرجل مشاكس يميل إلى اختلاق المشاكل ولكن الواقع أنه كان صاحب شخصية متميزة لها طابعها الخاص ، وصاحب إرادة قوية لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الظروف والأحوال كما أنه كان صاحب نفس كبيرة ، ووطنيه متألقة دافقة وحب بارز لتاريخ مصر خاصة الحديث منه والمعاصر.

لقد كان الدكتور أنيس يكره الظلم ومحاولات قهر الإنسان ، ولم يكن يداهن أو يرائى بل كان كالمرآه الصافية متواضعاً لا يضيق صدره أو ينقبض قلبه من مزاح ، ومع غزارة علمه لم يكن يدعى المعرفة بكل شيء فإذا التبس عليه أمر من الأمور لم يجد غضاضة فى أن يحيل سائليه إلى المصادر التى يمكن من طريقها التحقق من

المعلومة التى يريدها .

وقد زاد من محبة الطلاب للدكتور أنيس أنه كان يحمل بين جنبيه قلبًا كبيرا مفعمًا بالحب والإخلاص، وكان إنسانا عطوفا يحس بإحساسهم ويتألم لآلامهم، ويتأثر بمشكلاتهم ومحنهم وأذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ واستمرار اعتداءات إسرائيل على مدن القناة، واضطرار الحكومة المصرية إلى تجهيز أهالى القنال إلى داخل البلاد علم الدكتور أنيس أن أسرة أحد تلاميذه كانت ضمن المهجرين، وأنها تعيش فى إحدى الخيام المعدة لذلك فأسرع بشراء بعض الهدايا لأطفال هذه الأسرة وأخذ يبحث عنها وسط خيام المهجرين بالقاهرة، حتى قابل عائلها، وكانت لمسات أنيس العطوفة ذات أثر جميل فى نفس هذه الأسرة فقد خففت عنها لوعة ما هى فيه، وأظهرت لها أن الدنيا ما تزال بخير .

وقد فكر الدكتور أنيس فى أواخر أيامه فى تجميع هذه المقالات فى كتاب كبير حتى لا يطويها النسيان ولكن وفاته المفاجئة حالت دون ذلك .

لقد ترك الدكتور أنيس فراغًا كبيراً فى قلوب تلاميذه وأصدقائه ومقدرى علمه، كما ترك فراغًا كبيراً فى ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمى، وأنه ليعز علينا أن يختفى هذا الكوكب اللامع

الذى لم تهادنه الأيام بصروفها ونوائبها، ومع ذلك ظل مدافعا عن الحق فى شده، مجاملا فى عزة، ودودا فى رقة، وتثير أحاديثه العجب والإعجاب والدهشة والتساؤل فكان بذلك من الأفذاذ الذين شقوا طريقهم بفكرهم وتركوا بصماتهم الواضحة فى ميدان الحركة التاريخية المصرية ، وإلى جانب ذلك كان قلمه فى يده «كالمبضع فى يد الجراح الماهر لا يشق إلا بتقدير ولا يقطع إلا بقدر» وإننى أغبط نفسى إذ عاصرته وتتلمذت عليه ولازمته.

الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

يقول عنه بعض تلاميذه والدارسين عليه أنه فتح آفاق المعرفة والقراءات الأوروبية من خلال الإيحاءات وأنه يتميز بالمقدرة الفذة على صياغة أكبر الأفكار بأبسط وأدق الألفاظ وأنه يتمتع بالنظرة الشاملة فى تحليل الحدث ولا ينغلق داخل رؤية محددة ضيقة [١٧٣] وأنه ترك حرية رؤية التفسير لتلاميذه ووجههم إلى تجنب التحيز العاطفى للزعماء وإضفاء هالات البطولة والتقديس عليهم.

ولد أحمد عبد الرحيم فى أسرة ريفية متوسطة الحال بسوهاج فى ٢٨ / ١١ / ١٩٢٥ فكان جده يعمل بالزراعة، وكان والده فى بداية حياته العملية موظفا بشركة للسجاير ، ثم ترك وظيفته واشتغل بالأعمال التجارية البسيطة[١٧٤].

وبعد أن أنهى أحمد عبد الرحيم دراسته الجامعية عمل مدرسا بالمدرسة الثانوية فى سوهاج ثم عين معيدا بجامعة ابراهيم باشا (عين شمس) فى عام ١٩٥١ ومن خلال ذلك سجل رسالته للماجستير فى جامعة فؤاد الأول تحت عنوان «علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩»[١٧٥] وكان

تحت اشراف الدكتور محمد فؤاد شكرى فى بداية الأمر ثم انتقل الإشراف إلى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بعد ذلك.

وبعد حصول أحمد عبد الرحيم على الماجستير فى عام ١٩٥١ سجل بحثه للدكتوراة أول الأمر فى كلية الآداب جامعة عين شمس عن المسألة المصرية من عام ١٨٧٩ إلى عام ١٨٨٢ ثم حصل على إجازة دراسية فى عام ١٩٥٢ إلى لندن وباريس للاطلاع على الوثائق المودعة بدور المحفوظات فى كل منهما ومن خلال ذلك سجل بحثه فى جامعة لندن تحت عنوان «شئون مصر الداخلية والخارجية ١٨٧٦ - ١٨٨٢»(١٧٦).

The Domestic and Foreign Affairs of Egypt 1867 to 1882.

وكان ذلك تحت إشراف الأستاذ هارولدبون Harold Bowen

وبعد أن حصل أحمد عبد الرحيم على الدكتوراة، عين مدرسا بآداب عين شمس فى عام ١٩٥٦ وتدرج فى سلك الدرجات العلمية حتى وصل إلى الأستاذية فى عام ١٩٦٨.

وللدكتور أحمد عبد الرحيم مؤلفات عديدة نذكر منها:

١- علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ وفيها قسم العلاقات بين مصر والباب العالى إلى أربعة

أقسام وهى مجهودات إسماعيل لتوطيد حكمه وحكم من يخلفه على أسس شرعية، والخدمات التى قدمها اسماعيل للدولة العثمانية، ومحاولات إسماعيل الجادة لتوسيع استقلال مصر الذاتى حتى نجح فى الحصول على لقب خديو، وعقد بعض الاتفاقات مع دول أوروبا، ثم فترة الأزمات بينه وبين الباب العالى والتى حاول اسماعيل من خلالها تجنب الصدام الشديد مع الآستانة حتى يتمكن من وقف الخطر الإنجليزى الفرنسى الداهم على مصر وانتهاء الأمر بخلعه بناء على إلحاح الإنجليز والفرنسيين على السلطان العثمانى.

ومع أن هذه الدراسة قد غطت فترة من أهم فترات التاريخ المصرى بشكل اعتمد فيه صاحبها على مجموعات مهمة من الوثائق الإنجليزية والفرنسية والمصرية، فإننا كنا نفضل أن يكون عنوانها علاقات الخديوى إسماعيل بالباب العالى بدلا من علاقات مصر بتركيا، خاصة وأن تركيا كدولة تحت هذا الاسم لم تكن قد ظهرت فى ذلك الوقت بل كان اسم الدولة العثمانية هو المسمى الغالب عليها.

٢ـ مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ ـ ١٨٨٢

وهذه الدراسة كما ذكرنا ترجمة لرسالة الدكتوراة التى حصل عليها الدكتور أحمد من جامعة لندن.

وقد تناولت هذه الدراسة الأسباب التى أدت إلى خلع الخديو اسماعيل ومقدمات الثورة العرابية وتطرقت إلى مجلس شورى النواب والمذكرة المشتركة والوزارة الوطنية والمواجهة بينها وبين القوى المناهضة لها فى الداخل والخارج، والمؤامرات التى أحيكت ضد الحركة الوطنية حتى انتهى الأمر باحتلال إنجلترا لمصر قبل أن ينتهى مؤتمر الآستانة من النظر فى المسألة المصرية.

وفى رأينا أن تحليل المؤلف للصراع بين الدول الكبرى على مصر ينم على تمكنه من الإمساك بخيوط بحثه، كما يدل على قراءاته المتعددة فى العلوم السياسية وغيرها.

ومع أن الدكتور أحمد قد أوضح للقارىء فى هذه الدراسة المختصرات التى اتبعها فى كتابة الهوامش فإن البعض يتحفظ على الطريقة التى كتب بها عنوان الوثائق الإنجليزية عندما ترجم For-eign office إلى ف. و .. ومع ذلك F.O التى يساوى اختصارها فلكل طريقته فى توضيح ما يراه مناسبا.

وإلى جانب ذلك فللدكتور أحمد مؤلفات أخرى بعضها فى تاريخ مصر والآخر فى تاريخ العالم العربى.

وعن كتاباته فى تاريخ مصر نذكر:

«تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة [١٧٧]» و«مشكلة قناة

السويس ١٨٥٤-١٩٥٨»[١٧٨] و«تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة»[١٧٩] و«العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦-١٩٥٦»[١٨٠] و«شفيق غربال مؤرخا»[١٨١] و«شخصيات مصرية»[١٨٢].

يضاف إلى ذلك أنه شارك فى العديد من الندوات ببحوث مهمة نذكر منها «الجبرتى مؤرخا»[١٨٣].

أما عن كتابات الدكتور أحمد فى تاريخ المشرق العربى فنذكر منها «حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث»[١٨٤] و«الولايات المتحدة والمشرق العربى»[١٨٥] و«مضايق تيران ومشكلة الشرق الأوسط»[١٨٦].

ولم تقتصر جهود الدكتور أحمد على التأليف، بل قام بترجمة بعض الكتب التاريخية المهمة إلى العربية ومن ذلك نذكر ترجمته لكتاب ستون ويليمز» بريطانيا والدول العربية - عرض للعلاقات الإنجليزية المصرية ١٩٢٠-١٩٤٨»[١٨٧] وكتاب هاملتون جب وهارولد بووين «المجتمع الإسلامى والغرب»[١٨٨].

وقد أشرف الدكتور أحمد عبد الرحيم على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة، ومن أبرز تلاميذه الدكتور عبد الخالق لاشين والدكتور عاصم دسوقى.

ورغم إعارة الدكتور أحمد إلى جامعة الكويت واستمراره بها سنوات طويلة فإن علاقته بزملائه وطلابه لم تنقطع فاستمر يمدهم بالمشورة والإرشاد كلما طلب منه ذلك كما استمر فى عطائه العلمى الذى أثرى به المكتبة التاريخية المصرية.

وفى النهاية يمكن القول أنه بفضل هؤلاء الرواد وغيرهم شقت المدرسة التاريخية المصرية طريقها بخطوات متقدمة إلى درجة لم يعد تاريخنا حكرا على دراسات المستشرقين بل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة أن الباحث الأوروبى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع إلى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه.

وهذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى، والسير على قواعده قد أصبح أمرا واقعا، ومعلما رئيسيا لا يستطيع أحد أن ينكره أو يتجاهله كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضخما من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر بكافة جوانبه.

هوامش :

١ـ من كلمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى حفل تأبين الأستاذ محمد شفيق عربال .

٢ـ انظر كلمة الأستاذ أرنولد توينبى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى أثناء تأبين الأستاذ غربال .

٣ـ كتب غربال فصلا بالإنجليزية عنوانه «الآراء والحركات فى التاريخ الإسلامى» Ideas , movements in Islamic History ضمن كتاب منشور ظهر فى أمريكا فى عام ١٩٥٨ وعنوانه «الإسلام الدين القويم» .

٤ـ مذكرة مقدمة من كلية الآداب جامعة القاهرة بترشيح الأستاذ عربال لجائزة الدول التقديرية سنة ١٩٦٠م.

٦ـ أبو حديد : المقال السابق ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

٧ـ نشرت هذه الدراسة فى عام ١٩٥٠ ، وهى تعالج فترة غامضة من تاريخ مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وتوضح أنه فى عهد على بك الكبير أصبحت لمصر شخصية متميزة فلأول مرة فى العصر العثمانى الأول اتصلت مصر مباشرة بالسياسة الخارجية فنجح على بك فى عقد اتفاقات جمركية مع الإنجليز ، كما حاول عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية ، للتفاصيل انظر · محمد رفعت رمضان ـ على بك الكبير القاهرة ١٩٥٠ ص ٢٣٣ .

٨ـ طبع فى خمسة أجزاء ، ويعد من أبرز ما كتب عن التعليم فى مصر .

٩ـ قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأهم ما يميزها أن بها دراسة عن خط القيرمة فضلا عن قاموس خاص

بمصطلحات خاصة بالعصر العثمانى وللأسف لم يتم نشر هذه الرسالة حتى الآن واختفت النسخة الموجودة بمكتبة جامعة القاهرة.

١٠- حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دراسة فى علم التاريخ، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٤ ص ٢٠٤.

١١- لا تزال هذه الدراسة باللغة الإنجليزية ولم تترجم إلى العربية بعد.

١٢- انظر مجلة كلية الآداب· المجلد الرابع جـ ١، مايو ١٩٣٦ ص ١ - ٧١. والجدير بالذكر أن المؤرخ الأمريكى سانفورد شو Stanford shaw قد قام بنشر هذا المخطوط فى عام ١٩٦٤ تحت عنوان Ottoman Egypt in the age of French Revolution.

١٣- نشر ضمن سلسلة أعلام الإسلام فى عام ١٩٤٤ وأعادت دار الهلال نشره فى أكتوبر ١٩٨٦.

١٤- نشرته مكتبة النهضة المصرية فى مايو ١٩٥٢ أى قبيل ثورة ٢٣ يوليو بشهرين.

١٥- أذيعت هذه الأحاديث بعد ذلك من محطات إنجليزية وأمريكية متعددة.

١٦- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، المجلد الرابع عشر مدريد، ١٩٦٧- ١٩٦٨ ص ٧ - ٤٧.

١٧- مذكرة مقدمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية ١٩٦٠.

١٨- انظر على سبيل المثال مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية المجلد الثانى، العدد الأول، القاهرة، مايو ١٩٣٤ دراسة بعنوان «أمير سورى فى إيطاليا» ص ٧٦- ١١١.

١٩- انظر مادة (الترك) فى الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية.

٢٠- المجلة التاريخية المصرية: مقال الدكتور عزت عبد الكريم سابق الذكر ص

. ٢٥

٢١ـ جامعة القاهرة : دليل كلية الآداب ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ص ١٠٠ .

٢٢ـ ظل غربال بوزارة التربية إلى أن أحيل إلى التقاعد فى عام ١٩٥٤ بعد أن بلغ الستين .

٢٣ـ المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ ص ٧ كلمة الأستاذ محمد رفعت .

٢٤ـ للتفاصيل انظر كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ١٤٧ ـ ١٥٢ .

٢٥ـ مذكرة مقدمة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠ .

٢٦ـ المذكرة المقدمة من الجمعية التاريخية سابقة الذكر .

٢٧ـ محمد مهدى علام : مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ، المجمعيون القاهرة ، ١٩٦٦ ص ١٨٠ .

٢٨ـ Abdel Rahman Zaki: Mohammed Shafik Ghorbal 1894 - 1961, Cairo , 1962

٢٩ـ ذكر البعض أن مولده كان فى عام ١٨٩٠ ، انظر على سبيل المثال فتحى رضوان : أفكار الكبار .

٣٠ـ عرف بالسربونى نسبة إلى جامعة السربون التى تلقى العلم بها وقد غلب عليه هذا اللقب .

٣١ـ أحمد حسين الطماوى : صبرى السربونى سيرة تاريخية وصورة حياة ، القاهرة ، أعلام العرب ١٩٨٦ ص ٢٤ علما بأن موطن أسرته الأصلى هو مدينة بلبس شرقية .

٣٢ـ طه حسين : الأيام جـ ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ص ١١٧ ـ

.١١٨

٣٣ـرغم أن الدكتور طه حسين أشاد بموقف صبرى السربونى منه لابتهاجه بنجاحه رغم إخفاقه هو فى الامتحان فإن السربونى كان له قول آخر فى طه حسين، ولا ندرى إذا كان قد أصاب عين الحقيقة أم لا عندما أعلنت نتيجة الليسانس لم يجد اسمه ولا اسم طه حسين، ثم وجد بعد ذلك اسم طه حسين محشورا بين السطور بعد أن ذهب طه وزوجته سوزان إلى السربون ، واستدر عطفهم واستثار شفقة هيئة الممتحنين عليه.

انظر الأيام جـ٣ ص ١٢٠ ، والطماوى ص ٤٨ .

٣٤ـلتفاصيل ذلك انظر : الطماوى ص ١٦٢ ـ ١٦٤ .

٣٥ـانظر الإمبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر، القاهرة مطبعة مصر ١٩٤٩ ص ٦.

٣٦ـالجمهورية فى ٢٠ / ٩ / ١٩٦٤ .

٣٧ـالكاتب: ديسمبر ١٩٦١ .

٣٨ـالطماوى: المرجع السابق ص ٧٨ .

٣٩ـقررت وزارة المعارف هذا الكتاب على طلاب مدرسة المعلمين العليا فى عام ١٩٢٨ ، ولكنها سرعان ما أمرت بإلغائه بعد قليل وقررت مكانه كتاب محمد رفعت المعنون «تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة».

٤٠ـانظر الإمبراطورية السودانية ص ٤ .

٤١ـانظر على سبيل المثال صفحات ٤٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٣ من كتاب الإمبراطورية السودانية.

٤٢ـانظر كتاب القناة ـ أسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨ ص ٣ .

٤٣ـانظر الجزء الأول من المذكرات ، المقدمة ص (أ) .

٤٤ـالمقدمة ص (د) .

٤٥ـ دار الوثائق القومية : محافظ عابدين، محفظة ٢٣١ ، الجامعة المصرية ملف بعنوان «جمعيات ومعاهد وأندية في مصر».

والجدير بالذكر أن الخديو عباس حلمي الثاني كان قد كلف حسين فخرى باشا بتأليف نظارة جديدة بدلا من رئيس النظار مصطفى فهمى دون أخذ رأى الإنجليز ، مما أدى إلى حدوث الأزمة المعروفة فى التاريخ بالأزمة الوزارية ١٨٩٣ للتفاصيل انظر كتابنا «مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر» القاهرة ١٩٩٢ ص ١٦٤ ، وكتابنا الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى ص ٦٥ - ٧٥.

٤٦ـ دار الوثائق القومية، محافظ عابدين ، محفظة ٢٣١ ملف بعنوان جمعيات ومعاهد وأندية فى مصر.

٤٧ـ للتفاصيل انظر الطماوى: المرجع السابق ص ٣٦٧ وما بعدها.

٤٨ـ دار الوثائق القومية : ملفات البعثات، ملف رقم ١٢٨ بعثة ١٩٣١.

٤٩ـ المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ١٩٦٣.

٥٠ـ دار الوثائق القومية · محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١ ـ الجامعة المصرية، مذكرة عن حالة الدكتور / محمد فؤاد شكرى بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٣٧.

٥١ـ محمود صالح منسى: قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردينان دى لسبس تحت عنوان «وفاء وتقدير».

٥٢ـ محمد فؤاد شكرى· مصر فى مطلع القرن التاسع عشر جـ ١ القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٨ ، تصدير الكتاب ص (و).

٥٣ـ انظر كتابه· الصراع بين البرجوازية والإقطاع ١٧٨٩ ـ ١٨٤٨ المجلد الأول.

٥٤ـ انظر كتابه مصر فى مطلع القرن التاسع عشر جـ ١ ص (و).

٥٥ـ تم إجازتها فى عام ١٩٥٥.

٥٦ـ تم إجازتها فى عام ١٩٥٧ .

٥٧ـ تم إجازتها فى عام ١٩٦١ .

٥٨ـ تم إجازتها فى عام ١٩٥٨ .

٥٩ـ تم إجازتها فى عام ١٩٦٣ .

٦٠ـ تم إجازتها فى عام ١٩٥٧ .

٦١ـ تم إجازتها فى عام ١٩٥٨ .

٦٢ـ تم إجازتها فى عام ١٩٦٠ .

٦٣ـ تم إجازتها فى عام ١٩٦١ .

٦٤ـ تم إجازتها فى عام ١٩٦١ .

٦٥ـ تم إجازتها فى عام ١٩٦٢ .

٦٦ـ القاهرة مكتبة الخانجى ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢م.

٦٧ـ قامت دار المعارف بنشره.

٦٨ـ طبعته جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨ فى ثلاثة أجزاء.

٦٩ـ بالاشتراك مع عبد المقصود العنانى وسيد خليل وقد نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٨ .

٧٠ـ نشرت بالقاهرة فى عام ١٩٥٧ .

٧١ـ نشرت بالقاهرة فى عام ١٩٤٨ .

٧٢ـ نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٦ .

٧٣ـ نشرته دار المعارف فى عدة طبعات كان آخرها الطبعة الثالثة فى عام ١٩٦٣.

٧٤ـ نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٥٨ .

٧٥ـ بمناسبة مرور ما يقرب من ثلاثين عاما على وفاته رأت الجمعية التاريخية إقامة محاضرة عنه تتفق ومكانته العلمية، فألقى تلميذه الدكتور محمد

عبد الرحمن برج هذه المحاضرة بمقر الجمعية فى ١٩ ديسمبر ١٩٩٣ تحت عنوان «محمد فؤاد شكرى مؤرخا».

٧٦ـ انظر كتابه منهج البحث التاريخى، القاهرة، دار المعارف الطبعة الرابعة ص ٤٤.

٧٧ـ المجلة التاريخية المصرية· المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤ من خطاب تأبين الدكتور حسن عثمان الذى ألقاه الدكتور محمد السروجى.

٧٨ـ من حديث الدكتور عزت عبد الكريم فى أثناء حفل التأبين.

٧٩ـ ولد فى فلورنسا عام ١٢٦٥، وتمثلت فيه آثار العصور الوسطى مع تراث العصور القديمة وثقافة العصر الذى عاش فيه.

٨٠ـ حسن عثمان: منهج البحث التاريخى ص ٩٤.

٨١ـ انظر أعداد مجلة الرسالة أغسطس ـ ديسمبر ١٩٤١.

٨٢ـ انظر مجلة الرسالة عدد ١٧ نوفمبر ١٩٤١.

٨٣ـ انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، المجلد السادس ١٩٤٢.

٨٤ـ انظر مجلة الثقافة الأعداد ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٥ سبتمبر ـ نوفمبر ١٩٤٣.

٨٥ـ المجلة التاريخية المصرية: المجلد الأول أكتوبر ١٩٤٨.

٨٦ـ انظر مجلة الكاتب المصرى: العدد ٣١ من المجلد الثامن، أبريل ١٩٤٨.

٨٧ـ انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ ١ المجلد ١١ مايو ١٩٤٩.

٨٨ـ انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ٢ المجلد ١١ ديسمبر ١٩٤٩.

٨٩ـ انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ ٢ المجلد ١٢ ديسمبر ١٩٥٠.

٩٠ـ انظر مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة جـ١ المجلد الثامن عشر مايو

. ١٩٥٨

٩١- انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ١٩٥٦ .

٩٢- انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، العدد الرابع ١٩٦٠ .

٩٣- من خطاب التأبين للدكتور السروجي ص ٦ .

٩٤- اعتمد المؤلفان في هدا الكتاب على العديد من الوثائق التركية التي تتعلق بتاريخ الإدارة العثمانية في مصر .

٩٥- شارك في تأليف هذا الكتاب الأساتذة :سليمان حزين، وعبد المنعم أبو بكر، وابراهيم نصحى، وحسن ابراهيم، وحسن عثمان وأحمد عزت عبد الكريم، ومحمد مصطفى صفوت، وكان الهدف من تأليفه وصع الحجر الأول في كتابه تاريخ شامل لمصر باللغة العربية .

٩٦- من خطاب التأبين للدكتور السروجي ص ١٠ .

٩٧- د . السروجي : من حطاب التأبين.

٩٨- أوضح ذلك رفيق صباه الدكتور عبد الحميد البطريق في مقابلة لى معه من خلال صيف ١٩٩٢ .

٩٩- من مذكرة قدمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية إلى المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية عام ٧٢ - ١٩٧٣ .

١٠٠- سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسه ص ٥ .

١٠١- أبو الفتوح رضوان : التاريخ في مناهج الدراسة بمصر ص ١٤٣ .

١٠٢ نشرته مكتبة النهضة المصرية في عام ١٩٣٨ .

١٠٣- تولت وزارة المعارف طبع هذه الأجزاء لأهميتها العلمية والتعليمية .

١٠٤- للتفاصيل انظر المجمل في التاريخ المصرى ص ٢٨٥ - ٣٧٥ .

١٠٥ـ الكتاب: المجلد السادس في يونيو ١٩٤٨ ص ١٣٢.

١٠٦ـ نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى عام ١٩٥٩.

١٠٧ـ نشرتها دار المعارف في عام ١٩٤٨ وقد شارك فى ترجمتها الأستاذ توفيق اسكندر.

١٠٨ـ أستاذ التاريخ البيزنطى بجامعة باريس وعضو المجمع الفرنسي.

١٠٩ـ مذكرة الجمعية التاريخية بشأن ترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية.

١١٠ـ انظر العدد الأول من السلسلة.

١١١ـ د. عبد المنعم الجميعى: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ص ١٥٧.

١١٢ـ انظر كتابه «أوروبا في مطلع العصور الحديثة» جـ ١ القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ص ١٣ ـ ١٤.

١١٣ـ انظر المجلة التاريخية المصرية، المجلد التاسع ١٩٦٢ ص ١١٧ ـ ٢١٣.

١١٤ـ انظر دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر، القاهرة وزارة الثقافة، ١٩٧١ ص ٥٠ ـ ٥١.

١١٥ـ انظر العدد ٦٧ من سلسلة اعلام العرب.

١١٦ـ أصدرت مكتبة الأنجلو المصرية الجزءان الأول والثانى فى عام ١٩٨٠ والجزء الثالث فى عام ١٩٨٣ أما الجزء الرابع والأخير فقد صدر فى عام ١٩٨٦ بعد أن وافاه الأجل بقليل.

١١٧ـ انظر جـ ١ المقدمة ص ٦.

١١٨ـ فى الحقيقة أن علماء الأزهر من خلال الثورة العرابية لم يقف جميعهم بجانب رجالات الثورة بل أن منهم من انضم إلى الخديو توفيق، ومنهم من لازم الحياد.

للتفاصيل انظر كتابنا الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية ص ٩٣ - ١١٢ تحت عنوان «موقف علماء الأزهر من الثورة العرابية».

١١٩- نشرته جامعة الرياض فى عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

١٢٠- نشرته دار الفكر العربى.

١٢١- نشره المركز العربى للبحث والنشر بالقاهرة فى عام ١٩٨٠.

١٢٢- أبو الفتوح رضوان: التاريخ فى مناهج الدراسة بمصر ص ١٤٣.

١٢٣- يكلف الطلاب من خلال استخدام هذه الطريقة باختيار موضوع للدراسة يدخل فيه التاريخ والجغرافيا كمحور للمناقشة والبحث.

١٢٤- صحيفة التربية العدد الرابع يوليو ١٩٥٠.

١٢٥- من ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٩٤٨ مجموعة أبحاث ودراسات لتاريخه تنشرها الجمعية التاريخية بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته ص ٣ - ٣١.

١٢٦- مجلة كلية الآداب بالجامعة الأردنية ، المجلد الأول، العدد الأول يناير ١٩٦٩ ص ٤٩ - ٦٠.

١٢٧- نشره معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة فيعام ١٩٦٩.

١٢٨- نشرته دارالمعارف.

١٢٩- حولية كلية البنات جامعة عين شمس يوليو ١٩٦٤.

١٣٠- نشرته جامعة الرياض.

١٣١- حولية كلية البنات جامعة عين شمس.

١٣٢- نشر ضمن كتاب الموسم الثقافى لجامعة الرياض ١٩٧٤.

١٣٣- سلسلة اخترنا لك.

١٣٤- ضمن ندوة وثائق تاريخ العرب التى أقامها سمنار جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٧.

١٣٥ـ وزارة الدفاع ، الكلية الحربية : تاريخ الجيش ١٩٨١.

١٣٦ـ كانت أسرة الدكتور أنيس فقيرة من ناحية الأب وفقيرة من ناحية الأم والذى شجع أفرادها على مواصلة التعليم هو الشيخ على الشهداوى خال غير شقيق لأم الدكتور محمد أنيس حيث كرس وقته لتعليم أفراد الأسرة للتفاصيل : انظر تعليق الدكتور عبد العظيم أنيس فى تكريم محمد أنيس المواجهة : الكتاب السابع صيف ١٩٨٨ ص ١١٩.

١٣٧ـ اسمها حاليا الحسينية الثانوية.

١٣٨ـ د. على بركات : التاريخ وقضايا المنهج فى مصر المعاصرة ـ قضايا فكرية ١٩٩٢ ص ٨٣. وقد استقى المعلومات الخاصة بالأصول الاجتماعية لمحمد أنيس عن طريق لقائه بالدكتور عبد العظيم أنيس ومناقشته فى هذا الموضوع.

١٣٩ـ الأخبار فى ٧ / ٩ / ١٩٨٦ مقال للأستاذ نبيل زكى تحت عنوان «لله وللتاريخ».

١٤٠ـ الأهرام فى ٧ / ٩ / ١٩٨٦ مقال للدكتور عادل غنيم تحت عنوان «محمد أنيس ... المؤرخ الوطنى الذى فقدناه».

١٤١ـ إن تأثير القومية على كتابات المؤرخين الألمان والفرنسيين كان كبيرا وقد ظهر ذلك من خلال حركة بعث بروسيا وما تبعه من رواج فكره سمو الجنس الأرى بالنسبة للألمان، ومن خلال الثورة الفرنسية وتمجيد البعض لها بدرجة أخرجت كتاباتهم عن الموضوعية بالنسبة للفرنسيين.

١٤٢ـ أنشىء هذا المركز بقرار وزارى فى ٢٥ / ٦ / ١٩٦٤ باسم مركز دراسات التاريخ القومى، وكان يتبع مصلحة الاستعلامات التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد القومى فى ذلك الوقت ثم ضم إلى دار الكتب والوثائق القومية فى عام ١٩٦٦ ، وفى عام ١٩٦٧ تم تعديل اسم المركز إلى مركز وثائق وتاريخ

مصر المعاصر ، وصار تابعا لوزارة الثقافة ، وفى عام ١٩٧١ أصبح المركز واحدا من المراكز العلمية التى يضمها قطاع النشر والمراكز العلمية بالهيئة العامة للكتاب .

١٤٣ـ نشر معهد الدراسات العربية العالية هذه الدراسة فى عام ١٩٦٢ .

١٤٤ـ نشرت هذه الدراسة فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٨ جـ١ مايو ١٩٥٦ .

١٤٥ـ نشرت هذه الدراسة فى المجلة التاريخية المصرية المجلدان التاسع والعاشر ٦٠ـ ١٩٦٢ ص ٦٩ـ ١١٥ .

١٤٦ـ استطاع الدكتور أنيس فى هذه الدراسة إضافة بعض المعلومات الجديدة بالنسبة للجبرتى وأسرته ، وأن يثبت بالقطع أن عبد الرحمن توفى فى عام ١٢٤٠هـ/ ١٤ مايو ١٨٢٥ وليس كما يذكر البعض أنه توفى فى رمضان ١٢٣٧هـ يونيو ١٨٢٢ .

١٤٧ـ عبد الرحمن الجبرتى ـ دراسات وبحوث ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص ٩٥ ـ ١٢٠ .

١٤٨ـ انظر الفصل الرابع من الكتاب ص ٢٣٨ ـ ٣١٣ .

١٤٩ـ نشر بالقاهرة فى عام ١٩٦١ .

١٥٠ـ انظر صفحات الكتاب من ص ١٠٠ إلى ١٥٢ .

١٥١ـ عاصم دسوقى : محمد أنيس ودوره فى تعقيل دراسة التاريخ بالجامعة المصرية ، المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٤ .

١٥٢ـ الكاتب · اعداد يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر ١٩٦٩ .

١٥٣ـ الأهرام فى ٣ / ٨ / ١٩٧٣ .

١٥٤ـ الكاتب : ديسمبر ١٩٦٩ .

١٥٥ـ الهلال اغسطس ١٩٨٤ ص ٩٠ ـ ٩٧ .

١٥٦ـ الأهرام فى ٥ / ٣ / ٧٣ .
١٥٧ـ الأهرام فى ٦ / ٣ / ٧٣ .
١٥٨ـ نشرها الأهرام على حلقات فى عام ١٩٦٧ .
١٥٩ـ نشرها الأهرام على حلقات فى عام ١٩٦٩ .
١٦٠ـ الأهرام فى ١٣ / ١١ / ١٩٧٢ .
١٦١ـ روز اليوسف فى ٢١ / ٢ / ١٩٧٢ .
١٦٢ـ الأهرام فى ١٦ / ٦ / ١٩٧٢ .
١٦٣ـ الأهرام فى ٢٦ / ٥ / ١٩٧٢ .
١٦٤ـ المجلة :العدد ٥٨ فى نوفمبر ١٩٦١ .
١٦٥ـ الكاتب فى أكتوبر ١٩٦٧ .
١٦٦ـ الكاتب فى ابريل ١٩٧٠ .
١٦٧ـ الكاتب فى يوليو ١٩٦٩ .
١٦٨ـ الكاتب فى نوفمبر ١٩٧٠ .
١٦٩ـ الجمهورية فى ١٨ ابريل ١٩٦٨ .
١٧٠ـ الأهرام فى ١٥ مارس ١٩٦١ .
١٧١ـ الأهرام فى ٢٣ مارس ١٩٦١ .
١٧٢ـ الكاتب فى مايو ١٩٧٣ .
١٧٣ ـ ضمن حديث مع د . أحمد زكريا فى قسم التاريخ بآداب عين شمس فى ٣١ / ١ / ١٩٩٣ .
١٧٤ـ ضمن لقاء لى مع الدكتور أحمد عبد الرحيم فى قسم التاريخ بآداب عين شمس فى ديسمبر ١٩٩٢ .
١٧٥ـ نشرت دار المعارف هذه الدراسة فى عام ١٩٦٧ .
١٧٦ـ نشرت دار المعارف هذه الدراسة عام ١٩٦٢ بعد قيام المؤلف بعمل بعض

التعديلات الطفيفة عليها تحت عنوان «مصر والمسألة المصرية من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٨٨٢.

١٧٧ـ نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٧٣.

١٧٨ـ نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٦٧.

١٧٩ـ نشرته دار المعارف في عام ١٩٦٧.

١٨٠ـ نشره معهد البحوت والدراسات العربية في عام ١٩٦٨.

١٨١ـ مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادى عشر ١٩٦٣.

١٨٢ـ نشر صمن سلسلة كتاب الهلال العدد ٥١٦ في ديسمبر ١٩٩٣.

١٨٣ـ نشر ضمن عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث ص ٢٩ وما بعدها.

١٨٤ـ نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٧١.

١٨٥ـ نشره عالم المعرفة بالكويت في عام ١٩٧٨.

١٨٦ـ دراسة قدمها ضمن أبحاث الأسبوع العلمي الثالث لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس عام ١٩٧٩ انظر البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ص ٥٧١ ـ ٥٩٠.

١٨٧ـ نشر في عام ١٩٥٢.

١٨٨ـ نشر مرتان، والثانية كانت ضمن سلسلة تاريخ المصريين في عام ١٩٨٩.

الخاتمة

وهكذا يتضح أن مصر تعد من الدول التى كتب الكثيرون فى تاريخها ، سواء أكان هؤلاء من الأوروبيين أو الأمريكيين أو العرب أو من المصريين أنفسهم، وسواء أكانوا من الهواة في الكتابة التاريخية أو من الأكاديميين ، وبمعنى آخر فهى دولة وجدت من يتعرضون لتاريخها ويكتبون عن حوادثها وأخبارها من النازلين بها أو من أبنائها، وقد تناول بعض هؤلاء تاريخ مصر بطريقة تحامل فيها عليها وعلى شعبها ، أو تعاطف معها، وبعضهم كتبه وتناوله بمنهج علمى وحيدة تاريخية، وطبق عليه الدراسة العلمية الصحيحة وبعضهم الآخر كتبه بطريقة لا ترقى إلى هذا المستوى بل هى من قبيل القص واللصق.

والجدير بالذكر أنه رغم تقسيمنا لكتابات المؤرخين الأكاديميين إلى اتجاهات مختلفة فإنه يصعب في بعض الأحيان فصل هذه الاتجاهات عن بعضها فصلا تاما لتداخل بعضها مع الآخر.

يبقى لنا أن نتعرض لثلاث مسائل لابد من الوقوف عندها والإجابة عليها وهى:

١ـ هل يمكن إيجاد مدرسة تاريخية وطنية لحما ودما تنبع أفكارها

وتتميز أوصافها بعمق وجودنا المصرى ودورنا الحضارى بدلا من استيراد تيارات ونظريات المدارس الأجنبية ومسايرتها ونقل أفكارها؟ وهل يمكن العمل على بروز نظرية تاريخية مصرية تعتمد على نفسها وتتميز بخصالها وأوصافها التى تنفرد بها عن غيرها من النظريات ، وتجعلنا نتصل اتصالا عميقا بوجودنا المصرى فى ماضيه وحاضره وتطبع دراستنا التاريخية بالطابع المصرى الأصيل الذى يجمع بين الأصالة والتجديد.

قد يقول البعض أن العلم لا وطن له، وأن الحضارة الإنسانية ممتزجة الثقافات ، وأن الدراسة التاريخية لا يجب أن تكون نابعة من نظريات إقليمية بل يتحتم مزجها بالمدارس الأخرى التى استقرت مفاهيمها وأصبحت كاللغة المتداولة بين المؤرخين.

وقد يقول بعض آخر ، أن جيل الرواد من المؤرخين المصريين تلقى دراسته فى أوروبا، ونهل من علومه إلى مناهجنا وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية مما يصعب تغييره، وهذا حقيقى إلى حد كبير ولكنه لا يمنع من أن يكون للمدرسة التاريخية المصرية شخصية متفردة فى اتجاهاتها بحيث يستمد المؤرخ المصرى اتجاهه وفلسفته من واقع فهم مصرى للتاريخ، ومن واقع البيئة المصرية حتى يكون لما نكتبه نظرة مميزة ليست بالحتم بعيدة عن المدارس الأوروبية ،

ولكنها قريبة من وجودنا ومن ثقافتنا ، ومتصلة اتصالا عميقا بنفوسنا المصرية، ولكن كيف نصل إلى ذلك؟

هذا ما يجب على المؤرخين المصريين الانكباب على دراسته والوصول إليه.

٢ـ هل كل من يعمل بالدراسات التاريخية يعد مؤرخًا؟

الواقع أن للمؤرخ مواصفات قد لا تتوافر في الكثير من يعملون في حقل الدراسات التاريخية ويعتبرون إطلاق لفظ مؤرخ عليهم من حقوقهم المشروعة التي لا يجب المساس بها بل يجب أن تطلق هذه الكلمة فقط على كل من يستطع إضافة نظرية أو رؤية جديدة لعلم التاريخ والمدرسة التاريخية.

٣ـ هل آن الأوان لإعادة النظر في تحديد بداية جديدة لتاريخ مصر الحديث غير الفتح العثماني (١٥١٧) الذي يحمل في طياته ملامح العصور الوسطى فنبحث عن نقطة تحول واضحة ومؤثرة في أوضاع مصر من كافة مناحيها كي تكون بداية منطقية لهذا التاريخ.

الواقع أن ذلك يقتضي وقفة جادة من المؤرخين المصريين والجمعية المصرية للدراسات التاريخية بصفة خاصة حتى يتم الاتفاق على تحديد واضح لهذا التاريخ.

ثبت المصادر والمراجع

أولا : الوثائق

(أ) غير المنشورة

دار الوثائق القومية بكورنيش النيل القاهرة :

١ـ محافظ عابدين ـ محفظة رقم ٢٣١ ، الجامعة المصرية

ـ ملفات البعثات

ـ بعثة الفهمية ملف صلاح الدين أحمد سالم العقاد

(ب) وثائق منشورة :

ـ أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية ، المجلد ١٨١٠ ـ ١٨٣٢ .

ـ محاضر جلسات شورى القوانين ١٨٩٥ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٧ .

ـ الوزارات المصرية ، الجزء الثاني ١٩٥٣ ـ ١٩٦١ القاهرة ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٨٩ .

ثانيا : المذكرات

ـ مذكرات أحمد عرابى المسماة كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية ، مخطوط بدار الوثائق تحت رقم ١٥٤٢ .

ـ مذكرات محمد فريد وتنقسم إلى قسمين :

القسم الأول وقد قام الدكتور رؤوف عباس بتحقيقه والقسم الثانى نشره مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فى مجلدين الأول تحت عنوان «مذكراتى بعد الهجرة والمجلد الثانى تحت عنوان «المراسلات»

ثالثا: أهم المؤلفات والدراسات

أ-العربية :

-إبراهيم عامر : الأرض والفلاح، القاهرة، الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٨.

ثورة مصر القومية، القاهرة، دار النديم، ١٩٥٧.

-أحمد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك، القاهرة، لجنة البيان العربى، ١٩٥٠.

-أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢٥.

-أحمد الحته: تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر القاهرة، النهضة المصرية ١٩٥٨.

-أحمد حسين الطماوى. صبرى السربونى - سيرة تاريخية وصورة حياة، القاهرة، أعلام العرب ١٩٨٦.

-أحمد زكريا الشلق: حزب الأمة ودوره فى السياسة المصرية القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩.

حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢-١٩٥٣ القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢.

-أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن القاهرة، مطبعة مصر ١٨٩٣٤

حوليات مصر السياسية، اتلقاهرة، ١٩٢٦.

أعمالى بعد مذكراتى القاهرة، مطبعة مصر ١٩٤١.

-أحمد عبد الرحيم مصطفى: تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧.

-تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة، القاهرة معهد الدراسات العربية ١٩٧٣.

- حركة التجديد فى العالم العربى الحديث، القاهرة معهد الدراسات العربية، ١٩٧١.
- شخصيات مصرية، القاهرة كتاب الهلال ديسمبر ١٩٩٣.
- مصر والمسألة المصرية فى ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢ القاهرة ١٩٦٠.
أحمد عرابى: كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، القاهرة مطبعة مصر د. ت
أحمد عزت عبد الكريم: - تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على، القاهرة النهضة المصرية، ١٩٣٨.
- تاريخ التعليم فى مصر - عصر عباس وسعيد، القاهرة مطبعة النصر ١٩٤٥.
اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار (٣ أجزاء) القاهرة، مطبعة بولاق ١٨٩٤.
ألبرت فارمان:
مصر وكيف غدر بها - ترجمة عبد الفتاح عنايت القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٩٦٤.
أمين سامى:
تقويم النيل (٣ أجزاء) القاهرة مطبعة دار الكتب بين أعوام ١٩٢٨ - ١٩٣٦.
- تاريخ التعليم فى مصر بين سنتى ١٩١٤ - ١٩١٥
القاهرة، مطبعة المعارف، ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م
انجلو ساماركو:
الحقيقة فى مسألة قناة السويس - ترجمة طه فوزى القاهرة ١٩٤٠.
بهاء الدين علوان :

عبد الرحمن الرافعي مؤرخ مصر الحديثة، القاهرة، أعلام العرب ، ١٩٨٧ .
بيير كرابيتس:
إسماعيل المفترى عليه - ترجمة فؤاد صروف القاهرة، دار النشر الحديث ١٩٣٧.
جاك كرابس:
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر - ترجمة عبد الوهاب بكر - القاهرة ، الألف كتاب الثانى (١١٨) ١٩٩٣م.
جامعة القاهرة: دليل كلية الآداب ١٩٦٨ - ١٩٦٩ .
جرجس حنين:
- الضرائب والأطيان فى القطر المصرى، القاهرة مطبعة بولاق، ١٩٠٤ .
جرجى زيدان:
- تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٤ القاهرة مطبعة الهلال ١٩١٤ .
- تاريخ مصر الحديث مع فذلكة فى تاريخ مصر القديم المقتطف ١٨٨٩ .
- تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر (جزءان) القاهرة، مطبعة الهلال ١٩٢٢ .
جمال الدين الشيال.
- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥١ .
- التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر ، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٥٨.
جمال زكريا قاسم:
- التطور السياسى للخلية العربى - دراسة لتاريه الإمارات العربية بين عامى ١٩١٤ - ١٩٤٥ القاهرة، دار الفكر العربى ، ١٩٧٣ .

ـ الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ ـ ١٩٧١ ، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤ .

حسن عثمان :

منهج البحث التاريخى، القاهرة، دار المعارف الطبعة الرابعة .

حسين مؤنس :

التاريخ والمؤرخون ، دراسة فى علم التاريخ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤ .

حمادة اسماعيل :

صناعة تاريخ مصر الحديث ـ دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى القاهرة ، سلسلة مصر النهضة .

راشد البراوى :

ـ التفسير الاشتراكى للتاريخ، القاهرة النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

ـ حقيقة الإنقلاب الأخير فى مصر ، القاهرة ، النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٥٢ .

ـ حرب البترول فى الشرق الأوسط : القاهرة، النهضة النهضة المصرية ١٩٥٠ .

رفاعة الطهاوى :

ـ تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ـ القاهرة ـ وزارة الإرشاد والثقافة والإرشاد القومى ١٩٥٨ .

ـ مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ـ القاهرة ـ دار الطباعة الأميرية د . ت .

رؤوف عباس :

ـ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢ القاهرة، دار الكاتب العربى

.١٩٧٦

- الملكيات الزراعية الكبرى وأثرها فى المجتمع المصرى ١٨٣٧ - ١٩١٤ القاهرة، النهضة المصرى ١٩٨٣.

- المجتمع اليابانى فى عصر مايجى ١٨٦٨ - ١٩١٢ دار الكتاب الجامعى .١٩٨٠

زكي مجاهد:

الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشر الهجرية القاهرة، مكتبة مجاهد، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

شهدى عطية الشافعي:

تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨٨٢ - ١٩٥٦ القاهرة، الدار المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٧.

صلاح العقاد:

- الشرق العربى المعاصر، القاهرة، الإنجلو المصرية ١٩٧٩.

- التيارات السياسية فى الخليج العربى، القاهرة الإنجلو المصرية، ١٩٧٤.

- المغرب العربى من الاستعمار الفرنسى إلى التحرر القومى القاهرة، الإنجلو المصرية د.ت.

طه حسين:

الأيام جـ ٣، القاهرة، دار المعارف الطبعة الثانية.

عادل غنيم:

- الحركة الوطنية الفلسطينية من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٣٦ القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤.

- الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٠.

- القوى الاجتماعية فى فلسطين مابين الحربين ، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠.
عاصم دسوقى:
- كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ - ١٩٥٢ ، القاهرة، دار الثقافة الجديدة.
- ثورة ١٩١٩ فى الأقاليم، القاهرة، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨١ .
- مصر فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٦ .
عباس العقاد:
- عبد الرحمن الكواكبى ، القاهرة، دار نهضة مصر .
- محمد عبده، القاهرة، وزارة التربية والتعليم ١٩٦٢ .
عبد الحليم عويس:
- فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية، القاهرة دار الصحوة ، ١٩٨٦ .
عبدالحميد البطريق:
إبراهيم باشا فى بلاد العرب دراسة ضمن كتاب ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٤٨ .
عبد الخالق لاشين:
- سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤ ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١ .
- سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية بيروت، دار العودة ، ١٩٧٥ .
- دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة (بالاشتراك) القاهرة ، ١٩٧٦.
عبد الرحمن الجبرتى:

ـ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٢٩٧هـ.
ـ مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، وزارة التربية والتعليم ١٩٦١.
عبد الرحمن الرافعي:
ـ تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم (جزءان) القاهرة، النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٥١.
ـ عصر إسماعيل (جزءان) القاهرة ١٩٤٨.
ـ الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٤٩.
ـ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، القاهرة ١٩٦٢.
ـ مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢ ـ ١٨٩٢ القاهرة ١٩٦٦.
ـ محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية القاهرة١٩٦١.
ـ ثورة ١٩١٩ (جزءان) القاهرة ١٩٤٦.
ـ فى أعقاب الثورة (ثلاثة أجزاء) القاهرة، الدار القومية للنشر، ١٩١٦.
ـ مقدمات ثورة ٢٣ يوليو القاهرة الطبعة الأولى ١٩٥٧.
عبد الرحمن الكواكبى:
طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، القاهرة المطبعة التجارية الكبرى ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.
عبد العزيز الشناوى:
ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها (٤ أجزاء) القاهرة، الإنجلو المصرية.
ـ أوروبا فى مطلع العصور الحديثة، القاهرة، الإنجلو ١٩٨٠.
عبد العزيز رفاعى:
أحمد شفيق المؤرخ حياته وآثاره، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤.

عبد العزيز نوار:
داود باشا والى بغداد ١٨١٧ - ١٨٣١ القاهرة، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨.
- تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨.
عبد العظيم رمضان:
- تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٦٨.
- تطور الحركة الوطنية في مصر منذ ابرام معاهدة ١٩٣٦ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية بيروت ١٩٧٣.
- صراع الطبقات في مصر ١٨٣٧ - ١٩٥٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨.
- الصراع الاجتماعي والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية مارس ١٩٥٤ ، القاهرة (١٩٧٥).
- عبد الناصر وأزمة مارس القاهرة، روز اليوسف (١٩٧٦).
- الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ القاهرة الهيئة العامة للكتاب (١٩٧٧)
- الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بيروت (١٩٧٩)
- الفكر الثورة فى مصر قبيل ثورة يوليو ١٩٥٢ القاهرة ١٩٨١).
- تحطيم الآلهة - حرب يونيو ١٩٦٧ (جزءان) القاهرة ١٩٨٤.
عبد المنعم الجميعي:
- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، دراسة تاريخية لمؤسسة علمية، القاهرة، ١٩٨٥.
- الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى، القاهرة دار الكتاب الجامعى، الطبعة

الأولى ١٩٨٢.
ـ تاريخ مصر الحديث فى الجامعات الأمريكية والمصرية القاهرة، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٥.
ـ مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٩٢.
على بركات.
ـ تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨١٣ ـ ١٩١٤، القاهرة دار الثقافة الجديدة ١٩٧٥.
ـ الملكية الزراعية بين ثورتين، القاهرة، مركز الدراسات السياسية بالأهرام ، ١٩٧٨.
ـ رؤية على مبارك لتاريخ مصر الاجتماعى، القاهرة مركز الدراسات السياسية ، ١٩٨٢.
على مبارك :
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٤٠٥هـ (١٨٨٧).
عماد الدين خليل :
حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامى، قطر دار الثقافة ١٤٠٦هـ.
فتحى رضوان·
مصطفى كامل القاهرة، دار المعارف ١٩٧٤.
عصر رجال ـ القاهرة ١٩٦٧.
مشهورون منسيون ـ القاهرة ١٩٧٠.
كفاحنا الوطنى فى نصف قرن القاهرة د. ت.
فوزى جرجس :
تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى، القاهرة د.ت.

لطيفة سالم:
عـرابى ورفـاقـه فى جنة آدم ١٨٨٣ ـ ١٩٠١ القـاهرة، الأنجلو المصـرية ١٩٨٦.
محسن محمد:
ـ أصول الحكم: القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠ .
ـ تاريخ للبيع ـ القاهرة، كتاب اليوم يوليو ١٩٧٢
ـ الشيطان ـ القاهرة، دار المعارف ١٩٨٢ .
ـ سعد زغلول مولد ثورة، القاهرة، مكتبة غريب ١٩٨٨ .
ـ سرقة واحة مصرية، القاهرة، كتاب اليوم ١٩٨٠ .
ـ خمسة أيام هزت مصر، القاهرة، دار الشروق،مارس ١٩٨٧ .
محمد أنيس:
ـ الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤، القاهرة مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٧.
ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل القاهرة ١٩٦٢ .
ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ حريق القاهرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مرة، القاهرة، ١٩٧٢.
ـ صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد، القاهرة ١٩٧٢ .
ـ تطور المجتمع المصرى من الإقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو القاهرة ١٩٨٤ .
ـ مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى، القاهرة معهد الدراسات العربية ١٩٦٢.
محمد أحمد خلف الله:

عبد الله النديم ومذكراته السياسية، القاهرة الإنجلو المصرية ، ١٩٥٦ .
محمد رفعت :
تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة، الجزء الأول من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٤١م ، القاهرة، مطبعة الشعب، ١٩٢٠ .
محمد سيد كيلانى :
السلطان حسين كامل ـ فترة مظلمة فى تاريخ مصر القاهرة ١٩٦٣ .
محمد شفيق غربال :
ـ تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ ، القاهرة النهضة المصرية، ١٩٥٢.
ـ محمد على الكبير ، القاهرة، دار الهلال العدد ٤٣٠ .
محمد مختار باشا :
التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣١١هـ.
محمد صبرى السربونى :
ـ الإمبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر القاهرة، مطبعة مصر ، ١٩٤٩.
ـ أسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨ .
ـ فضيحة السويس، القاهرة، ١٩٥٨ .
ـ أدب وتاريخ واجتماع القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .
محمد عبد الرءوف سليم :
ـ تاريخ الحركة الصهيونية (جزءان) القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤ .
ـ نشاط الوكالة اليهودية منذ تأسيسها حتى قيام دولة إسرائيل ١٩٢٢ ـ

١٩٤٨ ، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٢ .
محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقى:
روضة المدارس، نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
محمد فريد:
- تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت ، دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
- البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، القاهرة ١٣٠٨هـ.
محمد فؤاد شكرى:
- مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١ جامعة القاهرة ١٩٥٨.
- عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر القاهرة، مكتبة الخانجى ، ١٩٥٢.
- بناء دولة مصر محمد على - السياسة الداخلية (بالإشتراك) القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٤٨ .
- الصراع بين البرجوازية والإقطاع ١٧٨٩ - ١٨٤٨ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٨ .
- ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- مصر والسودان - تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩ القاهرة، دار المعارف ، ١٩٦٣ .
محمد مهدى علام:
مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما المجمعيون القاهرة ، ١٩٦٦ .
محمود الشرقاوى:

دراسات فى تاريخ الجبرتى - مصر فى القرن الثامن عشر جـ١ ، القاهرة، الإنجلو المصرية، ١٩٥٥ .
محمود صالح منسى :
قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناند دى لسبس القاهرة .
محمود عباس حمودة :
المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، القاهرة دار الثقافة، ١٩٨٠ .
محمود فهمى المهندس :
البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، القاهرة مطبعة بولاق، ١٣١٢هـ.
مصطفى كامل :
- الشمس المشرقة، القاهرة .
- المسألة الشرقية : القاهرة مكتبة الآداب ١٨٩٨ .
ميخائيل شاروبيم :
الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث (٤ أجزاء) القاهرة .
يعقوب أرتين :
القول التام فى التعليم العام، القاهرة، مطبعة بولاق ١٨٩٤ .
يونان لبيب :
- قضية وحدة وادى النيل بين الوحدة وتغيير الواقع الاستعمارى ١٩٣٦ - ١٩٤٦ القاهرة . معهد الدراسات العربية ١٩٧٥ .
- تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ القاهرة، مركز الدراسات السياسية بالأهرام ١٩٨٥ .
- الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ ، القاهرة مركز الدراسات السياسية بالأهرام ١٩٧٧ .

ـ الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٠ .

ب ـ الأجنبية

Broadley: How we defended Arabic and his friends . London 1884

Cromer: Modern Egypt , London 1908 Abbas II, London , 1915.

John Ninet: Arabi Pacha: Egypt 1880 - 1883 Paris 1884

Liyod: Egypt since Cromer 2 vols, London 1933- 34

Milner: England in Egypt , London 1899.

رابعا : الدوريات

الأخبار: ديسمبر ١٩٨٦ .

الأهرام : مارس وأغسطس ١٩٧٣ وديسمبر ١٩٨٦ .

الجمهورية: سبتمبر ١٩٦٤ ، ابريل ١٩٦٨ .

حولية كلية البنات جامعة عين شمس يوليو ١٩٦٤ .

الرسالة : أغسطس ـ ديسمبر ١٩٤١ .

روزاليوسف: فبراير ١٩٧٢ .

السياسة الدولية : ١٩٨٢ .

صحيفة التربية : يوليو ١٩٥٠ .

صحيفة معهد الدراسات بمدريد : ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ .

عالم الفكر : المجلة العشرون ، العدد الأول .

الكاتب : ديسمبر ١٩٦١ ، يونيو ١٩٦٥ ، ديسمبر ١٩٦٩ .

الكاتب المصرى : ١٩٤٨

الكتاب : يونيو ١٩٤٨.

المجلة نوفمبر ١٩٦١

المجلة التاريخية : الأعداد جميعها.

مجلة الثقافة : سبتمبر - نوفمبر ١٩٤٣.

مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية: العدد الأول رجب ١٤٠٩هـ.

مجلة الرسالة: اغسطس - ديسمبر ١٩٤١.

مجلة كلية الآداب بالجامعة الأردنية بالجامعة الأردنية يناير ١٩٦٩.

مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية: ١٩٥٦ - ١٩٦٠.

مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء: ١٩٧٧ - ١٩٧٨.

مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول: ١٩٤٢.

مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة: المجلد ١٨ مايو ١٩٥٨.

المؤيد : يوليو ١٨٩٩ ، يناير ١٩٠٠ ، ديسمبر ١٩٠٦.

الهلال : اعسطس ١٩٨٤.

خامسا : لقاءات شخصية

لقاء مع الأستاذ الدكتور أحمد ركريا الشلق فى قسم التاريخ بآداب عين شمس فى ٣١/١/١٩٩٣.

لقاء مع الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى فى قسم التاريخ بآداب عين شمس فى ديسمبر ١٩٩٢.

لقاء مع الأستاذ الدكتور رؤوف عباس حامد فى قسم التاريخ بآداب القاهرة فى ٣٠/١٢/١٩٩٢.

لقاء مع الأستاذ الدكتور صلاح الدين العقاد بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى نوفمبر ١٩٩٢.

لقاء مع المستشار طارق البشرى بكلية البنات جامعة عين شمس فى ١٩٩٣/١/٥.

لقاء مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق

لقاء مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز نوار فى قسم التاريخ بآداب عين شمس يوم ١٩٩٣/١١/٢٤.

لقاء مع الأستاذ الدكتور على محمد بركات بمنزله بالدقى، فى أكتوبر ١٩٩٢.

لقاء مع الأستاذ الدكتور عبد الله غرباوى بقسم التاريخ ـ كلية التربية بالفيوم فى أكتوبر ١٩٩٣.

لقاء مع الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز، عميد آداب الإسكندرية بمكتبة فى ١٩٩٣/٧/٢٢.

الكاتب

- د. عبد المنعم إبراهيم الدسوقى الجميعى
- أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم التاريخ بفرع جامعة القاهرة بالفيوم.
- مواليد مدينة المنصورة - دقهلية - عام ١٩٤٣.
- تدرج في العديد من المراكز العلمية والإدارية من أبرزها رئاسة قسم التاريخ بكلية التربية بالفيوم ووكالة الكلية لشئون التعليم والطلاب.
- عضو اللجنة العلمية لترقية أساتذة التاريخ على مستوى الجامعات المصرية والتى شكلها المجلس الأعلى للجامعات.
- حاليا أمين عام الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وعضو جمعيات الآثريين العرب، والمؤرخين العرب، والمؤرخين المغاربة.
- عضو اللجنة العلمية للوثائق التابعة للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق.
- مقرر لجان امتحانات الفرق النهائية لأقسام التاريخ بكليات التربية بالجامعات المصرية طبقا لقرار المجلس الأعلى للجامعات رقم ٢٤ بتاريخ ٢٤/٢/٢٠٠٢.
- له العديد من المؤلفات التى يزيد عن الخمسين كتابا.

للنشر في السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يسلّم إرفاق أسطوانة (C.D) أو ديسك إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

من إصدارات السلسلة

التراث والبناء الفنى فى أعمال محمد جبريل .... د. سمية التوابكة

نهر النيل .... د. محمد عوض محمد

النيل حياة نهر .... إميل لودفيغ - ترجمة : عادل زعيتر

السلم المسلح ... . جاستون بوتول

ترجمة: أكرم ديرى - محمد رائف المعرى

المسرح هموم وقضايا .... فؤاد دوارة

إعداد وتقديم : د. عمرو دوارة

هكذا تكلم نجيب محفوظ .... عبد العال الحمامصى

مشايخ فى محراب الفن .... د . خيرى محمد عامر

ثلاث شخصيات بين الثقافة والسياسة........ د. السيد أمين شلبى

أحمد فتحى زغلول والآثار الفتحية .... د. أحمد زكريا الشلق

أم كلثوم (سعد الدين وهبة) .... إعداد وتقديم: الأمير أباظة

حركة التأليف التاريخي في مصر الحديثة والمعاصرة



لفترات طويلة ومتتابعة ظلت الكتابات التاريخية تركز على سير العظماء والملوك دونما التفات لتاريخ الشعوب وحركتها رغم أن هذه الشعوب هي التي صنعت التاريخ "الحقيقي"، وكانت الطاقة التي جعلته يتوهج، أو يخبو.

يحاول هذا الكتاب رصد حركة التأليف التاريخي لمصر الحديثة، ومراحل تطوره، وأبرز أعلامه الذين حملوا على عاتقهم مسئولية تسليط الضوء على الجوانب المختلفة لحياة الشعب المصري في مراحله المتعاقبة، ذلك أن دراسة التاريخ أصبحت أداة للنقد السياسي، وحافزًا على الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، وباعثًا على التطور الحضاري.

الغلاف: أحمد الجنايني

الأمل للطباعة والنشر

الثمن: ٤ جنيهات